عدد خاص

كل الحقيقة للجماهير

الهدف AL-HADAF

فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

7 أكتوبَر

نِضالٌ مُستَمر عَلى طَريقِ التَّحريرِ وَالعَودَة

الهدف - فلسطين - العدد 64 (1538) - أكتوبر / تشرين أول 2024

كتائب الشهيد أبو علي مصطفى
الإعلام العربي
Abu Ali Mustafa Brigades

الشهيد البطل والقائد الوطني

يحيى إبراهيم حسن السنوار

رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس» ومهندس ملحمة طوفان الأقصى وأحد أبرز رموز النّضال الفلسطيني والذي استشهد بعد خوضه اشتباكًا مسلحًا مع قوات الغدر الصهيونية على ثرى مدينة رفح يوم الخميس الموافق 2024/10/17

الشهادة عزّة وكرامة والثوريون لا يموتون

ظنّ العدو الصهيوني أن بمقدوره القضاء على الشعب الفلسطيني وتصفية قضيته ومقاومته في الوقت الذي يريد ومتى يشاء. وعبثاً يحاول الاستفراد بالفلسطينيين المحاصرين وعزلهم عن دول وأطراف محور المقاومة، لذلك عمل على توسيع دائرة النار والاغتيالات لتشمل المقاومة وقيادتها في لبنان لإخماد جبهة الإسناد والفصل بينها وبين المقاومة في فلسطين وما يجري في قطاع غزة. فبعد سلسلة عمليات الاغتيالات لقيادات وكوادر ميدانية وبعد مجزرة البيجر واغتيال قيادة الرضوان والقائد المجاهد السيد حسن نصر الله تحولت جبهة لبنان من جبهة إسناد إلى جبهة مشاركة حقيقية في مواجهة العدوان الصهيوني على لبنان وأهدافه المعلنة والواضحة بفرض السيطرة على الجنوب اللبناني حتى نهر الليطاني جنوب مدينة صور، وإن كانت أطماعه تصل إلى حدود نهر الأولي في شمالها.

بنى العدو رهانه على تفوقه العسكري والأمني والتقني والسيبراني، وعلى الدعم المفتوح اللامحدود من الولايات المتحدة والغرب الإمبريالي، وقدرات حلف الناتو.... وعلى عجز وتواطؤ مؤسسات المجتمع الدولي، وكذلك على عجز وتهالك النظام الرسمي العربي وبؤس القيادة والسلطة الفلسطينية، وترددها باتخاذ أي موقف عملي وجدي تجاه الجرائم والمجازر التي يرتكبها العدو.

إن مسلسل الاغتيالات السياسية الذي لجأ إليه العدو مع بداية السبعينيات، وبدأه باستهداف الشهيد غسان كنفاني عام 1972 ولم ينته حتى اليوم، لم يحط من عزيمة شعبنا وفصائل المقاومة، فبعد اغتيال القادة أبو العبد هنية وصالح العاروري، واغتيال الرفيق القائد نضال عبد العال ورفيقيه، وقادة المقاومة في لبنان، واستشهاد القائد يحيى السنوار تعزز القرار لدى الشعب وقوى المقاومة بخيار الصمود والقتال حتى وقف العدوان والاستمرار بالكفاح حتى زوال هذا الكيان، فالشهادة عندنا عزّة وكرامة، وبحر الدماء لن يزيدنا إلا عزيمة وإصرار فالهدف فلسطين والقدس.. وهذا تجسد في عملية بنيامينا وقيساريا وفي الكمائن والعمليات النوعية في كل مدن ومخيمات القطاع والضفة وكل فلسطين وفي جنوب لبنان وشمال فلسطين ووسطها.

انتهى الكيان الصهيوني من بنك الأهداف التي حددها في قطاع غزة وفي لبنان، ولم يحقق أياً من أهدافه السياسية، ولم يستطع فرض أي شرط من شروطه، فعاد إلى الأهداف المباشرة مستعيناً بما يسمى «خطة الجنرالات» وهي التهجير والتدمير والتجويع والمسح الشامل لشمال قطاع غزة ومحور نيتساريم، وحشر كل الناس في مناطق محدودة جنوب وادي غزة وفي شريط ساحلي ضيق لا يساوي ربع مساحة القطاع، واعتبار مناطق شمال القطاع والمناطق الشرقية إضافة لجنوب وشرق رفح ومحور فيلادلفيا مناطق عسكرية، وإحكام السيطرة المباشرة على محور نتساريم الذي يفصل مناطق الشمال عن الوسط والجنوب. وبالوقت نفسه يسعى في جنوب لبنان إلى إبعاد الحزب عن الشريط الحدودي، وضمان عدم وجوده المسلح في جنوب نهر الليطاني...

إذا كانت المقاومة ومنذ بدء العدوان بعد السابع من أكتوبر تطالب بوقف إطلاق النار ووقف العدوان رأفة بحياة وأرواح المدنيين وتجنباً للمزيد من الجرائم والمجازر والدمار وآلام النزوح والجوع والجراح، وأملاً بعقد صفقة تبادل مشرفة للأسرى، إلا أن ذلك لا يعني بأي شكل من الأشكال التسليم بشروط العدو ومخططاته التصفوية، وخاصة أن قلب الكيان ومؤسساته الحيوية والاقتصادية والأمنية والعسكرية باتت في قبضة المقاومة وبمتناول ضرباتها الخاصة والنوعية.

المقاومة ورغم ما تعرضت له من ضربات واغتيالات لبعض قادتها إلا أنها باتت أشد عزيمة وإصرار على إيلام العدو وتوجيه الضربات له، ومشهد الكمائن والعمليات الفدائية في قطاع غزة وكل فلسطين، وكذلك مشهد المسيّرات والصواريخ الباليستية من لبنان واليمن والعراق وإيران وخاصة الوعد الصادق (2) يرسم أملاً بتعزيز الصمود والثبات، ويفتح أفقاً للانتصار الكبير بالتحرير والعودة.

AL-HADAF
كل الحقيقة للجماهير
الهدف
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

العدد رقم (64) - (1538) - تشرين الأول (أكتوبر) 2024

الافتتاحية

• الشهادة عزّة وكرامة والثوريون لا يموتون — 1

شؤون فلسطينية

• طوفان الأقصى فتح بوابة التحرير صراع مفتوح مع الثورة المضادة — د. عادل سمارة — 3
• عام على طوفان الأقصى والمقاومة تواجه — د. انتصار الدّنّان — 9
• في السنوية الأولى للطوفان — محمد حمد — 10
• في الذكرى الأولى لانتصار السابع من أكتوبر التاريخي — عليان عليان — 11
• حرب الإبادة الشاملة في غزة: تجويع وتدمير النظام الصحي — علي زيدان — 14
• عام على صمودٍ فاق الأسطورة... التداعيات والمآلات — علي بدوان — 16
• يحيى السنوار شهيد فلسطين من النهر الى البحر — سامي سماحة — 18
• الاقتصاد السياسي للحرب على غزة وتداعياتها— — د. غسان أحمد أبو حطب — 19
• بعد مرور عام على طوفان الأقصى: الدلالات والاستنتاجات — د. سامي الشيخ محمد — 21
• طوفان الأقصى والمشهد الجديد — أحمد عويدات — 22

شؤون عربية

• استحقاقات اليساريين والاشتراكيين تجاه القضية الفلسطينية تتطلب التصحيح — أسامة العبدالرحيم — 25
• في الهدف: فكّر بغيرك — أحمد علي هلال — 26
• بعد عام من الطوفان العقيدة العربية من إسرائيل بين الردع والاستجابة. — د. عابد الزريعي — 27
• اليمن في العام الثاني لطوفان الأقصى — عادل عبده بشر — 29
• جناح ثائر وحركة التحرر العربي.. — م. حسين الغلبان — 31
• الموقف المصري: محاولة للتفسير! — خالد المصري — 33
• التونسيون والقضية الفلسطينية: ما سرّ هذا التراجع؟ — علي الجلولي — 34

شؤون دولية

• جنوب افريقيا والقضية الفلسطينية بعد طوفان الاقصى — كاظم الموسوي — 36
• طوفان الأقصى: محلية الحدث وعالمية الارتدادات — د. عصام حجاوي — 38
• الطوفان... والتقاطعات الدولية — عدنان بدر — 41
• طوفان الأقصى استراتيجية الفعل الفلسطيني في مواجهة الشرق الأوسط الجديد — لمى الشطلي — 42
• قراءة في المشهد السياسي الأميركي بعد عام على طوفان — د. رباب عبد الهادي — 44
• عام على طوفان الأقصى... تغيير لمعادلات القوى والإقليم — عزيز موسى — 48
• «طوفان الأقصى».. والتحولات الاستراتيجية في الشرق الأوسط — أحمد الطناني — 49

شؤون العدو

• الطوفان وتعميق القلق الوجودي للكيان — محمد أبو شريفة — 52
• الحصاد الثقيل للاحتلال الإسرائيلي رغم شراسة آلة الحرب الصهيونية — نبال عمر — 53
• احتمال الرد الإسرائيلي والإصطدام بالخطوط الحمراء الحاسمة — حمزة البشتاوي — 55
• عام على طوفان الأقصى: « محرقة « فلسطينية على يد الفاشية الصهيونية !.. — محمد صوان — 56
• الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية: واقع مؤلم وحقوق منتهكة — فراس عبدو النادر — 58
• عام مضى على طوفان الأقصى: ما هي تداعياتها الاقتصادية على الكيان الغاشم — د. أدهم هندي شقير — 59
• الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية — بسام عليان — 61
• مَن أَمِن العقاب أساء الأدب!!.. الاحتلال الصهيوني مثالاً — إلهام الحكيم — 64
• اخترعوا وفرضوا "الكارثة والبطولة" - ونحت ونفرض العِرقبادة و الطوفان — د. مكرم خُوري - مَخُّول — 66
• اسرائيل نحو محطة أخرى ...! — أكرم عطا الله — 69
• الكيان وحروب الإبادة — إسحق أبو الوليد — 70
• دراسات
• عام على الطوفان: أبجديات اليوم التالي العربي — د. وسام الفقعاوي — 72
• تقارير
• تقرير: ما الهدف الحقيقي من التصعيد الصهيوني في شمال غزة؟ — إعداد: سحر محرز — 80
• ترجمات
• لماذا سينال «موت السنوار المحارب» مكانة الشهيد في غزة وخارجها ـ جوليان بورغر — ترجمة: نور نوارة — 82

شؤون ثقافية

• حوار الهدف الثقافي: مع الكاتبة بيان دخان حامد — حوار: محمد حسين — 83
• المثقفون والطوفان والتضليل الإعلامي — رضي الموسوي — 85
• رموز الهوية تخفق في سماء غزة — نجلاء الخضراء — 87
• دراسة نقدية: الكتابة في زمن طوفان الأقصى: التحوّل في العلاقات الإبداعية — د. ثائر يوسف عودة — 89
• نص أدبي: أَكَلَة الضوضاء — عبد النور الهنداوي — 92
• قصيدة: إلى روح شعبان الدلو الذي قتل محترقا تحت القصف — حميد بوحبيب — 94
• قصة قصيرة: ليلة هواجس — أحمد الخميسي — 95

أسسها عام 1969
الأديب الشهيد
غســان كنفــاني

رئيس التحرير
كايد الغول

مدير التحرير
محمد أبو شريفة

المدير الفني
منـير الرفـاعي

تصميم الغلاف
جيفارا عبد القادر

المقالات المنشورة
لا تتطابق بالضرورة
مع وجهة نظرة الهدف

يسمح بالنقل وإعادة النشر
بشرط الإشارة إلى المصدر

عناوين مجلة وبوابة الهدف:
غزة ـ بجوار مشفى الشفاء ـ
نهاية شارع الثورة
الهاتف: 082836472
البريد الإلكتروني:
hadafmagazinenew@gmail.com

تصدر عن
دائرة الإعلام المركزي
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

طوفان الأقصى فتح بوابة التحرير صراع مفتوح مع الثورة المضادة

د. عادل سمارة ـ كاتب وباحث مختص في الاقتصاد السياسي

بدأ ولم ولن يتوقف تحليل واستنباط قرار 7 تشرين أكتوبر وهل كان بقرار من قيادة حماس في غزة أم تم إعلام قيادة حماس في الخارج وإخبار إيران و»ذو العمامة السوداء» واليمن وسورية... إلخ. وإن تم هل كانت الردود بتجاوب معين أو بنصائح التأجيل أو الرفض؟

ومن جهة ثانية، تتضارب التحليلات فيما يخص تطورات الصراع ومآلاته. لكن ما هو مؤكد أن معظم التحليلات تتغير طبقاً لطبيعة التطورات في الميدان كما أكد غير مرة، الشهيد ذو العمامة السوداء.

لكن السؤال من هي أطراف الصراع؟

قد يُخالفني كثيرون الرأي ولكنني كتبت منذ يوم 8 تشرين أكتوبر 2023 بأن الحرب هي عدوان أمريكي في الأساس وبأن أمريكا قادت العدوان بحكم مصالحها وبأنها هي التي حققت انتصاراً حتى الآن عبر تثبيت نفسها القوة العظمى الوحيدة التي تسيطر على الوطن العربي وعزلت الأقطاب البازغة روسيا والصين بكل سهولة وعلى من يعترض أن يتذكر ماذا فعل خروتشوف تجاه عدوان 1956 الثلاثي (بريطانيا وفرنسا وفي ذيلهما الكيان) ضد مصر. ذلك لأن ثروات الوطن العربي «مؤممة» لصالح أمريكا وبالتالي، فإن الكيان الذي كان قاعدة أثبت 7 تشرين أنه محمية، ولكن هذا لم يؤثر على إصرار أمريكا وكل الغرب على حماية الكيان لأن دوره لم ينتهِ من جهة ولأنه نجح في تطبيع عديد الأنظمة القطرية العربية تطبيعاً بمعنى استدخال الهزيمة وصولاً إلى الصهينة وإذلال أمة والمشاركة في العدوان علانية. لذا يُقابل نصر 7 تشرين انتصارات وسخة للصهينة العربية والغرب والكيان.

كان من السهولة بمكان أن يستنتج المرء هذا الموقف الأمريكي من اللهفة التي جلبت بايدن وبلنكن فوراً إلى الكيان بغض النظر حتى عن خطاب كليهما المثقل بالعدوان والحرب، تلك اللهفة التي أساسها أن الكيان مثابة استثمار إستراتيجي لأمريكا والغرب وليس لأسباب ثقافية، عرقية، لغوية، دينية... إلخ رغم حضورها بالطبع. (انظر لاحقاً)

تجليس الحَدَث

بغض النظر عن تقييم هذا أو ذاك لحدث 7 تشرين، لكن الأهم هو تجليس الحدث في سياقه المادي التاريخي، فالحدث أمر موضوعي بطبيعته لا يُخبرنا بقدومه ولا ينتظر رأينا فيه، مما

يضعنا في مناخ مزدوج يختبر قدرتنا على التقاط مفاتيح الحدث نفسه وقدرتنا على تطويعه لظرفنا وموقفنا أو في مناخ أعمى حيث نرتطم بمغاليق الحدث ليشهد عجزنا عن مواجهته وتطويعه. بهذا المعنى يمكننا فهم 7 تشرين/أكتوبر وبالتالي يتم تصنيف كل طرف أو محلل على ضوء قدرته على الالتقاط.

7 تشرين، هو حدث ابتكرته المقاومة في حركة حماس وبقية الفصائل ضمن أفقها هي كفدائيي حرب الغُوار بما لحرب الغوار من أحقية المفاجأة وحتى المغامرة الأمر الذي يبرر لهذا النمط من الحرب انتهاج تكتيك اضرب واهرب، وهو التكتيك الفريد الذي يمكننا معه اعتبار أن بناء أنفاق غزة هو موئل الهرب ثم الخروج لاقتناص آليات العدو وهو الضرب وهكذا وها نحن في العام الثاني. نعم بهذا الشكل الموسع للقتال حتى الآن. وللتوضيح، فإن المقاومة في غزة قد أسست قاعدة محررة لها هي تحت الأرض، وهذا لم يحصل في التاريخ علماً بأن حروب الغوار أقامت قواعدها على سطح الأرض، ولذا لم تعتبر اية منطقة قاعدة لها سوى منطقة محررة حقاً ولا يسهل على العدو وصولها واقتحامها، لكن حالة أنفاق غزة هي حالة اختفاء والتحام معاً.

لا تقوم مقاومة إلا في ظروف الضرورة وغياب توازن مع العدو، ولذا لا تعبأ بحسابات الحكومات/الدول التي تنتظر التوازن وغالباً لا يتوفر إلا لدول تقودها حركات ثورية خالصة، فما بالك بما أثبتته المقاومة بأن غياب سلطة الدولة التابعة هو المناخ الأفضل للمقاومة، وهنا تحضرني معترضة مفادها ثرثرة بعض قوى الدينسياسي ،حزب التحرير الإسلامي، التي ترى بأن حركات المقاومة مشكورة لكنها لا تصل إلى النصر! وهذا ناجم بالطبع عن أن هذه الفئة من الدينسياسي تحترف التنظير ولم تلمس أي سلاح. وعموماً، سواء جرت استشارة المحور أم لا، فإن كل هذا لا ينتقص من هذا الابتكار التاريخي الفعلي والمجسَّد.

أمريكا دولة الحرب الدائمة

تقاتلنا لأجل التراكم

كتب لينين في كتابه «الإمبريالية» أن «السعي الحتمي لرأس المال المالي» هو «توسيع مجالات نفوذه وحتى في أراضيه الفعلية». كان يتحدث بالطبع عن عالم يتسم بالتنافس الإمبريالي، حيث كان يأخذ هذا السعي شكل صراع تنافسي بين رؤوس الأموال المالية المتنافسة التي سرعان ما أكملت تقسيم العالم. إذن، كيف لرأس المال أن يتخلى عمَّا أخضعه وأغناه! وكيف لرأس المال أن لا يتهادن طالما هو بأكمله مهدد بالاقتلاع، وهو ما أسماه ماركس «تآخي اللصوص».

وكيف لرأس المال أن لا يتوحش وهو قد وصل مرحلة الاحتكار المعولم/سمير أمين، وتراكب ذلك مع الفاشية المعلنة سلطوياً ومع الشركات المعولمة وخاصة صانعة السلاح! وبكلمة كيف لا يتوحش حيث تقوده الدولة العميقة مما يجعل حتى رئيس الإمبريالية الأمريكية أرجوز معاق جسدياً حالة بايدن أو بهيمة متوحشة ترامب.

لا بد من نظرة للخلف إذ كانت الحرب الإمبريالية الثانية فرصة الإمبريالية الأمريكية التاريخية لنهب الكوكب، حيث قامت الدولة الأمريكية ما بين الأعوام 1940 و1945، بإنفاق ما لا يقل عن 185 مليار دولار على المعدات القاتلة والقتالية، وارتفعت حصة النفقات العسكرية من الناتج القومي الإجمالي بين الأعوام 1939 و1945 من رقم تافه يقارب 1.5% إلى ما يقارب 40%. وهذا مكَّن أمريكا من احتواء أوروبا بتزويد أوروبا بالمال/مشروع مارشال وبالسلاح وأسس لعقيدة أمريكا السلاحية لاحقاً في فترة أيزنهاور حيث أدرك رأس المال أن هناك دولاً بوسعها التطور في إنتاج منتجات مدنية ولكنها قررت التركيز على التفوق في إنتاج الأسلحة من أجل:

- حروبها هي
- تصدير السلاح لدول أخرى
- تصنيع حروب بين الدول مما يوسع سوق السلاح الأمريكي

يكتب المؤرخ ستيوارت د. برنديز، أن الربح الصافي لأضخم 2000 شركة أمريكية، ما بين عامي 1942 و1945، كان أعلى بأكثر من 40% عنه خلال الفترة ما بين عامي 1936 و1939.

قاد هذا إلى تخدير الطبقة العاملة في أمريكا حيث التشغيل الكامل والأجور الأعلى! مما خدع العمال الذين افتقروا لقيادات نقابية غير محتواة من البرجوازية.

حلت عام 1945 الحرب الباردة محل الحرب الساخنة ، واستمرت الشركات الكبرى بدفع 50% من كافة الضرائب، ولكن أخذت هذه الحصة في الاضمحلال في غضون الحرب الباردة باستمرار لتصل عام [2003] إلى حوالي 1% فقط.

كان تخفيض العبء الضريبي عن الشركات سهلًا، نظرًا لكونها قد حولت نفسها بعد الحرب العالمية بل الإمبريالية الثانية إلى شركات متعددة الجنسيات، وأصبح سهلًا بالتالي تفادي دفع ضرائب ذات قيمة في أي مكان.

قاد هذا إلى ابتلاع الشركات الكبرى لكل من السلطة ومتقاعدي الجنرالات حيث أصبح وبشكل روتيني جنرالات البنتاغون المتقاعدين حديثاً مستشارين لدى الشركات الكبرى العاملة في الإنتاج العسكري، وأن يُعيّن رجال الأعمال المرتبطون بهذه الشركات مسؤولين كباراً في وزارة الدفاع، ومستشارين للرئيس، وهذا جزء هام من مبنى الدولة العميقة.

وبعد الحرب الباردة جرى تصنيع أعداء قدامى جدد هما الصين وروسيا، وبدخول الرأسمالية مرحلة الكساد التضخمي stagflatio، كان لا بد من توسيع نطاق العدوان فكان تصنيع الإرهاب والذي تجلى في الوطن بل ضد الوطن العربي في الاستشراق الإرهابي Terrorist Orientalist وهو خلق الإرهاب والتصدي له.

ولتغطية نفقات هذا الاحتراف الحربي العدواني منذ نهاية الحرب الباردة والانتقال إلى النيو/البرالية، وتراجع دفع الشركات للضرائب ذهبت أمريكا إلى

الاعتماد تمويلياً لحروبها المعولمة إلى القروض والمديونية والتي وصلت اليوم إلى 34 ترليون دولار.

وهكذا، وأمريكا على هذا الحال وتجر خلفها أوروبا، كيف لها أن تسمح باقتلاع القاعدة الصهيونية مما يعني في التحليل الأخير اقتلاع مصالحها/مستعمراتها الاقتصادية في وطن مباح لها ومستباح! وكيف لا تنفق على القاعدة/المحمية وهي، أي الأخيرة مثابة استثمار إستراتيجي لها في الوطن العربي حيث تساهم في «تخليد» التقشيط والنهب والتبادل اللاامتكافىء لصالح أمريكا والغرب مما يجعل الإنفاق على الكيان مجرد «نُقُل أي بعض الفستق» على مائدة ممتدة من الأرض إلى السماء!

أظهرت حرب أوكرانيا أن أمريكا التي احتوت أوروبا بعد 1945 بخطة مارشال، وكرست ذلك بالطفرة النفطية 1973 قد كررت ذلك بتحريك بل استخدام أوروبا طبقاً لمصالحها هي نفسها، كما أن الحرب على غزة كرست ووسعت هذه الهيمنة الأمريكية وتسخير أوروبا أيضاً لصالح العدوان الأمريكي، ومع ذلك ورغم الاحتجاج الشعبي في عديد بلدان العالم إلا أن أمريكا لم تتوقف عن تزويد الكيان بأكثر مما يطلب من الأسلحة. ورغم أن بعض الدول الأوروبية قد ادعت وقف أو تخفيف تصدير الأسلحة للكيان، وهذا هراء،، إلا أن النظام في ألمانيا أعلن بفجاجة إمبريالية نازية عن جاهزيته لزياد تزويد الكيان بالسلاح، ولعل السر في هذا هو أن ألمانيا هي قاطرة الاقتصاد الأوروبي وبالتالي تشكل الحليف الاقتصادي الأقوى لأمريكا في الاتحاد الأوروبي بينما تشكل بريطانيا التابع السياسي الأول لأمريكا.

كيف للدولة العميقة في أمريكا وعموم الغرب إذن أن تتخلى عن هذا وهي مُختصرة في الشركات والشريحة محدودة العدد من مالكيها وهم وحوش في أثواب بشر؟ من هذا نستنتج بأن الحرب ضد روسيا في أوكرانيا والعدوان ضد غزة ولبنان والضفة الغربية هي فرصة هامة لشركات الأسلحة والذخائر الأمريكية بحيث تحقق عوائد مالية هائلة دون أن تدفع ضرائب تُذكر.

كتب: إيلي كليفتون (14 تشرين أول 2024) في مجلة «Responsible Statecraft»:

«من الصعب رؤية منطقة الشرق الأوسط خلال العام الماضي على أنّها أيّ شيء آخر غير كارثة كاملة. فلقد قتلت «إسرائيل» أكثر من 41,000 فلسطيني في غزّة بالقصف، وحاصرت القطاع ومنعت شُحنات الغذاء والدواء كشكل من أشكال العقاب الجماعي ضدّ المدنيين الفلسطينيين، بذريعة الانتقام بعد عملية «طوفان الأقصى».

لكنّ ثمّة مستثمرين يقفون خلف هذه المأساة، ويُحقّقون أرباحاً هائلة وقياسية في أسهم شركات الأسلحة الأميركية، مُتفوّقِينَ بشكل كبير على مؤشّرات سُوق الأسهم الرئيسية؛ بسبب الحروب العدوانية التي تشنّها «إسرائيل» في غزّة والضفّة الغربية والآن في لبنان... وفي الوقت عينه تقوم الولايات المتّحدة بتقديم مليارات الدولارات من الأسلحة لـ «إسرائيل» وهذه المنحة من أموال دافعي الضرائب الأميركيين لـ«دولة» الاحتلال الإسرائيلي كانت الوقود الذي دفع بأرباح الأسهم المذكورة إلى مُستوى غير مسبوق.

ويمكنك أن تقرأ في «TomDispatch»: المجمّع الصناعي العسكري الأميركي.. القوة الأكثر تدميراً في العالم شركة «لوكهيد مارتن» أكبر شركة أسلحة في العالم، التي تصنع طائرات «إف 35» التي تستخدمها «الدولة» الصهيونية لقصف الأبرياء في غزّة ولبنان، حقّقت عوائد إجمالية بنسبة 54.86% في عام واحد، مُتفوّقةً على أكبر مؤشّر سهمي بنحو 18%، أي أنّ استثماراً بقيمة 10 آلاف دولار في هذه الشركة من شأنه أن يُحقّق عائداً إجمالياً قدره 5486 دولاراً، بينما أقوى الأسهم الأخرى لا تُنتج أكثر من 3,689 دولاراً فقط.

لم تقتصر أرباح تجارة أسلحة الموت على الشركة المذكورة، فقد تبعتها شركة «رايثيون»، وهي في الترتيب ثاني أكبر شركة سلاح في العالم مُختصّة بتصنيع القنابل الضخمة الخارقة للتحصينات، وهي أسلحة محظور استخدامها في المناطق ذات الكثافة السكّانية العالية من المدنيين، لكنّ «إسرائيل» تستخدمها على نحو مُتكرّر، في غزّة ولبنان في أكثر المناطق كثافة سكانية في العالم، ما أدّى إلى وقوع عدد كبير من الضحايا المدنيين الأبرياء ومعظمهم من الأطفال والنساء.

أيضاً، حقّق سهم شركة «رايثيون» عوائد هائلة للمستثمرين، مُتفوّقاً على أقوى الأسهم في البورصة بنحو 46%، ما يعني أنّ استثمار 10,000 دولار في شركة «رايثيون» يُنتج عائداً سنوياً إجمالياً قدره 8,269 دولاراً.

وعلى هذا النحو، شركة «جنرال ديناميكس»، التي تُنتج القنابل الخارقة للتحصينات، والتي استخدمتها «الدولة» الصهيونية في عملية اغتيال قائد المقاومة الشهيد السيّد حسن نصر الله، حقّقت مكاسب أقلّ من الشركتين السالفتين، بعائد إجمالي بنحو 37% للمستثمرين، مُتفوّقة على أفضل مُؤشّر بأكثر من 3%. في حين أنّ الاستفادة من الحرب قد تكون بغيضة بالنسبة إلى البعض، إلّا أنّ مُحلّلي الدفاع في المصارف الاستثمارية الكبرى حثّوا المديرين التنفيذيين للشركات على الاستفادة والاستثمار في الحرب الإسرائيلية على غزّة ولبنان. وبعد مرور عام على العدوان، ثبت أنّ هؤلاء المحلّلين على صواب، فالحرب الإسرائيلية مُستمرة، بكفالة إدارة البيت الأبيض الذي يُزوّدها بالأسلحة والأموال في تناقض مع طلب وقف إطلاق النار المرائي.

في الشهر الفائت، وافق البيت الأبيض على حزمة مُساعدات بقيمة 8.7 مليار دولار لـ«دولة» الاحتلال الإسرائيلي، ستنفق إلى حدّ كبير على الذخائر والأسلحة من شركات الأسلحة الكبرى، ليصل إجمالي المساعدات الأمنية الأميركية لـ «إسرائيل» خلال عام إلى ما يقرب من 18 مليار دولار، في وقت تزداد حكومة

«تلّ أبيب» وحشية في تصعيد عُدوانها، وفي رفض المطالب الإنسانية والدولية بوقف جرائمها في غزّة والضفّة الغربية ولبنان.

أزمة الكيان بشرية أولاً لكن ليس فقط

لعل هذا توضيح مناسب لما ورد في مقالنا السابق للهدف بأن الكيان الصهيوني، رغم خسائره المادية قادر على مواصلة العدوان، وليس ذلك بناء على الدعم الأمريكي والغربي عموماً، بل كذلك لأن أنظمة التطبيع العربية تواصل تزويده بمختلف متطلباته الغذائية عبر عشرات الشركات الإماراتية والمصرية والخليجية والأردنية والتي تحاول تعويض خسارة الكيان للإمداد البحري بسبب موقف اليمن العظيم بتعويض ذلك بالنقل البري، وهذا يؤكد أن هذه الأنظمة تشارك وتتبرع للمجهود الحربي الصهيوني، ومن يدري كم نظام عربي غيرها يقوم بذلك.

كشفت البيانات أن حجم التجارة بين إسرائيل والإمارات بلغ 271.9 مليون دولار في يونيو 2024، بزيادة قدرها 5% مقارنة بالشهر نفسه من العام الماضي.

وخلال الأشهر الستة الأولى من عام 2024، بلغ إجمالي التبادل التجاري بين البلدين 1.66 مليار دولار، محققاً نمواً بنسبة 7% مقارنة بالفترة المماثلة من عام 2023.

وقفزت التجارة مع البحرين بشكل ملحوظ لتصل إلى 16.8 مليون دولار في يونيو 2024، بزيادة قدرها 740% عن يونيو 2023.

وخلال النصف الأول من عام 2024، ارتفع حجم التبادلات التجارية بين المنامة وتل أبيب بنسبة 879% ليصل إلى 70.5 مليون دولار.

أما المغرب، فبلغ حجم تجارته مع إسرائيل 8.5 مليون دولار في يونيو 2024، بزيادة 124 بالمئة مقارنة بالعام السابق.

وخلال الأشهر الستة الأولى، بلغ إجمالي التبادل التجاري بين البلدين 53.2 مليون دولار، بنمو نسبته 64% مقارنة بالفترة المماثلة من عام 2023.

ووصلت التجارة بين إسرائيل والأردن إلى 35 مليون دولار في يونيو 2024 بواقع 14% عن يونيو 2023.

وخلال النصف الأول من عام 2024، انخفضت بنسبة 16% إلى 213.8 مليون دولار. المصدر : nziv(adsbygoogle = window.adsbygoogle || []).push({});

ولأن ما يكسر ذراع الكيان هو سحق قواه البشرية في الميدان. ولذا، كما نرى فإن الكيان يقاتل بالطائرات والمدافع وبأقل جنود مشاة على الأرض من جهة ويجند كثيراً من المرتزقة ليكونوا في مقدمة قواته المعتدية والتي تشتمل على عدد من العملاء العرب ممثلين لأنظمة بلدانهم القُطرية.

ورد في مقال لمتان تسوري في صحيفة يديعوت أحرونوت 2024/8/19:

« إسرائيل» تشهد هجرة كبيرة لأصحاب الوظائف المهمة.»

كبار الأطباء يختفون من المستشفيات الإسرائيلية، والجامعات تجد صعوبة في تعيين أعضاء هيئة التدريس في المجالات الحيوية حيث تشهد موجة هجرة كبيرة لأصحاب الوظائف المهمة فيها، كالأطباء والمدرسين والتكنولوجيين.

على منبر صغير في «مؤتمر الطوارئ الوطني» في كيبوتس «نير عوز»، حذّر البروفيسور الإسرائيلي أهارون تشيخانوفر من أنّ «كبار الأطباء يختفون من المستشفيات، والجامعات تجد صعوبة في تعيين أعضاء هيئة التدريس في مجالات حيوية».

وقال: «عندما يغادر 30 ألف شخص من هذا النوع إسرائيل، فلن تكون هناك دولة هنا». واستاء من صمت الرئيس إسحاق هرتسوغ، وقال متوجهاً إليه: «قم وافعل شيئاً». وبحسب قوله، فإنّ «إعادة الأسرى هي الهدف الأساسي لإسرائيل. وإذا لم يتحقق ذلك، فسيتحطم العقد الأساسي بين المجتمع والحكومة والجيش، ففي حينها ستعرف كل أم عبرية أنّها تقدم حياة أبنائها لقادة تركوهم لمصيرهم».

ويرى البروفيسور الإسرائيلي أنّ «موجة الرحيل الضخمة التي تشهدها إسرائيل هي القضية الثانية بعد قضية الأسرى التي يجب أن تكون في سلّم أولويات الحكومة».

وأضاف: «لا يجب إطلاق اسم حثالة البشر على هؤلاء الذين يغادرون البلاد، لأن هؤلاء يريدون العيش في بلد ديمقراطي ليبرالي حر، وليس في بلد تستولي الحكومة فيه على السلطة بالقوة».

الصهيونية العربية في مقدمة العدوان:

كتب كثيرون بأن أهم متغيرات هذا العدوان هو دخول الولايات المتحدة مباشرة فيها بل قيادتها، ولكن هذا ينم عن عدم الرؤية لأن مشاركة كل الغرب في تصنيع وحماية الكيان بدأ منذ 1917 ويكفي أن نذكر أن كل الغرب بمن فيه المستوطنين الفرنسيين في الجزائر شاركوا في عدوان 1948 في فلسطين بقوة اسمها «الماخال» ضمت طيارين وخبراء مدفعية وأطباء عيون... إلخ ولا ننسى عدوان 1967 وحرب تشرين 1973 حيث أقامت أمريكا جسراً جوياً من الأسلحة للكيان.

كما يزعم البعض أن توقعات محور المقاومة ارتكزت على أن الحرب ستكون قصيرة لأن الكيان لا يتحمل حرباً طويلة ربما، لكن هؤلاء لم يروا الكيان سوى في جغرافية فلسطين المحتلة وليس كامتداد للغرب الإمبريالي الذي أعلى خبرة في تاريخه هي تعدد واحتراف العدوان على صعيد الكوكب ومن أجل النهب والتقشيط وبالتالي وصول التراكم اللامحدود.

إن المتغير الأساسي في هذه الحرب هو في الوضع العربي حيث اصطفت دول عربية لصالح الكيان حتى عسكرياً، ولاذ البقية بالصمت، ولا ندري مدى كونه صمتاً، وتم على صعيد الوطن بأسره إذلال الأمة تماماً وحصر موقف الأمة العربية من الصراع في الصراخ في الساحات

وتدجين وتطويع القوى السياسية التي من المفترض أن تقوم بتحريك الجماهير إلى لُعب دور في ضبط الجماهير.

لم يكن هذا مثلاً عام 1948 حيث شاركت جيوش عربية ولو شكلياً في الحرب أي لم تجرؤ الأنظمة حينها على عدم المشاركة بينما اليوم تقف أنظمة التطبيع مع الكيان مسلحة بتحليلات الطابور السادس الثقافي الذي تكوَّن منذ هزيمة حزيران 1967 وأعلن عن نفسه منذ 1991 حينما وقف مع العدوان الثلاثيني ضد العراق داعماً مشاركة جيوش عربية في ذيل ذلك العدوان.

إن كارثة المشاركة في العدوان على العراق 1991 في كونها تشريع قيام قطرية عربية بالعدوان ضد أخرى في ذيل وتحت راية الإمبريالية وهو الأمر الذي استفحل خلال الربيع الخريفي العربي وكان فيه ما كان. هذه المقدمات جعلت اصطفاف الصهيونية العربية في جانب العدوان منذ 8 تشرين 2023 أمراً «طبيعياً».

ولعل ما يُثير الحيرة أن أقلية محدودة، بل ربما لا أحد، يشير إلى دور الصهيونية العربية في العدوان الحالي مما يزيد من تخدير الشارع العربي ويعزل بل ينتزع فلسطين من عمقها العربي ويمتد إلى عزل لبنان واليمن وسورية.

ولذا، طالما ركزنا ومنذ ثلاثين سنة على أن أية حركة ثورية عروبية مُطالبة بمواصلة الموقف والمشروع الذي يعمل على إسقاط الأنظمة العربية لأن هزيمة الكيان والإمبريالية تبدأ بتغيير الواقع العربي، وخلال ذلك ركزنا على:

- إن الوطن العربي يعيش منذ قرن حرباً أهلية تشنها أنظمة تابعة وعميلة ضد الطبقات الشعبية

- مواصلة و/أو العودة للعمل السري

- مغادرة الأحزاب العلنية المرخصة من مخابرات الأنظمة حيث تحولت إلى أداة تدجين الطبقات الشعبية

- تفكيك المفاصل الأمنية والمخابراتية للأنظمة العربية تمهيداً لهزيمتها

- تبني التنمية بالحماية الشعبية لإرغام الأنظمة التابعة للسوق الدولية على التحول عن طريقها سواء بالقوة أو بتحولات ذاتية وصولاً إلى فك الارتباط بالسوق الدولية.

نؤكد بهذه الخَطاطة الموجزة بأن هذه حرب تاريخية، لا مؤقتة ولا موسمية بل ممتدة وشاملة وليست فقط ضد قطر أو آخر. ولا أوضح من ذلك أن العدوان الثلاثي ضد الأمة العربية يمتد من غزة إلى لبنان إلى سورية إلى اليمن وربما يتسع حتى ضد إيران، فما هذه غير أنها حرب شاملة؟ حرب عالمية ضد العرب.

وحين نؤكد أن ما يجري هو عدوان معولم نقصد بوضوح أن جيشها الأول هو الصهيونية العربية كأنظمة وساسة ومثقفي الطابور السادس ومخابرات وحتى جيوشاً، والجيش الثاني هو الأمريكي وأخيراً الجيش الصهيوني الذي كلا الطرفين الأولين في خدمته.

صحيح أن انتصارات 2000 و 2006 و 2014 قد أكدت تقييد فرص الكيان في التوسع الجغرافي، ولكن أنظمة الصهيونية العربية قد عوضت الكيان بانخراطها في التطبيع وترويجها لاستدخال الهزيمة وتكريس تبادلها التجاري مع الكيان ناهيك عن العلاقات العسكرية والضخ الإعلامي المتصهين بدرجات وضيعة المحتوى. ومع ذلك فإن مشاركتها اليوم في العدوان قد فتح شهية الكيان مجدداً على التوسع الجغرافي.

لعل مما أثبته 7 تشرين ومن ثم بل وخاصة 8 تشرين 2023 هو تمكُّن الأنظمة والطبقات الحاكمة ومخابراتها وجلاوزتها من عنق الأمة العربية بلجنها تماماً عن القضية المركزية أي فلسطين، ولعل هذا قمة الحرب الأهلية التي تشنها الأنظمة والطبقات الحاكمة ضد الطبقات الشعبية العربية.

وإلى جانب هذا الحدث الخطير انكشف كذلك ما يسمى «العالم العربي والإسلامي» وهي تسمية لا تزيد على كونها مجاملة خادعة بل حتى مهادنة بين أطراف مضمخة بالطائفية البغيضة، وهي بالتالي تقضي على الانتماء القومي الوطني ولا توصل بحكم التبعية والتخلف والطائفية إلى أي مكان سوى تناقضات حادة ومؤامرات لا تتم التغطية عليها إلا في الأزمات، وهذا ما أسميناه في الحالة العربية والإسلامية «عدم الاستقرار الجيولوجي في مستويات الثقافة والسياسة والاقتصاد والأيديولوجيا والانتماء» فبوسعك أن تجد في الأسرة الواحدة متغربن ولا عروبي ومتعصب لإيران، أو تركيا، أو ضد الشيعة أو ضد السنة أو متصهين!

ومع ذلك، فإن الحرب على غزة قادت إلى مهادنة شكلية بين هذه الأنظمة وذلك في حاجتها لتلك المهادنة لتنفيذ الأوامر الأمريكية للتخلي عن تقديم أي دعم لغزة التي تعاني الإبادة، فقد التقت قيادات أل 57 دولة عربية وإسلامية في الرياض تحت إبط النظام السعودي الذي باسم الإسلام يقف ضد العروبة وفلسطين ويكرِّس تبعية وضيعة للغرب وخاصة للولايات المتحدة. إن ما يجب التركيز عليه بلا تردد هو الفارق بين الدين كإيمان وبين الدينسياسي الذي هو في خدمة الأنظمة وسيدها الإمبريالي. إن تصنيع «أمة إسلامية» من المحال تحققها هو في النهاية في خدمة الكيان الصهيوني الذي يحاول خلق وتصنيع «أمة يهودية» من مئة قومية متناقضة متنافرة وبالتالي فإن الحديث عن أمة إسلامية وليس عن دين إسلامي هو تبرير للكيان في تصنيع «أمة» يهودية!

فالعالم الإسلامي لا يشترك في غير الدين الذي هو جزء من الثقافة ولم يشكل جامعاً باي حال لما يسمى الأمة الإسلامية كعابرة للقوميات بينما تشترك هذه الدول وبعمق بل تنخرط في النظام الرأسمالي الدولي وتربطها علاقات بين تبعية وتحالفات مع أنظمة حليفة للكيان الصهيوني وتابعة للإمبريالية.

كيف يمكن أن تكون الأنظمة التي تحكمها أنظمة طائفية سواء من السُّنة أو الشيعة على قلب رجل واحد وبينهما

وعلى أيديهما تاريخ تحريض وتحشيد طائفي متخلف. فمن تابع فيديوهات مشايخ الطرفين وهم يأخذون المسلمين إلى خلاف علي ومعاوية ويزيد والحسين وعائشة... إلخ لن يكون بوسعه تصديق مجاملات هذه الأنظمة والإعلانات المشتركة عن لقاء وزير وآخر في حفلات تكاذب. ورغم تراجع حِدَّة التحشيد الطائفي إثر 7 تشرين أكتوبر، إلا أن هذا ليس سوى أمر مؤقت، بل وتم خرقه في مناسبات عديدة.

ليس لنا الدخول في تكاذب هؤلاء، ولكن المهم أن يُدرك المرء أن مهادنة هذه الأنظمة مع بعضها البعض هو تكاذب. ويكفي أن نرى بأن مؤتمر هذه أل 57 نظام يوم 11 نوفمبر 2023 في الرياض لم يتجاوز ترجي الأمم المتحدة أن تضغط على الكيان لوقف الإبادة في غزة، ولم يحصل بل اتسع إلى لبنان!

الدولة المركزية والقضية المركزية

كشف موقف الأنظمة العربية تجاه إنجاز وانتصار 7 تشرين عن تغلُّب الدولة القُطرية في الوطن العربي على الدولة المركزية العربية ولا سيما بعد تفوق الأنظمة الملكية التابعة على الجمهوريات سواء تهبيط مصر، واحتلال العراق وليبيا وإسقاط نظاميهما وتدمير سورية واليمن بل واحتلال جزء من كلتيهما.

وعليه، فإن هزيمة الدولة القومية أمام الدولة القُطرية قاد إلى تغييب مقصود للقضية المركزية بانقسام الأنظمة العربية إلى فريق تطبيعي متصهين وفريق صامت. ولم يخرج على هذا سوى سورية واليمن وبعض لبنان كونه جزءاً من محور المقاومة.

وفي الحقيقة فقد تم التمهيد لهذا التخلي عن القضية المركزية عبر مسيرة طويلة من المساكنة بين القوى السياسية التي تخلت عن جذريتها وعن هدفها في تغيير الواقع العربي بإسقاط الأنظمة القطرية وإنجاز الوحدة العربية وبين الأنظمة القائمة حيث تحولت تلك الأحزاب إلى أحزاب تعمل بموجب إملاءات أجهزة المخابرات في تلكم الأنظمة مما عزلها عن الجماهير ولم تحظَ بقاعدة شعبية ذات وزن. والمثير للشفقة أن هذه القوى لم ترفع إثر انتصار أكتوبر أي شعار مخالف لما تسمح به السلطات سواء علانية أو بالإيماء. ولذا شاهدنا هذه الحالة الذليلة في الشارع العربي بينما رأينا موقف الجيل الطلابي في الغرب وخاصة في الولايات المتحدة حيث تضامن طلبة الجامعات الكبرى في أمريكا والتي يمولها آباء هؤلاء الشباب الذين في حقيقة الأمر يشكلون بدايات أولية لشبيبة أممية.

المحور والثورة المضادة

شكَّل وجود المحور تغييراً جوهرياً في الساحة العربية حيث وقف في مواجهة الأنظمة التابعة التي هيمنت على الساحة العربية لعقود محور أو تكتل جديد مضاد لهذه الهيمنة من جهة والتابعة من جهة ثانية الأمر الذي دفع الثورة المضادة إلى درجة كبيرة من الاستقطاب والاستهداف في طبعات من نمط ناتو عربي، أو الاتحاد العربي الذي تقوده السعودية ضد اليمن. ولكن 7 تشرين دفعت الصهيونية العربية كجزء من محور الأعداء إلى الوقوف ضد محور المقاومة سواء بالصمت عن إبادة غزة أو المشاركة في العدوان ضد غزة وإسعاف الكيان بالمواد الغذائية وشن حملة تشويه للمحور ولطوفان الأقصى على يد الطابور السادس الثقافي مما أقنعنا بأن هذه الأنظمة أي الصهيونية العربية هي الجيش الأول في جيش العدوان.

ولا نقصد بهذا فاعليتها العسكرية، ولكن وبشكل محدد خيانتها للقضية العربية الفلسطينية كقضية مركزية، كيف؟

إن الوضع الطبيعي لأي بلد عربي إثر يوم 7 تشرين/ أكتوبر أن يقوم بإسناد الطوفان عبر ما لديه من إمكانيات. إن قدرة البلدان العربية على دعم المقاومة متعددة من طرد السفراء ووقف المتاجرة، ومقاطعة منتجات أي بلد ضمن محور الثورة المضادة، وتخفيض ضخ النفط وصولاً إلى قطعه... إلخ

إن موقع الوطن العربي قادر على شل العالم بأكمله وتركيعه لصالح قضايانا لو قامت الأنظمة العربية بأربع خطى:

- إغلاق الممرات المائية/البحرية أسوة بما فعلت اليمن

- وإغلاق الطرق البرية

- وإغلاق الأجواء

- ووقف الاستيراد من الدول المعادية علماً بأن الوطن العربي من المناطق التي لديها أعلى تراكم من السيولة المالية والحاجة للاستيراد.

لكن ما حصل، كما أشرنا أعلاه، أن معظم هذه الأنظمة قد انقسمت بين عدو وبين صامت. ولذا، فإن ما يجب أن نرد به على الذين يدينون نصر الطوفان بأن هذه الأنظمة هي التي يجب أن تُدان وتُخلع لأنها هي التي قصَّرت في القيام بدورها وواجبها أي ردف الكفاح المسلح بالحرب الاقتصادية واللوجستية... إلخ.

إن موقف الصهيونية العربية المضاد للثورة هو الذي خدم العدوان المعولم ضد محور المقاومة وخاصة ضد جبهة الإسناد سواء من لبنان واليمن وسورية، ولذا وسَّع العدو الثلاثي عدوانه ضد لبنان واليمن، وواصل عدوانه ضد سورية.

خلاصة القول، فإن كافة هذه التطورات تؤكد بأن طوفان الأقصى هز العالم ولم تتوقف تداعياته بعد، وأكد أن الصراع مديد من جهة وتناحري من جهة ثانية وهذا، كما بدأنا هذه المقالة سوف يقود إلى حدث شعبي عربي كبير، علينا التحلي بوعي نقدي وحس ثوري وقرار ومبادرة جريئة للإحاطة بالحدث والسير في مقدمته وصولاً إلى النصر في معركة التحرير. وكما كتب ماوتسي تونغ: «تجرَّأ على النصر».

عام على طوفان الأقصى والمقاومة تواجه

د. انتصار الدنّان ـ كاتبة صحفية وإعلامية فلسطينية ـ لبنان

عام على طوفان الأقصى، أثبتت خلاله المقاومة الفلسطينية أنها قادرة على الاستمرار في مواجهة العدو الصهيوني المدجج بالأسلحة، والمدعوم من قبل دول الغرب الكبرى وأميركا والرجعية العربية، وسط حاضنة شعبية فلسطينية أظهرت ومازالت استعدادًا كبيرًا للتضحية والصمود.

عام مرّ على العمليّة العسكريّة التي نفذتها كتائب القسام، يوم السابع من أكتوبر عام 2023، التي أتت تحت عنوان» عملية طوفان الأقصى»، التي تعتبر الأكبر في تاريخ الصراع الفلسطيني مع العدو الصهيوني، والتي فاجأت العدو الذي لم يكن متوقّعًا عمليّةً نوعيّة كالتي نفّذتها المقاومة، الأمر الّذي شكّل صدمة كبيرة لدى العدو.

طيلة هذا العام، يعمل العدو بكل قوته العسكريّة بمساندة من حليفته أميركا، بالإضافة إلى ألمانيا وبريطانيا وغيرها من الدول الغربيّة، وسط صمت عربي مطبق على المجازر التي يقترفها العدو بحق البشر والحجر في غزة، وبرغم ذلك ظلّت المقاومة الفلسطينية صامدة في وجه جيش لا يمت للإنسانية بصلة، حيث كبدته خسائر فادحة على الصعيدين البشري والمادي، وشلّت اقتصاده بنسبة كبيرة. كما أدت مساندة المقاومة اللبنانية جنوب لبنان على تهجير المستوطنين من مستوطنات الشمال ما أدى إلى زيادة العبء عليه، الأمر الذي أدى إلى هجرة عكسية للمهاجرين اليهود، قلصت حلم نتنياهو في التوسع في الوقت الذي يستولي فيه على أراضي المواطنين الفلسطينيين لتوسعة مستوطناته تحت حجة أمنية.

كل ذلك الدعم الواضح للعدو في المال والسلاح والوقت للقضاء على المقاومة في غزة لم ينجح، استعمل العدو كل الأسلحة المحرمة دوليًا، استهدف الكنائس، المساجد، المدارس، المستشفيات، وكل الأماكن الحية، والبيوت، قتل الأطفال والنساء والشيوخ، اعتقل الرجال ونكل بهم، استخدم سياسة الترعيب والنزوح، واستخدم سياسة التجويع، قصف آبار المياه، منع دخول الوقود، اغتال الصحافيين، وبرغم ذلك لم يستطع الوصول إلى قادة المقاومة لاغتيالهم واستعادة الأسرى.

أمام هذا العجز الكبير في غزة، اتجه نتنياهو لتوسيع حربه في الضفة التي يحلم وزيرا نتنياهو بتسلئيل سموتريتش، وإيتمار بن غفير بتوسيع رقعة المستوطنات والقضاء على المقاومة في الضفة، فاستعمل أساليب قتالية جديدة كالتي استعملها في غزة، حيث صارت المسيرات وسلاح الطائرات الحربية أداة للتدمير والقتل، تحت مبرر القضاء على «إرهابيين»، فمنذ بداية الحرب في غزة، وبحسب تقارير أفادت بأن جيش الاحتلال عمد إلى قتل أكثر من 600 مواطن فلسطيني في الضفة، وفي الوقت نفسه ازدادت اعتداءات المستوطنين على المواطنين الفلسطينيين، خاصة بعد أن طالب إيتمار بن غفير بتسليح 10 آلاف مستوطن بحجة الدفاع عن أنفسهم، وكل ذلك يتم تحت حماية الجيش. كما عمد الاحتلال إلى سياسة الانتقام من سكان الضفة بعد تنامي وتيرة المقاومة في وجه الاحتلال، فقام الاحتلال بإجراءات عديدة بحق أهالي الضفة، فنفذ الإغلاق الشامل على الضفة، وأغلق المنفذ الوحيد للسفر عبر الأردن، وقام بتقطيع أوصال الضفة إلى مربعات منفصلة تقيّد حركة انتقال السكان بين مناطق الضفة، وأصدر قرارات دعت إلى إطلاق النار على كل عربي يقترب من أي مستوطنة، كما منع الاحتلال دخول الأيدي العاملة الفلسطينية في الضفة أراضي الـ48، وتخفيض المؤن والوقود، وعمد إلى تجريف وتخريب الشوارع في المخيمات والبلدات التي يقتحمها.

لم يكتفِ العدو بكل تلك الإجراءات التي قام بها في الضفة، وسياسة القتل والتجويع

في غزة، بل فرض سياسة التنكيل بالأسرى والأسيرات في السجون، ما أدى في بعض الأحيان إلى استشهاد عدد منهم، كما عمد إلى سياسة الضرب المبرح بحق الأسرى، والتجريد من الملابس، منع الزيارات، الحرمان من طبخ طعامهم، حرمانهم من العلاج والأدوية.

أمام هذا العجز الكبير الذي لم يستطع من خلاله الحصول على نجاحات، شن حربًا في محور الشمال مع المقاومة الإسلامية، حيث عمد في بدايتها بسلسلة إجراءات، منها تفجير البيجر، واللاسلكي، واغتيال القادة، وصولًا إلى اغتيال الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، وكل ذلك لم يمنع المقاومة جنوب لبنان من التصدي له وتكبيده الخسائر تلو الخسائر، خاصة بعد استهداف المقاومة بالصواريخ حيفا وتل أبيب وأماكن أخرى.

أمام ذلك، لم يستطع نتنياهو وجيشه حتى اللحظة من استعادة الأسرى والقضاء على المقاومة، وردع حزب الله، والقضاء عليه، بل ما حصل على النقيض من ذلك صدور صرخة من جيش العدو الذين وقعوا على عدم رغبتهم في العودة إلى الحرب، وأما ما يحدث في الشارع الإسرائيلي، نرى أن تلك الدولة المريضة مع انتهاء الحرب ستحدث فجوات في بنيتها الاجتماعية، حيث نشرت مجلة زمان الإسرائيلية عند بداية الحرب أن 470 إسرائيليًّا هاجروا ولن يعودوا إلى أراضي فلسطين المحتلة، كما هاجر الآلاف من العمال والدبلوماسيين، وانخفض عدد المهاجرين اليهود إلى «إسرائيل»، وفي منتصف عام 2024 ذكرت صحيفة تايمز أوف إسرائيل أن نصف مليون إسرائيلي غادروا ولن يعودوا، وعليه، فإن هذه الدولة المريضة عند انتهاء الحرب ستفقد شرعيتها، وستزيد الانقسامات السياسية فيها، وستكون أمام تحديات اقتصادية، وستعمل الدولة على رفع الضرائب، وتقليص الخدمات العامة، عندها سيتقلص حجم المهاجرين اليهود هذا إن لم يتوقف بشكل كامل، وهجرة كل من أتى إلى هذه الأرض بحثاً عن الأمان، وهذا ما يؤكده سموتريش عندما أعلن بأنه سيقدم مكافأة مالية لكل مهاجر سيأتي إلى «إسرائيل».

في السنوية الأولى..

الطوفان سيخلد كانطلاقة الثورة الفلسطينية

محمد حمد

يتحتم علينا في الذكرى السنوية الأولى لمعركة طوفان الأقصى المقاربة بينها وبين جميع الأحداث الخالدة وطنياً و تشخيصها بعمقها الاستراتيجي بالرغم من نتائجها العسكرية الإجرامية الصهيونية المباشرة على الشعب الفلسطيني في غزة .

معركة طوفان الأقصى لا يجب تقييمها آنياً وعلينا أن نتحلى بالنفس الطويل لاستشراف الرؤية المستقبلية لها حيث أشعلت هذه المعركة المنطقة بشكل شبه كامل وتعددت جبهات الإسناد بطريقة الحروب التدريجية ، هذا يجعل للقضية الفلسطينية صدى دائم الحضور في عقول وقلوب شعوب القوى المساندة، الأمر الذي أعاد التألق السياسي للقضية الفلسطينية من جديد وبقوة توازي قوة تأثير المعركة عسكرياً على العدو الذي يغرق في رمال غزة من غير إنجاز للأهداف المعلنة وكذلك الأمر على جبهة الجنوب اللبناني مما يجعل العدو يفقد التوازن ويعتمد أسلوب ردات الفعل غير المحسوبة رغم نتائجها العسكرية المؤلمة ولكنها تزيد من غرقه بالوحل كلما تقدم.

هناك ضغوط من داخل الكيان تتمثل بمظاهرات الجمهور الإسرائيلي ومطالبتهم بإعادة ذويهم الأسرى لدى المقاومة، وأيضا المطالبة بالعودة إلى مستوطنات الشمال مما يشير إلى عدم قدرة هذا الجمهور على تحمل نتائج الحرب وبالتالي هذه الحالة تصبح ورقة رابحة بيد المقاومة.

أن نتائج معركة الطوفان العميقة تميل إلى الإيجابية بعمقها الاستراتيجي رغم سلبية المشهد إلا أنها ستصبح ذكرى مشرقة بتاريخ الصراع الطويل مع الاحتلال الصهيوني وستنتهي بالانتصار الحتمي للشعب بتحقيق التحرير والعودة وإقامة الدولة الحرة المستقلة.

في الذكرى الأولى لانتصار السابع من أكتوبر التاريخي: الخط البياني للمقاومة في صعود والعدو إلى هزيمة وانكسار

عليان عليان ـ باحث وكاتب سياسي ـ الأردن

في الذكرى الأولى لمعركة طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر 2023، نستذكر ذلك اليوم الذي سجلت فيه كتائب القسام وفصائل المقاومة، ملحمة تاريخية ونصرًا إعجازياً مرغت فيه أنف العسكرية الصهيونية، وأذلتها ميدانيًا وسيكولوجيًا، بتدمير قوات الاحتلال في محيط القطاع، وأسر العشرات من كبار الضباط والجنود الصهاينة ودك المواقع الصهيونية بآلاف الصواريخ، وإلحاق خسائر هائلة جدًا في صفوف العدو على صعيد القتلى والجرحى وتدمير ما يسمى بنظرية الأمن القومي الإسرائيلية، ما دفع حكومة العدو الفاشية لأن تستنجد بالولايات المتحدة ودول الغرب لدعم الكيان من السقوط، وأن تعلن بأنها في هذه المواجهة الكبرى مع المقاومة، باتت تدافع عن وجود الكيان الغاصب الذي تلقى ضربة ساحقة لم يتلقَّها منذ نشوئه عام 1948.

نستذكر في ذلك اليوم الصدمة التي هزت المنظومة الاستعمارية الغربية، وهي ترى الكيان الصهيوني يترنح أمام ضربات المقاومة، حين هرع الرئيس الأمريكي جو بايدن ووزير خارجيته بلينكن، والمستشار الألماني «أولاف شولتز» ورئيس وزراء بريطانيا «ريشي سوناك»، لشد أزر الكيان والإعلان عن دعمه بكافة السبل حتى يقف على قدميه.

لقد دشنت المقاومة الفلسطينية في ذلك اليوم، فصلاً غير مسبوق في تاريخ القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، من زاوية (أولاً) إعادتها الصراع مع العدو الصهيوني إلى مربعه الأول، في أنه صراع وجود وليس صراع حدود وأن سمة الصراع معه كانت وستظل تناحرية بامتياز و (ثانياً) ضربها في الصميم مشروع التسوية الأوسلوي ومشتقاته والمعاهدات الموقعة مع العدو الصهيوني ابتداء من كامب ديفيد مروراً بأوسلو ووادي عربة واتفاقيات التطبيع الأبراهيمية.

إنجازات المقاومة

لقد حققت المقاومة الباسلة في قطاع غزة والضفة الفلسطينية حتى اللحظة إنجازات كبيرة غير مسبوقة في تاريخ الصراع مع العدو الصهيوني، بالاستناد إلى الحلفاء الأوفياء في محور المقاومة (حزب الله ، اليمن بقيادة حركة أنصار الله ، المقاومة العراقية، الدور المحوري لإيران)، الذين انتقلوا من حالة الإسناد

لقطاع غزة إلى حالة المشاركة الفعلية في القتال من خلال قصف عمق الكيان الصهيوني بمئات الصواريخ، ومن خلال قيام الحرس الثوري بقصف القواعد العسكرية الإسرائيلية مرتين ، الأولى في 13 نيسان (إبريل) الماضي والثانية في مطلع أكتوبر (تشرين الأول) الماضي، وكذلك انتقال حزب الله بعد استشهاد سيد المقاومة حسن نصر الله، إلى مرحلة الحساب المفتوح وإيلام العدو عبر قصف معظم قواعد ومنشآت العدو العسكرية والاقتصادية ومنشآت البنية التحتية في الجليل وحيفا وعكا وطبريا وصفد ونهاريا وتل أبيب يومياً بمئات الصواريخ، وعبر شل حركة قواته في منطقة الحافة قرب السياج الحدودي وإيقاع خسائر هائلة في صفوف العدو على الصعيدين البشري والمادي.

أولاً: ضربت في الصميم البعد الوظيفي للكيان الصهيوني، ووجهت ضربات نجلاء للأسس التي قام عليها الكيان الغاصب ممثلة ب (الاستيطان والهجرة والقوة المسلحة) فمبدأ الاستيطان ضرب بنزوح 250 ألف مستوطن من غلاف قطاع غزة ومن شمال فلسطين المحتلة، والهجرة المضادة تصاعدت ووصلت إلى رقم نصف مليون مهاجر حتى ديسمبر (2023) ووصلت وفق تقديرات إسرائيلية إلى حوالي مليون حتى نهاية سبتمبر (أيلول) الماضي، والقوة العسكرية البشرية سقطت صباح السابع من أكتوبر، وتهشمت لاحقاً جراء ضربات المقاومة الفلسطينية وضربات أطراف محور المقاومة، ولحقت بها خسائر هائلة تجاوزت عشرة آلاف بين قتيل ووفق وسائل الإعلام الصهيونية، التي ناقضت بيانات الناطق العسكري لقوات الاحتلال .

ثانياً: نقلت قضية تحرير فلسطين، من زاوية الإمكانية التاريخية إلى زاوية الإمكانية الواقعية وبرهنت أن تحرير فلسطين أمر ممكن، على عكس ما روج دعاة الاستسلام باستحالة هزيمته ولجوئهم إلى طرح مشاريع التسوية، التي لم يأبه بها العدو وألقى بها في سلة المهملات.

ثالثاً: أعادت القضية الفلسطينية إلى سلم أولويات المجتمع الدولي بقوة واقتدار، بعد أن تراجعت في ظل اتفاقيات التطبيع الأبراهيمية، التي روجت للرواية الإسرائيلية وقبلت أن تكون كياناتها الوظيفية مجالاً حيوياً وأمنياً للكيان الصهيوني.

رابعاً: وجهت ضربة قاسية لمسار التطبيع مع العدو الصهيوني ولنهج التسوية المذل.

خامساً: كشفت حقيقة أن النظام العربي الرسمي في معظم مفاصله شريك بصورة وأخرى في المؤامرة على المقاومة، ومتخندق في خندق العدو الصهيوني والإمبريالية الأمريكية من موقع التبعية.

سادساً: حققت أكبر عزلة للكيان الصهيوني منذ نشأته، وأعادت الاعتبار للرواية العربية في فلسطين، من خلال الثورة الشعبية العالمية والمظاهرات في مختلف الجامعات الأمريكية والغربية المواكبة لطوفان الأقصى والمنددة بجرائم الإبادة الجماعية التي أطاحت بمقولة معاداة السامية التي طالما تسلحت بها الحركة الصهيونية منذ المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897 .

سابعاً: خلقت أزمات مركبة غير مسبوقة للكيان الصهيوني على الصعيد الاقتصادي وعلى صعيد فقدان الجبهة الداخلية لتوازنها، وانقسام ما يسمى بالمجتمع الإسرائيلي عمودياً وأفقياً وانعدام ثقة جمهور المستوطنين بالقيادتين السياسية والعسكرية، وضرب ما يسمى بجهاز المناعة « القومي» الذي يفتح الباب واسعاً أمام الهجرة المضادة وهروب الاستثمارات إلى الخارج.. إلخ.

مراكمة الانتصارات: استشهاد السنوار رافعة للمقاومة

على مدى عام كامل تعرض قطاع غزة لأبشع وأقسى عدوان صهيو أميركي أطلسي في التاريخ، شاركت فيه إمبرياليات الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وألمانيا وغيرها عبر تزويد الكيان الصهيوني بآلاف الأطنان من الأسلحة والذخائر والقذائف ذات القدرة التدميرية الهائلة، وعبر مدها بآلاف العناصر من المرتزقة، وبمشاركة طائرات التجسس التي لم تغادر قطاع غزة لحظة واحدة، ومشاركة أجهزة الاستخبارات الغربية التي أقامت غرفة عمليات لها في محيط القطاع ، وبمشاركة العديد من الرجعيات العربية التي أمدت الكيان بما يلزمه من مواد غذائية وطبية، وسمحت للقواعد الأمريكية على أراضيها بالمشاركة الفعلية في العدوان.

لقد تعرض قطاع غزة الذي لا تزيد مساحته عن 360 كيلو متراً مربعاً لأبشع حرب صهيو- إمبريالية كونية، أدت إلى تدمير ما يزيد عن 70 في المئة من مباني قطاع غزة، وتدمير كافة المؤسسات التعليمية والصحية والخدمية جراء القصف التدميري لكل مدن ومخيمات وبلدات القطاع، بما يعادل ثلاث قنابل ذرية كتلك التي ألقيت على مدينتي ناكازاكي وهيروشيما، ما أسفر عن استشهاد وإصابة ما يزيد عن 140 ألف فلسطيني، عدا الآلاف تحت الأنقاض، ونزوح حوالي مليون فلسطيني، من الشمال إلى الجنوب، يتعرضون للقصف يومياً، هذا كله عدا حرب التجويع التي لا تقل خطورة عن آلاف المجازر التي ترتكب بحق شعبنا.

كما أنه رغم الفارق الهائل في ميزان القوى بين المقاومة الفلسطينية وبين الكيان الصهيوني المدعوم أطلسياً، خاضت المقاومة في قطاع غزة قتالاً أسطورياً، يجمع بين المواجهة المباشرة والقتال العصابي، مستفيدةً من معجزة الأنفاق الإستراتيجية، وجرت العدو إلى صراع التوتر المنخفض، لإفشال الفارق في ميزان القوى وتحييده، ومن ثم تمكنت في مراحل العدوان المستمرة في مناطق الشمال والوسط والجنوب، من هزيمة قوات الاحتلال في المواجهات البرية عبر عشرات الكمائن المحكمة وحقول الألغام، وإلحاق خسائر هائلة بها على صعيد القتلى والجرحى، باعتراف قادة سابقين في جيش الاحتلال مثل الجنرال إسحق بريك وغيره .

ولم يغير من واقع الانتصارات المتحققة على الأرض استشهاد قائد معركة طوفان

الأُقصى التاريخي «يحيى السنوار» ، الذي خاض قتالاً ملحمياً ضد العدو حتى الرمق الأخير، وارتقى مقبلاً غير مدبر في أشرف المعارك وأنبلها ، ليلتحق بقافلة شهداء الوطن الكبار من أجل قضية وطنه وشعبه، ومن أجل كرامة الأمة العربية من المحيط إلى الخليج، وليضرب قوة المثال والأنموذج في القيادة لأبناء أمتنا في أطول معركة خاضها الشعب العربي الفلسطيني والأمة العربية في تاريخ الصراع العربي الصهيوني .

فاستشهاد القائد الرمز لم ولن يغير من واقع هزيمة العدو وانتصارات المقاومة، ارتباطاً بمرونة القيادة ووجود بدلاء أكفاء للقائد، وبخطط لا مركزية لإدامة المقاومة، وبمقاتلين يمتلكون مهارات عالية في القتال وتكتيكاته، كل ذلك بالاستناد إلى عقيدة قتالية وإرادة صلبة وقضية من أعدل القضايا في هذا العالم.

ما يجب أن نشير إليه باعتزاز، أن الضفة الغربية شبت على طوق التنسيق الأمني للسلطة الفلسطينية، وباتت كتائبها المسلحة تندغم في معركة الطوفان، وتخوض معارك شرسة مع العدو الصهيوني في جنين ونابلس وطولكرم وقلقيلية والخليل وفي كافة أرجاء الضفة الغربية ، ولعل دورها المتقدم في معركة رعب المخيمات يؤكد أن الضفة بما فيها القدس مقبلة على انفجار كبير على شكل انتفاضة جماهيرية ومسلحة، بعد أن قدمت منذ السابع من أكتوبر 2023 (759) شهيداً حتى تاريخ 18 أكتوبر (تشرين الأول) 2024، واعتقال أكثر من11400 فلسطيني من الضفة الغربية والقدس منذ بدء حرب الإبادة حتى 21 من تشرين الأول 2024 وفق إحصائية هيئة الأسرى والمحرَّرين الفلسطينيين ونادي الأسير الفلسطيني.

خطة الجنرالات

لقد سعى العدو إلى استخدام تكتيك الإبادة الجماعية منذ بدء الحرب وتطويرها لاحقاً عبر خطة الجنرالات التي يجري تنفيذها الآن في محافظة شمال غزة وخاصة في مخيم جباليا وبيت لاهيا منذ أكثر من ثلاثة أسابيع، التي تتضمن قطع كل إمدادات الحياة عن أبناء شعبنا من ماء وغذاء ودواء، وتفعيل عمليات القتل بالأحزمة النارية والناقلات والربيوتات المفخخة، ومنع وسائل الدفاع المدني من مزاولة عمليات الإنقاذ، وقصف المستشفيات، ما أدى إلى استشهاد ما يزيد عن 700 فلسطيني كل ذلك بهدف تهجير شعبنا وإبادته وخلق واقع جغرافي وديموغرافي جديد، وتحويل المنطقة الشمالية إلى منطقة أمنية ومعزولة وفارغة من السكان للاستفراد بالمقاومة، لكن المقاومة بكل فصائلها تصدت لهذا الأسلوب النازي وعملت ولا تزال تعمل على إفشاله بتكتيكاتها العسكرية، وبكمائنها المركبة وبجرأة مقاتليها التي ألحقت بالعدو خسائر هائلة جداً، على النحو الذي حصل بتاريخ 20 أكتوبر الماضي، حين تمكن مقاتلو كتائب القسام من قتل قائد اللواء (401) العقيد «إحسان دقسة». وإصابة ثلاثة ضباط آخرين بجروح خطيرة، والعقيد «دقسة» من أكثر قادة الكيان الصهيوني إجراماً وفاشية .

عوامل الانتصار

وهذه الانتصارات المتراكمة مرتبطة بعدة عوامل أبرزها:

-1وحدة الفصائل على أرض المعركة في إطار غرفة العمليات المشتركة.

-2استمرار منظومة القيادة والسيطرة العمل بكفاءة، واستمرار عمل منظومة الاتصالات بين القيادة والمجموعات المقاتلة، ومنح أكبر قدر من اللامركزية لمجموعات المقاومة في ضرب قوات الاحتلال.

-3العقيدة القتالية التي تحكم دور رجال المقاومة وفق الشعار الناظم «إنه لجهاد نصر أو استشهاد» يضاف لذلك المهارات القتالية العالية جداً، والتنويع في التكتيكات القتالية .

-4الحاضنة الاجتماعية للمقاومة التي ظلت على موقفها الداعم للمقاومة ورفدها بآلاف المقاتلين الجدد، ناهيك أن هذه الحاضنة أفشلت مخطط التهجير الذي عمل عليه العدو منذ بداية الحرب.

تثمير الانتصارات في مفاوضات صفقة التبادل

لقد سعت الإدارة الأمريكية – التي نصبت نفسها وسيطاً إلى جانب الوسيطين المصري والقطري– أن تحقق بالمفاوضات ما عجز العدو الصهيوني عن تحقيقه بالحرب حيث طرحت عدة مبادرات على مدار ثمانية شهور، منذ مفاوضات باريس وصولاً للمفاوضات المتنقلة بين القاهرة والدوحة، وكان أبرزها مبادرة (صفقة) (6) مايو (أيار) الماضي الأمريكية ومبادرة (صفقة) بايدن في (2) تموز (يوليو) الماضي، التي وافق المفاوض الفلسطيني على بنودها وتنكر لها العدو الصهيوني.

لقد ظل المفاوض الفلسطيني ثابتاً على موقفه – رغم المرونة التكتيكية في الصياغات - بالاستناد لمعطيات المعارك على الأرض لصالح المقاومة، وبتوجيه من قائد المقاومة يحيى السنوار، وتبدى هذا الموقف بالتمسك بمطالب وشروط المقاومة ممثلةً بوقف إطلاق النار بشكل دائم/ انسحاب قوات الاحتلال من عموم قطاع غزة/ عودة النازحين من جنوب القطاع إلى شماله/ إعادة إعمار قطاع غزة / والأهم إنجاز صفقة تبادل أسرى يتم فيها تحرير آلاف الأسرى وفي المقدمة منهم ذوي الأحكام المؤبدة والطويلة.

الحروب تقاس بنتائجها السياسية

يمكننا الجزم بأن مخرجات الحرب مطلق حرب، يتمثل بتحقيق الأهداف السياسية المتوخاة منها، فالحرب وفق المنظر العسكري الإستراتيجي البروسي الأشهر في التاريخ «كارل فون كلاوزفيتز» هي امتداد للسياسة بوسائل أخرى.

فالعدو الصهيوني حدد ثلاثة أهداف لهذه الحرب وهي : القضاء على حركة حماس والمقاومة في قطاع غزة/ إنقاذ الأسرى الصهاينة لدى المقاومة بقوة السلاح/ تحويل قطاع غزة إلى منطقة لا تشكل أي تهديد أمني ل (إسرائيل)... يضاف لذلك الهدف المضمر ممثلاً بتهجير أبناء القطاع، وقد فشل في تحقيق أي منها.

حرب الإبادة الشاملة في غزة: تجويع وتدمير النظام الصحي

علي زيدان ـ باحث وكاتب سياسي ـ لبنان

مارس جيش الاحتلال الصهيوني في قطاع غزة، منذ بداية الحرب في شهر تشرين أول/ أكتوبر 2023، حرب إبادة مدروسة وممنهجة، شملت عمليات القتل الجماعي دون تمييز للمدنيين في مراكز الإيواء، وتدمير البنى التحتية، ومنع دخول المواد الأساسية، وتجويع الناس، والعمل على نشر الأمراض التي تفتك بالسكان. وكان الحصار شاملاً من جميع الجهات، براً، وبحراً، وجواً، بهدف عزل غزة عن العالم، والاستفراد بها، وإبادتها بمشاركة أمريكية وتواطؤ عربي مريب. لقد منع الكيان الصهيوني متعمداً دخول المساعدات التي تكدست على المعابر البرية من أجل تجويع أهل غزة وإذلالهم، والضغط على المقاومين ودفعهم إلى الاستسلام. وعلى هذا الأساس، أغلق الجيش الصهيوني جميع المعابر البرية، ومنع دخول المواد الغذائية، والأدوية، والوقود الضروري لتشغيل المستشفيات والمرافق الأساسية. هذا الحصار أدى إلى فقدان المواد التموينية، ونقص شديد في الغذاء، وانتشار المجاعة، وسوء التغذية، كما أدى إلى انهيار مقومات النظام الصحي في القطاع وانتشار الأمراض والأوبئة.

لقد أدى الحصار الشامل إلى حرمان الفلسطينيين عمداً من الوصول إلى الغذاء والماء وغير ذلك من الضروريات الأساسية، حيث أصبح نحو 96% من سكان قطاع غزة يواجهون نقصاً حاداً في الغذاء وفقاً للأرقام الصادرة عن التصنيف المرحلي المتكامل للأمن الغذائي . وذلك بالرغم من أن القانون الإنساني الدولي، واتفاقيات جنيف الرابعة تمنع تلك الممارسات، وتحظر تجويع المدنيين عمداً، وتمنع عرقلة إمدادات الإغاثة، وتصنفها في خانة جرائم الحرب. لقد بدأ السكان بالتعرض لمخاطر المجاعة، والمعاناة من سوء التغذية، مما انعكس بصورة سيئة على الأطفال، أكثر الفئات تأثراً، حيث استشهد عدد كبير منهم بسبب الجوع وعدم توفر الحد الأدنى من الأطعمة الملائمة. وبات أكثر من 3000 طفل معرّضين للموت بسبب سوء التغذية الحاد ونقص الغذاء أيضاً، وانهيار القدرة على الوصول إلى الغذاء والرعاية الطبية. وتخشى بعض المنظمات الدولية من تسارع وتيرة الوفيات بسبب الجوع والمرض والحرمان من المساعدة الطبية. غير أن الكيان الصهيوني لا يكترث ولا يحترم القوانين الدولية والمعاهدات الإنسانية، كما أنه لا يبالي بقرارات محكمة العدل الدولية. على العكس من ذلك ظل الكيان الصهيوني يستخدم موضوع التجويع والمساعدات الإنسانية كسلاح في الحرب ، وكورقة ضغط في مواجهة المقاومة الفلسطينية كما في المفاوضات العبثية التي تديرها الإدارة الأمريكية. وبالرغم من هذا الوضع الكارثي، اكتفت الدول العربية بالمراقبة، بينما قام البعض بالتنسيق مع جيش الاحتلال وحكومة العدو الصهيوني، وإلقاء بعض المساعدات، التي لا تغني ولا تسمن من جوع، من الجو، عوضاً عن فتح المعابر البرية. وبالرغم من ذلك، فقد أعلن عدد من خبراء حقوق الإنسان التابعين للأمم المتحدة بأن حملة التجويع المتعمدة التي يشنها الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني هي جزء من حرب الإبادة الشاملة وقد أدت إلى مجاعة حقيقية في جميع أنحاء غزة.

حرب الإبادة المتواصلة التي يقوم بها الكيان الصهيوني وحلفاؤه النازيون لم تقتصر على ارتكاب المجازر وقتل المدنيين بالأسلحة الفتاكة فقط، بل يقوم بتدمير ممنهج ومخطط للمنازل ومراكز الإيواء المأهولة، وبشكل خاص المدارس التي تأوي النازحين. بالإضافة إلى ذلك، يقوم جيش الاحتلال بتدمير متعمد لمنشآت البنى التحتية مباشرة، حيث تقوم الجرافات العسكرية الثقيلة بجرف الشوارع وتدميرها حتى تصبح غير صالحة لمرور العربات المدنية وسيارات الإسعاف التي تنقل الجرحى إلى المستشفيات والمراكز الصحية. وبتدمير الشوارع والطرقات يتم تخريب وتدمير كافة منشآت البنى التحتية الممدودة في حرم الشوارع، بما في ذلك جميع المرافق الرطبة (خطوط المياه والصرف الصحي) والمرافق الجافة (خطوط الكهرباء والاتصالات)، وذلك من أجل إحكام الحصار على المدنيين، وجعل حياتهم لا تطاق، وبالتالي تحويل قطاع غزة إلى مكان غير صالح للإقامة والحياة، ومن ثم دفع السكان إلى الهجرة والحيلولة دون عودتهم إلى بيوتهم. وهذا النهج يهدف إلى التطهير العرقي، الذي يأتي في مقدمة أهداف الاحتلال. وينبغي القول إن تدمير منشآت البنى التحتية يؤدي إلى عدم وصول الكهرباء ولا إمدادات المياه الصالحة للشرب إلى السكان. لقد تم تدمير شبكات نقل وتصريف مياه الصرف الصحي بشكل كامل، بما في ذلك محطات معالجة الصرف الصحي، حيث فاضت مياه الصرف الصحي في الطرقات المجروفة، وتحولت إلى برك آسنة في الساحات بين الأحياء والمناطق المدمرة والمكشوفة. هذه المياه الراكدة باتت تشكل مكاناً خصباً لانتشار الروائح الكريهة، وتكاثر الحشرات، وانتشار الأمراض المعدية والأوبئة. وهذا يعتبر إمعاناً في الإبادة الجماعية للسكان والتخلص منهم على مرأى ومسمع المجتمع الدولي. لقد قام جيش الاحتلال بتفجير خزانات المياه في كافة المناطق، مثل خزان المياه الرئيس في حي تل السلطان بمدينة رفح (الذي تم بناؤه بتمويل من الحكومة اليابانية وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي عام 2018)، والذي يقع في مناطق تجمع النازحين التي حددها جيش الاحتلال على أنها آمنة. وتم تفجير أكثر من 700 بئر مياه وإخراجها من الخدمة. هذا العمل

الوحشي أدى إلى حرمان السكان من المياه الصالحة للشرب، وإعداد الطعام والطهي، ناهيك عن مقومات النظافة الشخصية. وبغياب مصادر المياه الصالحة للاستهلاك الأدمي، وفقدان مواد التنظيف، واكتظاظ النازحين في مراكز الإيواء، يعني انتشار الأمراض والأوبئة الناجمة عن نقص المياه. بالإضافة إلى ذلك، اختلطت النفايات المنزلية، مع النفايات الطبية، والجثث المتحللة تحت الأنقاض وتراكمت في الطرق والساحات والأماكن المدمرة. هذا الوضع الكارثي أدى إلى تحويل مناطق القطاع إلى أماكن موبوءة، تنتشر فيها كافة الأمراض المعدية والأوبئة الخطيرة مثل الأمراض الجلدية، والكوليرا، ومرض الكبد الوبائي، وشلل الأطفال وغيرها. وغني عن القول إن هذه الأمراض والأوبئة بالذات تنتقل بواسطة المياه الملوثة عند استعمالها للأكل والطهي، وغالباً ما يكون مصدر التلوث هو مياه الصرف الصحي. ونظراً لانعدام الرعاية الطبية والأدوية الملائمة فإنه من غير المستبعد أن تتفاقم الأزمة الصحية، وتنتشر أنواع كثيرة من الأمراض المتعلقة بالمياه. وقد ذكرت المصادر الحكومية في القطاع ومنظمة الأونروا أن هنالك أكثر من 71,338 حالة مرضية من التهاب الكبد الوبائي، وهنالك أيضاً ارتفاع في عدد حالات شلل الأطفال الذي بدأ بالانتشار بشكل مريب ولافت للنظر. وتجدر الإشارة إلى أن جيش الاحتلال قد ألزم جنوده بتلقي اللقاح منذ مدة، مما يشير إلى إمكانية أن يكون جيش الاحتلال قد استخدم الأسلحة البيولوجية خلال هذه الحرب، وهو أمر غير مستبعد عن هذا الكيان المجرم الذي استعمل هذه الأسلحة مراراً وتكراراً خلال تاريخه الأسود.

وتبين التقارير اليومية الواردة من قطاع غزة أن جيش الاحتلال النازي يتعمد تدمير المرافق الطبية واستهداف الكوادر الصحية. وهذا الوضع الكارثي سوف يؤدي، بلا أدنى شك، إلى تفشي الأمراض والأوبئة. وقد بينت تقارير المكتب الإعلامي الحكومي في قطاع غزة، أن سلطات الاحتلال تمنع دخول المعدات الطبية والأدوات الصحية اللازمة لاستمرار المستشفيات بأعمالها، مما يؤدي إلى تعطيل العمل الصحي عن الخدمة بشكل تام وإخراجه من خدمة المصابين. هذا بالإضافة إلى عدم توفر المواد الطبية خاصة المعقمات والأدوية اللازمة لمعالجة الجروح وتطهيرها. لقد تم استهداف المستشفيات والمراكز الصحية وتدميرها منذ بداية الحرب، مثل المستشفى المعمداني الأهلي ومستشفى الشفاء وغيرهما، حيث تعطلت نحو 34 مستشفى ونحو 164 عيادة ومركزاً صحياً، جميعها لم تعد صالحة للعمل، أما بعض المستشفيات فقد جرفها الاحتلال بحثاً عن الأنفاق المزعومة ومخازن الأسلحة ومن ثم حولها إلى مقابر جماعية، بعد أن قضى على المرضى والنازحين والأطباء والممرضين. ولم يتبق من المستشفيات العاملة سوى بضعة مستشفيات، مثل شهداء الأقصى ومجمع ناصر الطبي اللذين يعملان بالحد الأدنى، ولا يُمكنهما تقديم الخدمات الطبية الضرورية لجميع سكان القطاع. ليس ذلك فحسب، بل جرى اعتقال وتعذيب الأطباء بلا أي احترام لحقوق الإنسان، وراح أكثر من 890 شهيداً من الطواقم الطبية، بينما تم تدمير أكثر من 130 سيارة اسعاف وإخراجها من الخدمة كلياً. كل ذلك جرى ويجري على مرأى ومسمع المؤسسات الدولية والدول التي تدعي حماية حقوق الإنسان، ومن دون أي اعتبار للقوانين الإنسانية والاتفاقيات الدولية، مثل اتفاقية جنيف الرابعة (لعام 1948) التي تحظر المساس بالمؤسسات الطبية. وهكذا، بسبب انعدام الخدمات الصحية الضرورية وفقدان الأدوية وعدم توفر العلاج، باتت حياة آلاف المرضى الذين يعانون من الأمراض المزمنة في خطر ويواجهون الموت، مثل مرضى السرطان، وكذلك الأمر بالنسبة للنساء الحوامل وذوي الحاجات الخاصة. لقد أصبح معظم سكان قطاع غزة، أكثر من 1.8 مليون مواطن، يعانون من الأمراض التي لم تكن شائعة من قبل، مثل الأمراض الجلدية وأمراض وبائية أخرى بسبب عدم تمكنهم من تلقي العلاج اللازم، واكتظاظ النازحين وانتشار القمامة والنفايات والمياه الملوثة ومياه الصرف الصحي بين خيام النازحين.

وينبغي القول إن استمرار حرب الإبادة بكافة أشكالها الوحشية منذ أكثر من سنة، وما رافقها من تدمير ممنهج لكل مظاهر الحياة المدينية مع تشديد الحصار ومنع دخول الطعام والدواء والوقود وتلوث مصادر المياه وتراكم النفايات أدى كل ذلك إلى انتشار المجاعة وسوء التغذية، كما أدى إلى انتشار الأمراض وانهيار النظام الصحي كلياً. أمام هذا الوضع الإنساني الكارثي، بات على المجتمع الدولي، وخصوصاً من تبقى من الجماعات ذات الضمير الحي، أن يتحمل مسؤولياته القانونية والأخلاقية تجاه المدنيين في قطاع غزة، وأن ترفع الصوت عالياً من أجل وقف حرب الإبادة، والضغط على الكيان الصهيوني الإرهابي من أجل إدخال المواد الغذائية والأدوية، وكافة المستلزمات الطبية والصحية التي تحافظ على بقاء الإنسان على قيد الحياة. وينبغي العمل على فضح الجرائم الصهيونية الوحشية بحق المدنيين، وتقديم الرواية الحقيقية لما يجري معززة بالوثائق والصور وباللغة القانونية التي لا يستطيع عاقل أن ينكرها. وينبغي على القوى الداعمة لحقوق الشعب الفلسطيني أن تكثف تحركاتها والضغط على الحكومات الغربية لوقف إرسال الأسلحة ودعمها للكيان الصهيوني، وفتح المعابر البرية أمام إدخال المساعدات الإنسانية. ومن المستبعد أن يكون هنالك تأثير في العالم العربي، حيث إن المنظمات الجماهيرية لا تستطيع حتى ممارسة أضعف الإيمان، أي الدعاء بالقلب. من ناحية أخرى، ينبغي على اللجان المحلية الانتباه إلى أهمية الأمور الصحية قدر الإمكان، خصوصاً من قبل اللجان المحلية، وإمكانية تخفيف العبء عن كاهل المواطنين المنكوبين، ومحاولة توفير الحاجات الأساسية خصوصاً للأطفال والنساء الحوامل وذوي الأمراض المزمنة والحاجات الخاصة، وأيضاً توفير لوازم التنظيف للنازحين ومنع احتكارها. هؤلاء النازحون باتوا لا يملكون شيئاً، بل دفعوا حياتهم وفقدوا بيوتهم وممتلكاتهم وأسرهم للدفاع عن الأرض والهوية والوطن والمقاومة. ولا ينبغي بأي حال من الأحوال تركهم يواجهون مصيرهم في مهب الريح، أو أن يتعرضوا للمهانة أو الإذلال والابتزاز.

عام على صمودٍ فاق الأسطورة... التداعيات والمآلات

علي بدوان ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ سورية

تقديم... صمود غزة كسر إرادة الاحتلال

انتهى عام كامل، وبدأ عام جديد من الحرب الوحشية الدموية التي مازالت تَشنها دولة وكيان الاحتلال على شعبنا في عموم قطاع غزة والضفة الغربية وصولاً إلى الحرب العدوانية المُفجعة التي تَشنُّها «إسرائيل» على لبنان الشقيق، بما يجري خلالها من استهداف للمدن والقرى والبلدات بشكلٍ رئيسي، ولضاحية بيروت الجنوبية، ضاحية الكرامة.

لقد احتلت الحرب الضروس المُشتعلة في فلسطين ولبنان مع العدو «الإسرائيلي»، المركز الأوّل كأطول مواجهة في سلسلة الحروب الفلسطينيّة، والعربيّة مع دولة وكيان الاحتلال منذ قيامها الطافر على أنقاض الكيان الوطني والقومي لشعبنا العربي الفلسطيني.

فجاءت ومازالت تلك الحرب كسراً لإرادة الاحتلال، فلم تكن حرباً خاطفة ليحتل بها ويفعل ما يشاء كما فعل في حروبٍ سابقة، وخاصة منها حرب العام 1967 عندما تم احتلال أضعاف مساحة فلسطين التاريخية (سيناء والضفة الغربية وباقي القدس والجولان) ومهاجمة عدة دول عربية بوقتٍ واحد، في حربٍ لم تَدم سوى ستة أيام.

كما كسرت معادلة الحرب الأخيرة المستمرة منذ عام، وصمود شعبنا العقيدة الأمنية «الإسرائيلية» المسماة «عقيدة وإستراتيجية الردع السريع» الّتي تقع الحرب الخاطفة في مركزها. وانهار الجدار الحديديّ النظري والعملي الّذي بنته على مدى سنوات بهدي نظريّة المتطرف الصهيوني وزعيم إحدى العصابات قبل النكبة (فلاديمير جابوتنسكي) كسبيل وحيد للإبقاء على وجودها في المنطقة.

حاولت وتحاول «إسرائيل» في الحرب، استعادة ما تسميه دوماً بإستراتيجية الردع «الإسرائيلية» التي أشرنا لها والتي انهارت بشكلٍ جدي من قطاع غزة إلى الضفة الغربية إلى لبنان. ففي فلسطين، إنَّ العدوان متواصل بالتوازي مع الحرب على لبنان، حرب الإبادة على القطاع وقرى ومخيمات الضفة الغربية، ولا ننسى القدس ومحيطها وريفها في هذا المقام والتي يقاتل أهلها بالطريقة التي يرونها في ظل الوضع الخاص للمدينة.

من جانبٍ آخر، فشلت دولة الاحتلال ومن خلفها الولايات المتحدة ووزير خارجيتها أنتوني بلينكن في أهدافهما التي وضعوها في مسار الحرب ومنذ الأيام الأولى: حرب إبادة، وإفراغ القطاع، وتهجير من يبقى حياً من سكانه ومواطنيه نحو سيناء المصرية والأردن وباقي أصقاع المعمورة.

صمد شعبنا ومازال، ولسان حاله يقول (نموت ولن نكرر تجربة النكبة) فانهارت لعبة التهجير رغم القتل الموجع والقصف الجوي بطائرات (إف 35) والجوع والتعطيش ونقص الأدوية وشحها وفقدان مقومات الحياة. وانهارت لعبة (الميناء العام) الذي كلف نحو 300 مليون دولار في أهدافها غير البريئة من أجل فتح الطريق البحري أمام مواطني غزة للخروج عبر البحر إلى أصقاع المهاجر والمعمورة.

كما فشلت دولة الاحتلال بإعادة الأسرى «الإسرائيليّين» والقضاء على قوى المقاومة والحركة الوطنية الفلسطينية عموماً، ووضع تصورات أُطلق عليها «ما بعد غزة» أو «ما بعد الحرب» وكلها كانت تهدف ومازالت لفصل قطاع غزة عن الولاية الجغرافية للأرض الفلسطينية والدول الفلسطينية القادمة.

ما فوق الفاشية التي تنتعش

لقد أنعش واقع (ما فوق الفاشية) حالة نتنياهو في الوقت الحاضر، وسال لعابه أكثر فأكثر، فبات شعور رئيس الحكومة «الإسرائيلية» بنيامين نتنياهو ومن معه من غلاة المتطرفين من أحزاب الصهيونية الدينية والحريدية (شاس ويهوديت هتوراه)، ومجانين حزب الليكود، بأنه مطلق اليدين ويستطيع تحقيق جميع أهدافه مستنداً إلى :

أولاً: الدعم اللوجستي التام والكامل من واشنطن بالسلاح والعتاد والمال... إلخ، والغطاء السياسي السميك الذي توفره لحماية كيان «إسرائيل» من المجتمع الدولي الناقم عليها والمتضامن كلياً مع الشعب الفلسطيني وبغالبيته الساحقة. وثانياً: مُستنداً أيضاً (نقصد نتنياهو) لهرولة التطبيع من قبل أنظمة عربية بعينها، لم تحرك ساكناً من أجل الشعب الفلسطيني الواقع تحت النار، إن لم نقل بأنها شريك في الجريمة. أما باقي الأنظمة العربية إجمالاً فصوتها مُتحشرج إن لم يكُن غائباً بما في ذلك جامعة الدول العربية العتيدة.

إن نتنياهو بفاشيته العالية التوتر والتواتر، تم وصفه وتوصيف كيانه بأنه يقوم بعملية (إبادة للبشر والشجر والحجر) بطلبات متزايدة تم التقدم بها من دول وأنظمة محترمة في العالم وعلى رأسها جمهورية جنوب إفريقيا وما تلاها من دول إلى محكمتي العدل والجنايات الدولية في لاهاي في هولندا، لكنه مُشبع أيضاً بالتوهم بتحقيق ما يسميه «النصر المطلق» حتى لو كلف الأمر أنهاراً من الدماء من أطفال ونساء فلسطين ولبنان. إنَّ هذا الشكل من الفعل الإجرامي سيجر نهاية المطاف بقادة أمن وعسكر وسياسيي كيان الاحتلال إلى المحاكم الدولية.

نعم، فشل نتنياهو و(الكابينيت) الوزاري الضيق الخاص به في تركيع فلسطين وشعبها، ولبنان ومقاومته، فالمقاومة مازالت مستمرة وقد أغرقت جيش الاحتلال في أوحال غزة ورمالها، رغم تدمير سلاح جو الاحتلال عبر استخدامه أعلى تقنيات القتل والتدمير لكل البنى التحتية في القطاع وعموم المؤسسات ومحاصرة وكالة أونروا واستخدام حرب التجويع والتعطيش.

لهذا سارع للنهج المعروف «إسرائيلياً» لتحقيق إنجازات تكتيكيّة من خلال العودة لعمليّات الاغتيال في فلسطين ولبنان، التي كانت أحد أساليب العصابات الصهيونية قبل وبعد النكبة، وباستخدام غريزة الانتقام والاعتداد بالقوّة في مجتمع عصابات التهويد. فبات نتنياهو مخمورًا ومزهوًّا بانتصارات لحظيّة نحو الطريق الّذي رسمه لنفسه، أو رسمته له الصهيونيّة الدينيّة الاستيطانيّة المتطرّفة المهيمنة على حكومته وعلى حزبه، والّتي تحلم بأن تعيد التاريخ الماضي لتكتبه من جديد برؤيتها ونهجها.

إنَّ التركيز على الإيغال في نهج الاغتيالات، وكأنه مفتاح الفوز عند نتنياهو في حربه المجنونة على الشعب الفلسطيني، يأتي من ينابيع التطرف في بنية كيان الاحتلال الذي شق طريقه بالعنف الدموي والاغتيالات التي لم توفر حتى الوسيط الدولي (الكونت برنادوت) قبيل العام 1948 الذي قُتِل برصاص (منظمة ليحي) الصهيونية الإرهابية، وبرصاص إسحق شامير الذي سيصبح بعد سنواتٍ طويلة رئيساً للحكومة في «إسرائيل» ورئيس وفدها لمفاوضات «السلام» في مدريد نهاية العام 1991.

فدولة الاحتلال ومنذ قيامها، تعتقد بأن ملاحقة واغتيال القادة الميدانيين الفلسطينيين سيوقف مسيرة الشعب الفلسطيني، وينهيها تماماً. هكذا اعتقدوا وفي ظل العودة لاغتيالات لم تتوقف طالت قيادات من مختلف الفصائل الفلسطينية. وقد ثَبُتَ، في التجربة الوطنية الفلسطينية، أن الاغتيالات واستهداف الكوادر والقيادات من قبل دولة الاحتلال، لن تعطي نتيجة، فالشعب الفلسطيني شعبٌ ولاّد، ورحم المرأة الفلسطينية لديه الخصوبة العالية وليس رَحماً عاقراً.

استخلاصات وتقديرات

بالاستخلاصات الأخيرة، نقول إن المرحلة التي تمر بها المنطقة في الفترات الحالية والقريبة القادمة حساسة جداً، ولا أعتقد بأن الأمور ستمر دون آثار دامغة، ودون تفاعلات، وتداعيات، وارتكاسات، بل العكس تماماً، فكل الأمور مرشحة لإدخال المنطقة إلى مزيد من الأنفاق والدهاليز، وحتى الانفلات، ولن يخسر في حينها سوى من يُكابر ويعتقد نفسه بأنه يُعيد رسم خرائط المنطقة وتوزيع المصالح، على حساب أبناء وشعوب المنطقة وفقاً لمشيئته وما يراه.

إنَّ حرب الإبادة ما زالت مُستمرة، والمقاومة في فلسطين وعلى جبهة الشمال مع لبنان، مازالت حية ونابضة، إنما وعلى ضوء الواقع المُتعلق بالدور الأمريكي والهوان العربي، يصعّب الوصول إلى صورة واضحة واستنتاجات قاطعة بالنسبة للقادم في المنطقة، فالحرب ما زالت مستمرّة والغموض يكتنف مستقبل تطوّرها في وضع تتشابك به رؤى ومصالح ومواقف القوى الدولية والإقليمية، لكننا على ثقة بأننا أهل البلاد والوطن، ولن نكون كشعوبٍ أصلية جارت عليها الأزمان وجرت إبادتها من قبل المستعمرين في أزمانٍ غابرة.

إنَّ كيان الاحتلال في تكتيكاته في الحرب على لبنان تتم وفق سياسة التصعيد المُتدرج، لكن هذا التصعيد المتدرج قد يتحوّل إلى حالة مُتدحرجة نحو الحرب أوسع في فلسطين وعلى جبهة الشمال مع لبنان، وإلى غرق «إسرائيلي» في الأوحال، التي تجعل عملية الخروج من الحرب بحاجة لـــ «تفاهمات» أو غيرها عبر أطراف محايدة.

أخيراً، ينبغي القول بأن كفاح الشعب الفلسطيني واللبناني ومقاومتهما حدث سياسي إستراتيجي متدحرج، يضعنا أمام سيناريوهات متعدّدة في منطقة حبلى بالتطورات السياسية القادمة.

يحيى السنوار
شهيد فلسطين من النهر إلى البحر

سامي سماحة ـ كاتب وعميد سابق في الحزب السوري القومي الاجتماعي ـ لبنان

عندما كنت أقرأ أوراق النعي التي كتبها الأصدقاء والرفقاء، كنت أقول إنه تسرّع ليس في محله لأنني شخصياً لا أصدق رواية العدو ليس في موضوع السنوار بل في أي موضوع آخر. أما وقد نعته حركة حماس فقد صار الخبر حقيقة.
كثر هم الرجال الذين يسعون للمجد، كثر هم الرجال الذين يسعون لاقتناص الفُرَص .
قلة هم الرجال الذين يسعى المجد إليهم، قلة هم الرجال الذين تسعى الفُرَص لتكون من نصيبهم .

لم يكن يظن أحد أن القائد يحيى السنوار رئيس المكتب السياسي لحركة حماس يرابط على الجبهة كما يرابط المقاتلون، وينتقل من متراس إلى متراس كما يفعل المقاتلون، كنا نعتقد أنه في النفق الأعمق والأطول، في النفق الخُلدي «الخُلد» الذي يُعد متاهة من المتاهات التي يصعب على العقل فك رموزها. وعندما سمعنا أنه استشهد في موقع متقدم قلنا إنها واحدة من أكاذيب هذا العدو وواحدة من إشاعاته .

استشهد السنوار مشتبكاً مع العدو في الخطوط الأمامية، ليس لقلّة في العدد أو العديد، ولا استعجالاً لنيل شرف الشهادة، بل هو أعلى مراتب القيادة القدوة، وأعلى مراتب الإيمان بالانتماء إلى الأرض والشعب، وأعلى مراتب الثقة أن النصر آت بعد صبر ساعة، وأعلى مراتب فنون القيادة .

لون وجهه من لون التراب، لوّحته خيوط الشمس فصار أسمر بلون جذوع الزيتون والليمون وتراب سهل مرج بن عامر .

لأنهم يذهبون إلى المعركة بثقة المنتصر يخافهم الموت ويفرُّ من أمامهم، لم يكن قصدهم الذهاب إلى الموت، ولا إلى الخلود بل كان قصدهم الذهاب إلى النصر، لذلك يأتي الخلود إليهم ويكسب شرف احتضانهم .

سلام على يده التي اكتسبت شرف الضربة الأخيرة، سلام على عينيه اللتين حدّقتا في الدرون قبل أن تصل إلى جسده القذيفة، سلام على روحه التي انتصرت على الخطر، ولم تعرف الخوف وهي تغادر الجسد الطاهر، سلام على صوته المبحوح الهاتف دائماً لحياة فلسطين .

سلام على الجسد الممشوق كشجرة الحور العاصية على الانحناء ، وأسقطتها عاصفة ذوي القربى قبل أن تسقطها خناجر الأعداء، سلام على الروح المقتولة بالغدر قبل أن تُقتل بقذائف العدو .

يأخذونك إليهم أنت المختلف معهم في المبادئ والأفكار والفلسفة وتفسير التاريخ والهوية، والمتوافق معهم في شيء واحد هو تحرير فلسطين من النهر إلى البحر، وفي لحظة اشتداد نار المعركة، تغلب غاية التحرير الخلافات فيمتزج الدم بالدم وتتفاعل الروح مع الروح ويحافظ العقل على ميزة الخلاف الفكري لأنه طريق الإبداع في الحياة والكون والفن، كيف لا يأخذك السنوار إليه حتى ولم يأت إليك، فالضرورات تبيح المحظورات وحين يكون الموضوع تحرير فلسطين تصبح البندقية مع البندقية والكتف على الكتف وتُصبح المتاريس متراساً واحداً .

أمثال يحيى السنوار لا يرحلون، لا ينتقلون بالموت إلى الجهة الثانية من الوجود، لا يتركون فلسطين، فهم كالتراب لا يقوى على اقتلاعه طوفان الأعداء ولا طوفان ذوي القربى، باق في مكانه ما بقيت الطبيعة وما بقيت الأرض والسماء والليل والنهار .

هذا الشعب الذي تستشهد قيادات مقاومته في الميدان عصي على الانكسار ، عصي على الموت ،عصي على غاية حرب الإبادة .

قيادات المقاومة شهداؤها فإرثهم باق إلى ما بعد النصر .

الاقتصاد السياسي للحرب على غزة وتداعياتها

د. غسان أحمد أبو حطب
مدير برنامج دراسات التنمية التابع لجامعة بيرزيت/ فلسطين - قطاع غزة

إن معالجة الظواهر المركبة والمعقدة السيسيو/اقتصادية والتي بالضرورة يجب أن تربط الحقلين السياسي بالاقتصادي والعكس تتطلب توظيف منظور الاقتصاد السياسي كمنظور عابر للتخصصات وقادر على تفسير الظواهر المركبة كظاهرة السوق الغزي وتحولاته ضمن سياق الحرب مع ما يتضمنه ذلك من تحولات في الخارطة الاجتماعية الطبقية ارتباطاً بالسيناريوهات السياسية لليوم التالي للحرب.

مقدمة:

بعد مرور اثني عشر شهراً، أصبح اقتصاد غزة مشوهاً، ولكن أكثر من أي شيء آخر، دمرته الحرب. فقد انخفض النشاط الاقتصادي إلى مستويات شبه معدومة، مع اختفاء بعض القطاعات تماماً من الاقتصاد نتيجة للدمار الذي أحدثته آلة الحرب الصهيونية.

اقتصاد غزة: قبل الحرب

في عشية الحرب، كان اقتصاد غزة «مغلقاً بالكامل تقريباً»، وكان القطاع الخاص في حالة هشة ومكتئبة وعلى مدى عقدين من الزمان، انتهجت إسرائيل سياسة متعمدة لإلغاء التنمية، ففرضت قيوداً صارمة على النشاط الاقتصادي ــ فضلاً عن كل أشكال الحياة اليومية ــ وأرغمت غزة على الدخول في حالة من الحرمان المصطنع ومنذ اندلاع الانتفاضة الثانية 2000 فرضت إسرائيل حصاراً خانقاً على الجيب الساحلي. وقد أدى الحصار الذي خنق النشاط الاقتصادي إلى جزء ضئيل من حالته الطبيعية، إلى إحداث أزمة إنسانية، اتسمت بانخفاض مستويات المعيشة، وانتشار البطالة على نطاق واسع، والقيود المفروضة على حرية التنقل، وعدم إمكانية الوصول إلى الخدمات الأساسية لشرائح كبيرة من السكان.

ونتيجة لهذه السياسة الرامية إلى إضعاف التنمية، انخفض مستوى المعيشة في غزة بشكل حاد، ففي الفترة من عام 2006 إلى عام 2022، انكمش معدل نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 27%. وفي عام 2006، تمتعت غزة والضفة الغربية بتكافؤ نسبي في هذه الأرقام، ولكن بحلول عام 2022، انكمش نصيب الفرد في الناتج المحلي الإجمالي في غزة إلى ربع نظيره في الضفة الغربية فقط. وقد أدى الدمار الناجم عن الحروب المتعددة والقيود المفروضة من قبل الكيان الصهيوني إلى جعل الاقتصاد ضعيفاً وبحلول سبتمبر/أيلول 2023، وصف صندوق النقد الدولي مخزون رأس المال في غزة بأنه «راكد» وبنيته التحتية بأنها «مهجورة». وظل نمو إجمالي إنتاجية العوامل في غزة سلبياً، نتيجة «انخفاض مستويات رأس المال المادي والبشري، وتدهور المؤسسات، والافتقار إلى الابتكار الإنتاجي». وكان أكبر محرك لنمو الناتج المحلي الإجمالي في غزة هو الاستهلاك الحكومي، على عكس الاستثمار أو البناء الخاص في الضفة الغربية.

لقد أدى اختناق الاقتصاد إلى إفقار السكان. قبل الحرب، كان ما يصل إلى 60 في المئة من سكان غزة فقراء، مع اعتماد المزيد من الأسر على المساعدات أكثر من العمل المستقر. كان ما يقرب من نصف السكان 46 في المئة عاطلين عن العمل في الربع الثاني من عام 2023، مع 59 في المئة من الشباب و77 في المئة من النساء عاطلين عن العمل، على التوالي، وحتى بين أولئك الذين وجدوا عملاً في القطاع الخاص، فإن هذا لم يوفر سوى القليل من الحماية ضد الفقر. ووفقاً لتقديرات عام 2021، كان 90 في المئة من العاملين في القطاع الخاص يكسبون أقل من الحد الأدنى للأجور الفلسطيني. ومن غير المستغرب أن يكون لدى الناس في غزة مدخرات قليلة أيضًا، حيث بلغت ودائع القطاع الخاص40% الناتج المحلي الإجمالي بين عامي 2007 و 2022 .

اقتصاد غزة: في خضم الحرب

بحلول الربع الأول من العام 2024 انكمش الناتج المحلي الإجمالي بمعدل 86%، وأربعة من كل خمسة أشخاص عاطلون عن العمل، وقطاع الخدمات يعمل بشكل هامشي، وقد رافق ذلك توقف للصادرات، واقتصرت الواردات على كمية ضئيلة من السلع والخدمات على المسارين التجاري والإنساني.

ومن خلال تسليط الأضواء على ما آلت إليه أوضاع القطاع الزراعي فقد أفاد تقرير للأوتشا:

« يبين تحليل أولي صدر مؤخرًا لصور الأقمار الصناعية التي التُقطت عبر برنامج التطبيقات الساتلية العملياتية (اليونوسات) في شهر حزيران/يونيو 2024، التدهور الملحوظ الذي طرأ على صحة المحاصيل وكثافتها في 63 بالمئة من حقول المحاصيل الدائمة في قطاع غزة (94.2 من أصل 150 كيلومترًا مربعًا) بالمقارنة مع المستويات المعتادة التي لوحظت خلال السنوات السبع المنصرمة. ويشكل ذلك ارتفاعًا بنسبة 9 بالمئة في نسبة الأراضي الزراعية المتضررة منذ التحليل الذي أجري في شهر أيار/مايو 2024، ويُعزى ذلك إلى أعمال التجريف وحركة المركبات الثقيلة والقصف بالقنابل والقذائف وغير ذلك من الديناميات المتعلقة بالنزاع. وفي محافظة شمال غزة، جرى تقييم 75 بالمئة من الأراضي الزراعية على أنها متضررة في حزيران/يونيو 2024، في حين بلغت مستويات الأضرار التي جرى تقييمها في المحافظات الأخرى 69 بالمئة في غزة، و56 بالمئة في دير البلح، و58 بالمئة في خانيونس، و52 بالمئة في رفح. وشمل التحليل تقييمًا للأضرار التي لحقت بالبساتين وغيرها من الأشجار والمحاصيل الزراعية والخضروات، وتبين أنه في شهر حزيران/يونيو 2024 طرأ ارتفاع ملحوظ في نسبة الأراضي الزراعية التي تضررت في محافظتي غزة ودير البلح بالمقارنة مع الشهر السابق. فعلى سبيل المثال، ارتفع مستوى الأضرار التي لحقت بالمحاصيل في محافظة غزة من 61 بالمئة في شهر أيار/مايو 2024 إلى 69 بالمئة في شهر حزيران/يونيو 2024.»

وسط الركام يبرز اقتصاد الحرب:

ويقدر الخبراء بأن 80% من اقتصاد غزة باتت تسيطر عليه 5-8 شركات (غير رسمية بمعظمها)، فهي فقط من تستطيع الحصول على أذونات الاستيراد من طرف الكيان الصهيوني، وهي تتحكم في مفاصل اقتصاد الحرب، ولها شبكات واسعة من المرتبطين بها مصلحياً من أصحاب شاحنات النقل وفرق التأمين والحماية وسلسلة التجار حتى تصل بائع البسطة الصغير علاوة على شركات الصرافة (الشركات المرخصة بقطاع غزة 35 فقط يعمل منها الآن في الحرب 4 شركات فقط 3 في المحافظة الوسطى وواحدة في محافظة غزة)، وقد انتشر خلال الحرب عاملو الصرافة (سوق الصرافة غير الرسمي) وعددهم بالمئات وهؤلاء نسبة كبيرة منهم لها ارتباطات عضوية ومصلحية مع الشركات التجارية سالفة الذكر، وهذا أدى إلى تراكم السيولة النقدية لدى هؤلاء، كما ظهرت وسطهم ظاهرة التكييش (تسحيب الفلوس المحولة لهم عبر التطبيقات البنكية على حساباتهم من طرف المواطنين كموظفي السلطة والعاملين في منظمات المجتمع الأهلي والدولي والقطاع الخاص بعمولات جنونية وصلت 25%)، كما أنهم يتلاعبون بأسعار صرف العملات مستغلين الثروات النقدية السائلة بين أيديهم، ولما لازمة السيولة النقدية من تأثيرات مباشرة على الدورة الاقتصادية نورد هنا أهم تأثيراتها على الاقتصاد برمته:

وفقاً للتقارير الصادرة عن الأونروا وبحسب «مجموعة العمل المعنية بالنقد» التابعة لها فقد أشارت إلى أنه: «اعتباراً من آذار [مارس] 2024، أصبح الوصول إلى السيولة النقدية يمثل مشكلة متزايدة، وذلك بسبب: (أ) الضغط المتزايد على المؤسسات المالية المحلية نظراً لارتفاع عدد الأشخاص في المناطق الصغيرة، (ب) التحديات اللوجستية وتحديات السلامة والأمن في نقل النقد من البنوك وأجهزة الصراف الآلي وفيما بينها، (ج) الاتجاهات غير المنتظمة لإيداع النقد من الشركات والتجار في البنوك. وقد أثر هذا الأمر سلباً على القطاع الاقتصادي، ومن المحتمل أن يؤثر على العديد من عناصر العمليات العامة والإنسانية في حال عدم وجود حلول طويلة الأمد. وقد دأبت الجهات الفاعلة الإنسانية الدولية على العمل على استكشاف حلول للتخفيف من تحديات السيولة الحالية، من خلال:

1) طلب موافقة إسرائيل على استيراد وتشغيل مركبات مدرعة لاستخدامها في جمع ونقل وتوزيع النقد المادي بشكل آمن (لا تزال الموافقة معلقة)، وكذلك قطع الغيار والوقود لأجهزة الصراف الآلي .

2) إعادة إطلاق وتعزيز حركة تنقل الأموال.

ومع توقف قنوات الحقن النقدي، وفي الوقت نفسه اتساع قنوات التسرب، حدث اختلال كبير في قوى الطلب والعرض على كل عملة من العملات النقدية الرئيسية المستخدمة (الدولار، والشيكل، والدينار)، وبالتالي ظهور أزمة سيولة نقدية حادة وغير مسبوقة، الأمر الذي أدى الى ظهور شريحة «المكيشين» واتساع الفجوة بين أسعار صرف العملات الرسمية في البنوك والأسعار في السوق.

كما أدّت أزمة السيولة النقدية في غزة إلى تراجع القدرة الشرائية للمستهلكين بشكل كبير، وعرّضت قدرة الناس على الحصول على السلع الأساسية للخطر، كما حدّت من قدرة الشركات على شراء السلع ودفع الرواتب، وزادت من الاعتماد على المساعدات الإنسانية، من جملة أمور أخرى. ولمعالجة بعض تحديات السيولة النقدية هذه، زادت الجهات الفاعلة في المجال الإنساني من استخدام المحافظ الإلكترونية، مما مكّن المستفيدين من المساعدات في شتّى أرجاء غزة من إجراء المعاملات والمشتريات الرقمية، وفقًا لمجموعة عمل المساعدات النقدية المتعددة الأغراض. وقدمت اليونيسف، التي تغطي 60 بالمئة من جميع التحويلات النقدية الإنسانية في غزة، تحويلات نقدية رقمية استفادت منها أكثر من 40,000 أسرة منذ منتصف شهر أيار/مايو. وأشارت إلى أنه يمكن للمستفيدين تفعيل المحافظ الإلكترونية من خلال تطبيق أو بمساعدة مقدمي الخدمات دون الحاجة إلى هاتف ذكي. وأشارت اليونيسف إلى أنه في حين أن السحب النقدي لا يزال خيارًا متاحًا، إلا أن 40 بالمئة ممن شملهم المسح بعد تلقي المساعدات اختاروا تحويل الأموال إلكترونيًا إلى محافظ إلكترونية أخرى. وفي الإجمال، أفادت مجموعة عمل المساعدات النقدية المتعددة الأغراض بأن نحو 190,000 أسرة تلقت دفعة واحدة

على الأقل من المساعدات النقدية متعددة الأغراض في الفترة الواقعة بين 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023 و7 تموز/يوليو 2024، حيث صرفت نحو 74 بالمئة منها المساعدات التي تلقتها. ومع ذلك، لا تزال المساعدات غير كافية لتلبية الاحتياجات بسبب تقلب الأسعار وانهيار الأسواق الرسمية، ولا سيما في شمال غزة.

دور اقتصاد الحرب في رص مداميك الهندسة السيسيو/سياسية:

مما لا شك فيه أن العدو يحاول جاهدًا فرض رؤيته لليوم الثاني للحرب من خلال أدواته المتنوعة المباشرة وغير المباشرة، ويقوم بهندسة الخارطة الاقتصادية حيث إنه يتحكم بمفاصل الاقتصاد الفلسطيني والتي باعتقاده من الممكن أن تؤهله لإعادة رسم الخارطة الاجتماعية ارتباطاً بمحركها الاقتصادي من خلال شبكات احتكار القلة وبالتالي فرز قوى محلية بإمكانها إدارة قطاع غزة من خلال تعاونها التام مع الحكم العسكري الصهيوني للقطاع ، ولكن هذا السيناريو ضمن سيناريوهات متعددة تبحث وتناقش الآن بمختلف المحافل المحلية والعربية والإقليمية والدولية، وهناك عراقيل جدية تواجه هذا السيناريو أهمها لا أحد من الفلسطينيين ممكن أن يشارك في ذلك، وهذا بينه استطلاع أجراه المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية فقد وافق ما نسبته 1% من جموع المستطلعة آراؤهم على هذا السيناريو.

المصادر:

المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية» بتاريخ 5 / 3 / 2024

تقرير الأونروا رقم 118 حول الوضع في قطاع غزة والضفة الغربية التي تشمل القدس الشرقية.

مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية في الأراضي الفلسطينية «أوتشا»، «آخر مستجدات الحالة الإنسانية رقم 191 في قطاع غزة».

المصدر: اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الاسكوا)، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي حرب غزة: الآثار الاجتماعية والاقتصادية المتوقعة على دولة فلسطين، تحديث، مايو،2024.

الرسم البياني المرفق هو ضمن المقال ومصدره وارد في بداية الفقرة الأولى من المقطع الثاني من المقال: اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا... إلخ.

بعد مرور عام على طوفان الأقصى الدلالات والاستنتاجات

د. سامي الشيخ محمد ـ باحث أكاديمي سوري

لم يكن طوفان الأقصى في السابع من تشرين الأول العام الفائت الذي انطلق من قطاع غزة، حدثاً عادياً عابراً على صعيد قضيتنا الوطنية والإقليم والعالم، فقد شكل خطاً فاصلاً في تاريخ نضالنا الوطني والتحريري في فلسطين وما حولها، إذ كشف ضعف الكيان الصهيوني المحتل، وهويته الإجرامية المؤسسة على القتل والإجرام والإرهاب منذ نشأته الأولى إلى يومنا هذا.

أجل فالكيان الصهيوني في ميدان المواجهة القتالية مع قوى المقاومة في فلسطين وما حولها من قوى محور المقاومة العربية والإسلامية، أضعف وأوهن من أسطورة التفوق والغطرسة التي قام عليها.

ها هو بعد مرور عام على الطوفان عاجز أولاً عن تحرير أسراه لدى المقاومة، وعاجز عن تأمين أمن وسلامة مستوطنيه في غلاف غزة وشمال فلسطين المحتلة والضفة الغربية، وعموم فلسطين من النهر إلى البحر.

النقطة الثانية: اتساع ساحة المواجهة والمقاومة مع الكيان الصهيوني المجرم، على امتداد محور المقاومة من فلسطين إلى لبنان والعراق واليمن والجمهورية الإسلامية الإيرانية، بدعم وإسناد كبيرين من سورية، والتفاف جماهيري وشعبي واسع على امتداد العالم، على نحو غير مسبوق من تاريخ الصراع مع الاحتلال الصهيوني لفلسطين إلى يومنا هذا.

النقطة الثالثة:

انعدام الأمن في عموم فلسطين المحتلة بمستوطناتها الاحتلاليّة والمدن الصهيونية كافة، والشروع بالهجرة اليهودية إلى خارج فلسطين بمئات الآلاف ممن فقدوا الشعور بالأمان والثقة بالمؤسستين العسكرية والأمنية الصهيونية، وهي آخذة في الاتساع والازدياد يوماً إثر آخر.

النقطة الرابعة: تجذر روح المقاومة لدى قوى المقاومة في ساحات المواجهة في غزة والضفة وجنوب لبنان، رغم استشهاد قيادات الصف الأول في حركة حماس والمقاومة اللبنانية، ما يؤكد قدرتها على إيلام العدو الصهيوني وإلحاق الخسائر والهزيمة به على نحو تراكمي متصاعد.

النقطة الخامسة: انكشاف حقيقة بعض الحكومات العربية، ومدى انخراطها ووقوفها إلى جانب الكيان الصهيوني في عدوانه على المقاومة وشعبها، وينعتها بالإرهاب تغطية على جرائم الإبادة والتطهير العرقي الصهيونية بحق شعبنا في فلسطين ولبنان واليمن وعلى محور المقاومة في المنطقة.

النقطة السادسة: انكشاف حقيقة إثارة الفتنة والنعرات المذهبية في منطقتنا، التي تستهدف النيل من قوى المقاومة فيها وينعتها بالإرهاب وتكفيرها، خدمة للعدو الصهيوني المحتل.

النقطة السابعة: وحدة معسكر المقاومة والحواضن الشعبية له على امتداد ساحات محور المقاومة، الممتد من فلسطين إلى لبنان فسورية والعراق واليمن فطهران، في مواجهة العدوان الصهيوني المدعوم أمريكياً وغربياً ومن أطراف إقليمية وعربية في المنطقة.

طوفان الأقصى.. والمشهد الجديد

أحمد عويدات
كاتب فلسطيني ـ السويد

مضى عام وطوفان السابع من أكتوبر/ تشرين الأول لازال جارفاً وقد حمل معه رياح التغيير. انقضى عام ومضت معه تطورات حافلة بالتداعيات وصور الثبات والتضحية والصمود الأسطوري لأهل غزة. عام استثنائي جاءت به المقاومة بكل أطيافها، مسطرةً به صفحات لا تطوى من البطولة والبسالة والإباء لا يقابلها مثيل، صفحات سيتوقف عندها قارئو التاريخ مطولاً. كان عام هزيمة المشاريع الصهيونية وقوات الاحتلال الغازية، كان عاماً تغيَّرت فيه المواقف والسياسات الدولية والاصطفافات، وسقطت فيه كل الأقنعة والوجوه المزوّرة. عامٌ شَهِدَ نزف الدم الفلسطيني بما لا يُوصف، وبرع فيه الاحتلال النازي الفاشي بفنون القتل والتدمير الممنهج والإبادة الجماعية. عامٌ مضى على بدء الطوفان العظيم عاد فيه المارد الفلسطيني مزهواً بانتصاراته، لكنه مثخن بجراحه وآلامه لفقده القادة الشهداء الصغار والكبار والأهل وفلذات الأكباد، فداء للوطن الأسمى فلسطين، ومن أجل الزيتون والزعتر والبرتقال الحزين.

لقد أتت حرب نتنياهو الفاشية وقادة حربه القتلة على كل جوانب الحياة في قطاع غزة فلم تبقِ إلا النذر القليل من المنظومة الصحية من مشافٍ وتجهيزات وطواقم طبية وإسعافية. ودمرت القوات الغازية المنظومة التعليمية من مدارس وكليات وجامعات، وقتلت المئات من الكوادر التعليمية وآلاف الطلاب. ومع حلول الذكرى الأولى للطوفان ارتفع مؤشر الشهداء إلى 43 ألفاً والجرحى إلى ما يزيد على 97 ألفاً، إضافةً إلى 10 آلاف من المفقودين تحت الأنقاض وآلاف المعتقلين .لقد بات القطاع أكواماً من الأنقاض والدمار، دُفنت معه أحلام الفلسطينيين حتى تراثهم وزرعهم، ولم تعد هناك بنىً تحتية على الإطلاق. المشهد قاتمٌ وقاتلٌ لكنه حمل معه ما يبشّر بفجرٍ جديد، وكان أبرز ما أنتجته هذه الملحمة الكبرى أنها:

أولاً: أعادت وضع القضية الفلسطينية، بعد طول تجاهل وتهميش، على رأس اهتمامات معظم دول العالم، وإلى المكانة التي يجب أن تحظى بها في الأروقة الدولية من قبل منظمات وهيئات وشعوب وحركات وأحزاب ومؤسسات، وأعادت الاهتمام بها كقضيةٍ وطنية لشعب اقتُلِعَ من أرضه وصودر حقه التاريخي فيها ، بعدما كان ينظر إليها مجرد قضية معيشية وإنسانية، كما فنّدت الرواية «الإسرائيلية» القائمة على الكذب والخداع والأباطيل والخرافات وتزييف الحقائق طيلة عقود مضت، وصدقت بالمقابل السردية الفلسطينية مما يثبت الحق التاريخي لشعبنا بفلسطين لدى شعوب العالم. تم ذلك من خلال ما عبرت عنه في مظاهراتها الغاضبة واعتصاماتها الحاشدة وفعّالياتها المختلفة، المتضامنة مع حق شعبنا بالحرية وتقرير المصير، ومن خلال إدانتها الشديدة لجرائم ومجازر الاحتلال، وقتل الأبرياء من أطفال ونساء.

ثانياً: أكدت قدرة المقاومة على فرض أجنداتها وإيقاع الهزيمة بالعدو بامتلاكها قوة وسلاح الردع، وتوظيفها لأساليب القتال المختلفة والمتكيِّفة مع ظروف وطبيعة الأرض والمعركة. كما أن ثبات المقاومة وصمودها واستمرارها طيلة عام كامل برهن على قوّتها في التحكم بقواعد الاشتباك، وجر العدو إلى حرب استنزاف طويلة، على الرغم من سقوط الشهداء القادة وعلى رأسهم الشهيد يحيى السنوار وقبله الشهيد إسماعيل هنية رئيسي المكتب السياسي لحركة حماس، وغيرهما من القادة السياسيين والميدانيين من كافة الفصائل. ولا بد من القول هنا: إن عملية الطوفان أكدت أن المقاومة المسلحة خيار إستراتيجي لدحر العدو، وإسقاط مخططاته ومشاريعه، وأن لا شيء مستحيل أمام المقاومة التي بادرت إلى الهجوم، واستطاعت إفشال منظومته الأمنية والاستخبارية وكل حواجزه ودفاعاته، وكسرت إلى الأبد هيبة ومكانة جيشه المزوّد بأحدث الأسلحة والوسائل التكنولوجية. ولم يعد تلك الذراع الطويلة القادرة على الردع للولايات المتحدة وحلفائها بعد انهيار جنوده جسدياً ونفسياً، وفقدان التوازن أمام ضربات المقاومة النوعية.

ثالثاً: أفضت إلى تنامي الوعي الجماهيري خاصةً في صفوف النخب الجامعية والأكاديمية، وتأثير ذلك في الميدان السياسي والتعبوي في دولها. هذا ما شهدته مظاهرات واعتصامات الجامعات الأمريكية والأوروبية على وجه الخصوص، والتي قُمعت بقسوةٍ مُسقطةً أقنعة الديمقراطية وحرية التعبير لأنظمة هذه الدول.

رابعاً: أكدت عدم جدية دولة الكيان والولايات المتحدة، بقبول أية مبادرة سلام تضمن حقوق الشعب الفلسطيني - ولو بحدها الأدنى - وضمان أمن واستقرار دول المنطقة، وسقوط طرح حل الدولتين، ومبدأ «الأرض مقابل السلام» الذي تتبناه المبادرة العربية، واستبداله «إسرائيلياً» على لسان نتنياهو بمقولة «السلام مقابل السلام»، والاصرار على استمرار الاستيطان والتهويد، خاصة في الضفة الغربية التي كان فيها نحو200 ألف مستوطن قبل اتفاقات أوسلو، وأصبحوا الآن ما يزيد على 750 ألفاً. هذا بدوره يفضح حقيقة الفكر الصهيوني التوسعي

الاستحلالي والإجلائي، الذي بدا واضحاً في عرض نتنياهو مؤخراً أمام الأمم المتحدة لخريطة «البركة» ومشروعه للشرق الأوسط الجديد، وما يعبر عنه كل مطلع شمس الوزيران المتطرفان بن غفير وسموتريتش من ضرورة تهجير الغزاويين وبدء الاستيطان في غزة. ناهيك عما يصرِّح به ويطمح إليه الحاخامات من أن دمشق هي حدود عاصمة «أورشليم».

خامساً: أدت إلى إيقاف مسار التطبيع العربي الرسمي مع دولة الكيان ، وسقوط رهان الأنظمة عليه، بعد افتضاح أهداف هذا التطبيع في تقويض اقتصادياتها والتحكم بسيادتها، والاستيلاء على ثرواتها ومقدراتها، وقهر شعوبها. يتضح هذا من خلال رفض الشعوب لمخرجات هذا التطبيع، ومقاطعة فعالياته ورفض تواجد «إسرائيليين» في بلدانهم. وما المظاهرات التي خرجت بها الجماهير العربية، ومواقفها المناصرة لقضية الشعب الفلسطيني إلا تعبير عن هذا الرفض، ووعيها لخطورة هذه التطبيع ، ودوره في المشروع الصهيوني التوسعي.

سادساً: قادت إلى النجاح الدبلوماسي والسياسي والقانوني في استصدار عدد من القرارات الدولية، سواء من الأمم المتحدة باعتراف نحو 143 دولة بفلسطين كعضو كامل العضوية فيها، أو من محكمة العدل الدولية بقرارها التاريخي بعدم جواز احتلال الأراضي الفلسطينية، وتحديد مدة انسحاب دولة الاحتلال منها بعامٍ واحد. وأيضاً إصدار المحكمة الجنائية الدولية مذكرة اعتقال بحق نتنياهو ووزير دفاعه على خلفية ارتكاب جرائم حرب، وكذلك مثول « إسرائيل « لأول مرة أمام محكمةٍ دولية. إضافةً لصدور الكثير من القرارات المؤيدة لقضيتنا عن القمم والمؤتمرات والمنظمات والهيئات الدولية الأخرى.

سابعاً: دفعت إلى مزيدٍ من الاعتراف الدولي بدولة فلسطين وخاصة في أوروبا؛ مما يعطي دفقاً جديداً للقضية الفلسطينية على مستوى العالم. وازدياد دعم الأصدقاء والحلفاء وأحرار العالم في المحافل الدولية، وتجلى هذا في المقاطعة الواسعة للمنتجات والبضائع «الإسرائيلية»، والشركات العالمية الداعمة للاحتلال، كما ظهر من خلال قطع العلاقات الدبلوماسية أو تجميدها مع الكيان، وطرد السفراء خاصة في دول أمريكا اللاتينية، وبالعقوبات الاقتصادية على الكيان المارق؛ مما تسبب بعزلةٍ دولية كبيرة على المستويين الرسمي والشعبي في كافة أنحاء العالم.

ثامناً: قادت إلى اتساع القاعدة الشعبية للجماهير العربية والإسلامية وأحرار العالم المؤيدة للمقاومة، وارتفاع وتيرة المواجهة بأشكال مختلفة مع الكيان الصهيوني وداعميه وشركائه، والتفاف هذه الجماهير حول المقاومة لتشكل حاضنةً منيعة قوية لها شرقاً وغرباً، تؤسس لمرحلةٍ أوسع وأكبر في عملية المواجهة، في المزيد من الساحات إضافة ً إلى ساحات المقاومة في الضفة ولبنان واليمن والعراق، والتي شكلت جبهات دعم وإسناد لغزة.

تاسعاً: أفرزت هذه الملحمة وهذه الحرب أربعة اصطفافات: أولها معسكر الكيان الصهيوني وشركائه وداعميه، وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وألمانيا وفرنسا، والذين ما بخلوا على الكيان بالسلاح والعتاد ولوجستياً واستخباراتياً وسياسياً ودبلوماسياً. وثانيها معسكر الأصدقاء والحلفاء، مثل الصين وروسيا وجنوب أفريقيا وإيران ودول أمريكا اللاتينية، الذين كانت مواقفهم مشرفة في المحافل الدولية وفي إدانة مجازر الإبادة والعدوان على شعبنا. وثالثها معسكر الصامتين المتخاذلين، ومعهم العاجزين وأكثرهم من الدول التي تسمي نفسها عربية وإسلامية. ورابعها معسكر الوسطاء والسماسرة، الذين لا تعنيهم القضية بقدر ما يعنيهم إرضاء «السلطان». إن هذا الفرز الواقعي حكمته المصالح والشراكات والفكر العنصري العدواني المتنكر لحقوق الشعوب وقضاياها، ولم تحكمه المبادئ والعلاقات الدولية القائمة على احترام المواثيق والقوانين الدولية. كما لم تشفع وحدة الدم والمصير والتاريخ المشترك واللغة الواحدة لأن يصطف العرب مع شعبنا، فتُرك فريسةً تنهشها الأعداء. من جهةٍ أخرى، ساهم هذا الفرز في زيادة عجز المنظومة الدولية على فرض إرادتها وقوانينها بوقف إطلاق النار، أو إدخال المساعدات، أو السماح بمعالجة المصابين، وفك الحصار عن المشافي.

عاشراً: تسببت بتدهور الوضع الاقتصادي للكيان في كافة القطاعات السياحية والصناعية والزراعية والتكنولوجية؛ نتيجة هجرة مئات الآلاف من المستوطنين وإغلاق مئات الشركات والاستثمارات والمصانع ، وخسارة اليد العاملة الآسيوية والفلسطينية الرخيصة من الضفة وغزة، واضطرار الآلاف من العاملين للالتحاق بالجيش الغازي كجنود احتياط؛ مما أفقد هذه القطاعات موظفين ذوي خبرة، وبدوره أدى هذا الوضع إلى ارتفاع نسبة البطالة، وارتفاع نسبة الدين إلى الناتج المحلي إلى أكثر من 65%، وبلغ العجز لهذا العام نحو 23 مليار دولار، والزيادة في الإنفاق العام بلغت 12.5%. و قد تضطر نحو 60 ألف شركة إلى الإغلاق بسبب الوضع الأمني الخطير. ولهذا السبب أيضاً قامت وكالة فيتش بتخفيض التصنيف الائتماني، وبيع شركة إكسا الفرنسية استثماراتها. أدى هذا كله إلى حالة من الركود الاقتصادي. ويبقى العامل الأهم ارتفاع كلفة الحرب إلى ما يزيد على 103مليارات دولار بحسب وزارة المالية «الإسرائيلية» مؤخراً.

من نافل القول: إن هذه الملحمة شكلت ضربةً إستراتيجية على كافة المستويات للكيان مؤكدةً إمكانية هزيمته. وأن كل أنواع الجرائم والإبادات التي ترتكبها «إسرائيل» وآخرها وليس أخيرها ما سمي «بخطة الجنرالات» لإفراغ شمال القطاع وقتل وتهجير أهله؛ لن تنال من جذوة المقاومة، ولن تكسر صمود شعبنا وتمسكه بأرضه. ولن تُطوى صفحات هذه الملحمة الفلسطينية الكبرى والمستمرة منذ عام وأكثر، وإن قضى قادتها الذين صنعوها؛ فإن رفاق الدرب وإخوة المصير لازالوا على العهد مستمرين بالطوفان نحو النصر الحتمي.

إن المشهد الأخير الذي أورثه لنا الفارس المشتبك الشهيد يحيى السنوار قائد هذه الملحمة ترك فيه إرثاً وزخماً نضالياً، وإرادةً لا تلين وإصراراً على الاستمرار بالنضال والمضي نحو الوطن فلسطين.

كتائب الشهيد أبو علي مصطفى

Abu Ali Mustafa Brigades

الشهيد الرفيق والقائد الميداني البطل

سليمان عماد حسن

«أبو عماد»

والذي استشهد يوم الأحد الموافق ٢٠٢٤/١٠/٢٧ على أرض الجنوب اللبناني الصامد على الحدود مع فلسطين المحتلة أثناء قيامه بواجبه النضالي في التّصدي للعدوان الصهيوني دفاعًا عن شعبينا الفلسطيني واللبناني

بعد عام على طوفان الأقصى... استحقاقات اليساريين والاشتراكيين تجاه القضية الفلسطينية تتطلب النقد والتصحيح

أسامة العبد الرحيم ـ أمين عام الحركة التقدمية الكويتية

بعد انقضاء عام على عملية «طوفان الأقصى» المجيدة، وما تبعها من تطورات كبرى على مستوى القضية الفلسطينية وعودتها إلى الصدارة كقضية محورية ضمن الاهتمام الإقليمي والعالمي، بل وأصبحت محدداً لاتجاه مسار تاريخ المنطقة والعالم، ما يفرض على جدول أعمال قوى اليسار والاشتراكية في العالم والمنطقة العربية على وجه الخصوص مراجعة نقدية شاملة لمواقفها ورؤيتها وبرامجها، انطلاقاً من مسؤوليتها الاجتماعية والسياسية والأخلاقية، واستيعاباً لدورها التاريخي المفروض في هذه المرحلة المفصلية كقوى طليعية في هذا الصراع، فإنه وللأسف، الكثير من القوى اليسارية والتقدمية في العالم والوطن العربي تعاني من انزلاقات فكرية شلت عقلها أمام التحديات التي واجهتها وتواجهها ما أفرغ خطابها من المضمون الثوري والمعبر عن مصالح الشعوب، ومنها من سقط في وحل الانتهازية وساوم لمكاسب صغيرة لا قيمة لها أمام الخسائر والتنازلات التي صبت لصالح الإمبريالية وتوابعها، وغيرها من القوى التي أصبحت وللأسف على الهامش لضعف دورها ونشاطها، وتعود لكل أسبابه وظروفه ومعطيات واقعه الخاص، منها الأسباب الموضوعية ومنها الذاتية، ولسنا هنا بصدد الخوض بالتفاصيل، وكذلك يجب أن ننوه إلى أنها مسؤولية يحملها كل حزب وحركة وتنظيم على عاتقه، فنحن هنا نشير إلى ما هو المطلوب منا جميعاً.

بالحديث عن رؤية اليسار للقضية الفلسطينية وموقفه تجاهها فيجب أن نُثبت انطلاقها من أساس أنها قضية تحرر وطني في مواجهة كيان صهيوني غاصب زرعته الإمبريالية في منطقتنا العربية كقاعدة متقدمة لها ليتولى القيام بدوره الوظيفي في خدمة المصالح والمشروعات الإمبريالية الغربية وتثبيت هيمنتها على منطقتنا وبلداننا وشعوبنا، وذلك بالارتباط مع المشروعات التآمرية الإمبريالية منذ بدايات القرن العشرين ممثلة في وعد بلفور واتفاقية سايكس – بيكو، التي استهدفت وطننا العربي، وتمزيق بلداننا، وتفريق شعوبنا، ونهب ثرواتنا. ونرى أنّ الموقف تجاه الكيان الصهيوني يجب أن يرتكز على التصدي لدوره كمخفر إمبريالي في المنطقة لمواجهة حركة التحرر الوطني العربي واستهدافها وإضعافها، وفرض اتفاقيات الاستسلام، وتمرير مشروعات تسيّده على المنطقة وتثبيت تبعيتها للإمبريالية تحت أسماء متعددة لما يسمى مشاريع الشرق الأوسط الجديد وصفقة القرن واتفاقات أبراهام وغيرها من المشاريع. ويجب أن يكون واضحاً أنّ الأساس في القضية هو اختلاق الكيان الصهيوني نفسه، وليس مجرد الاحتلال الصهيوني اللاحق للأراضي الفلسطينية في ٥ يونيو/ حزيران ١٩٦٧ وأنّ النضال ضد الصهيونية لا ينحصر في قيام دولة فلسطينية على الأراضي المحتلة بعد ذلك التاريخ فقط في إطار ما يسمى «حلّ الدولتين». ونؤكد على أنّ مقاومة المشروع الصهيوني مرتبطة بالنسبة للشعوب العربية وحركاتها التحررية بمقاومة الهيمنة الإمبريالية، وإنّ تحرير فلسطين مرتبط بالضرورة بتحرير شعوبنا وتحرر بلداننا وتضامنها ووحدتها... وتجسيد حقيقة أنّ القضية الفلسطينية هي القضية المركزية لشعوب أمتنا العربية وقواها التحررية.

ومن جانب آخر، فمن المهم الانطلاق من حقيقة أنّ مقاومة المشروع الصهيوني مرتبطة بالنسبة للشعوب العربية وحركاتها التحررية بمقاومة الهيمنة الإمبريالية، وإنّ تحرير فلسطين مرتبط بتحرير شعوبنا وتحرر بلداننا وتضامنها ووحدتها.

وبالتالي، فإنه من مهماتنا كجزء من حركات التحرر الوطني رفض أي شكل من أشكال التطبيع مع الكيان الصهيوني الغاصب، ودعم نضالات شعوب الدول المطبعة لإلغاء اتفاقيات الاستسلام والتطبيع، ونشر ثقافة مقاومة مضادة للصهيونية، ورد الاعتبار للمنظور الماركسي اللينيني الثوري للصهيونية بوصفها حركة عنصرية تمثل مشروع إمبريالي للهيمنة. ونحن بوضوح مع المقاومة، وضد التسويات وأنصاف الحلول المجحفة بحق شعبنا، وأن التمثيل الشرعي والوحيد لأصحاب السواعد التي ترفع السلاح بوجه المحتل وتكافح المحتل وداعميه لتحرير الإنسان والأرض.

فنحن في الوقت الذي نؤكد فيه التزامنا بالتضامن الكفاحي الشعبي بكل أشكاله مع الصمود الأسطوري للشعب العربي الفلسطيني ونضاله من أجل تحرير أراضيه المحتلة، وتقديرنا لتضحياته التي نُجلّها ودعمنا لحقّه الكامل في تقرير مصيره، إلا أننا نرى أن القضية الفلسطينية ليست مجرد قضية وطنية فلسطينية، وإنما هي قضية تحررية عربية مركزية تعني شعوبنا العربية وحركاتها التحررية في مواجهة الإمبريالية وتوابعها، وتعني أيضاً شعوب العالم وقواها التحررية ضمن الصراع الطبقي بين الشعوب والإمبريالية، وإن ما يقربنا من أي موقف يكون قربه من التحرير الكامل لأرض فلسطين من نهرها إلى بحرها، فلا سلامٌ يحل ما بقيت أقدام الصهيونية تقف على شبر من أراضينا

العربية، ولا مفر من قبضة الهيمنة الإمبريالية ما لم تُكسَر في منطقتنا.

وضمن سياق مواجهة الإمبريالية والصهيونية تبرز أهمية دعم صمود الشعب الفلسطيني وإسناد مقاومته، والعمل على فضح جرائم الكيان الصهيوني ومقاطعته وفرض طوق من العزلة عليه، وتحويل التضامن إلى إسناد مادي وملموس على جميع المستويات، فهي حرب طبقية شاملة ومفتوحة، يجب على قوى الشعوب الحية أن تقود الجماهير فيها دون كلل وملل ودون تردد وخوف، وأن تحمل على عاتقها تحقيق ما يطلق عليه بالمستحيل، فالثورة لم تكن للممكن، بل للمستحيل، لفرض أحلام الشعوب الحرة والكادحين والمقهورين على أرض الواقع.

ومن واجبات قوى اليسار والتقدم توحيد صفوفها وتكثيف جهودها وتحقيق أعلى درجة من التنسيق بين جميع القوى التحررية في المنطقة والعالم بحملات مضادة لحملات التطبيع والتخذيل والتشكيك ونشر ثقافة ووعي مقاوم مضاد للصهيونية.

وأخيراً وليس آخراً، أود التنبيه على أهمية تدقيق مفهوم المقاومة تدقيقاً طبقياً أكثر ثورية وشمولية، فهو وإن كان المفهوم يعبر عن الكفاح بكل الوسائل لمواجهة العدوان والغزو والاحتلال، إلا أنّ مفهوم المقاومة يتضمن إلى جانب مقاومة العدوان والغزو والاحتلال، مقاومة الهيمنة الإمبريالية ومشاريعها في كل العالم، والتصدي للركائز المحلية التابعة للإمبريالية في كل بلد، واستهداف المصالح الإمبريالية والصهيونية بكل الوسائل والسبل المشروعة والمتاحة.

ختاماً: في هذه الظروف العصيبة، والمنعطف التاريخي الكبير، فإن الوقت هذا أكثر من أي وقتٍ مضى، يحتاج فيه اليسار لإعادة تأهيل ذاته، لحاجة الشعوب الحرة والرازحة تحت بطش الإمبريالية حاجةً موضوعية لقواها الثورية الحاملة لمصالحها الطبقية الجذرية ولدورها بقيادتها في الصراع نحو التحرير والاشتراكية.

في الهدف

«فكر بغيرك»..

أحمد علي هلال ـ كاتب وناقد أدبي فلسطيني ـ سورية

حينما قالها محمود درويش يوماً: «فكر بغيرك» كان الشاعر الرائي المخترق قشرة الوقت، وليجلو الواقع هذه الكلمة المأثرة على نحو يجعل من الواقع ذاته ناطقاً بمرئيات الشعر، الواقع صورة ربما ستأتي معادلاً لما هجس به الشعراء، فكيف إذن بما ستجهر غزة بمحكياتها ومشهدياتها، وأدلها تلك الطفلة التي تحمل أختها الجريحة وتقطع بها مسافات من الألم والشوك والعراء، دون أن يساورها خوف أو جزع، تمضي بأختها على طريق يمتد كوريد القلب، ذاهبة إلى «البريج» هكذا تقول لمحدثها وفي وعيها أنها تذهب إلى جهة أكثر أمناً تحميها من جنون القصف وتغول الاحتلال في الأرض، تماماً كما حمل طفل ياباني شقيقه الأصغر خلال الحرب العالمية الثانية وسار به على غير طريق، لكن الفرق هنا أن شقيقه الأصغر قد توفي، فذهب ليودعه مثواه الأخير، فيما تحمل طفلة غزة أختها المصابة وتمضي بها لعلاجها ، إنها الطفولة المضاعفة والأمومة المتفوقة على الأمومة،و بثغر باسم ترد على أسئلة عابرة من مثل: إلى أين تمضين، وكيف تستطيعين حمل أختك الجريحة لتقطعي هذه المسافة كلها؟، الطفلة بكلام قليل لا تكترث للطريق، هدفها فقط الوصول لما يكمن أن يكون أماناً بالنسبة لكليهما، طفولة كبرت أم لم تكبر، لكنها مجاز أرض تحمل ناسها وتمضي بهم إلى مستقر لهم، الفرق في المشهديتين ليس محض زمن عابر بين أزمنة الحرب على الإنسان، وجوداً وهوية، بل هو زمن غزة - زمن فلسطين الذي صهر كل الأزمنة، ليصبح الشاهد الأنبل على قيامة الفلسطيني وسعيه على طريق الجلجلة.. على طريق القدس.

بعد عام من الطوفان
العقيدة العربية من إسرائيل بين الردع والاستجابة

د. عابد الزريعي ـ مدير مركز دراسات أرض فلسطين للتنمية والانتماء

مقدمة:

شكلت الذكرى السنوية الأولى لاندلاع معركة طوفان الأقصى مناسبة للتوقف والتحليل، ورصد الإنجازات التي حققتها المعركة، لصالح القضية الفلسطينية على كافة المستويات الوطنية والإقليمية والدولية، وما أحدثته من تفاعلات وتناقضات في بنية الكيان الصهيوني السياسية والعسكرية والاقتصادية والمجتمعية، وتعارضات في العلاقة بينه وحلفاؤه، إضافة الى تآكل صورته على المستوى الدولي. لقد سيطر هذا الجانب من التحليل على خطاب الباحثين والمحللين، وهي مسألة مهمة وطبيعية، خاصة وقد وجدوا أنفسهم لأول مرة في تاريخ الصراع العربي الصهيوني أمام مواجهة بهذا الحجم وهذه المدة الزمنية وهذه الإنجازات. وفي مقابل ذلك لم يحظ الجانب المتعلق بالدور العربي بمستوييه الرسمي والجماهيري، المتواصل على مسار عام من معركة طوفان الأقصى، بالتحليل الكافي. واقتصر الأمر على حزمة من النقد الانفعالي والتذمر والتوصيف دون الذهاب إلى التحليل والتفسير العميق. وذلك على الرغم من تأثيره السلبي على مسار المعركة إلى الحد الذي يمكن توصيفه بأنه بات يلعب دوره كجزء من جبهة العدو. بل إنه بتداعياته السلبية، كان يمكن أن يطيح بجزء كبير من تلك الإنجازات، لولا صلابة المقاومة وحنكتها في ميدان المعركة وتنبهها في إدارتها لمقتضياتها. لقد باتت اللحظة بكل حمولتها تستدعي أخذ هذا الجانب بشكل أكثر جدية، ووضعه في الحسبان، سواء على مستوى التحليل، أو مستوى كيفية التعامل معه وتحييد تأثيره السلبي في حال عدم القدرة على تطويره. هذا المقال محاولة متواضعة لتناول هذه المسألة من ناحيتين، تتعلق الأولى بالزاوية الرسمية العربية، بينما تتعلق الثانية بالزاوية الجماهيرية.

أولا: مصطلح الردع والاستجابة:

على مدى تاريخ الصراع العربي الصهيوني لم يشكل الموقف الرسمي العربي قوة ردع تفرض نفسها على الجانب الصهيوني، وإنما كان مجرد قوة استجابة لا غير. وهناك فرق واضح بين الردع والاستجابة، فالردع عبارة عن فعل وترتيبات استباقية على كافة المستويات، تهدف إلى لجم العدو ومنعه من الفعل وزرع حالة من الرعب في وعيه وسيكولوجيته، لذلك تعتبر فعل مبادرة إيجابي، بغض النظر عن النتيجة التي ينتهي إليها، والتي قد تكون الفشل في تحقيق الردع. أما الاستجابة فهي مجموعة خطوات تالية لفعل او ترتيبات من قبل العدو، وهي تأخذ إيجابيتها أو سلبيتها من التحرك باتجاه لجم ترتيبات العدو (الإيجابية) أو التغاضي عن تلك الترتيبات والقبول بها (السلبية) ذلك يعني أن مصطلح الاستجابة في ترتيباته العملية الإيجابية لا يرقى إلى مستوى مصطلح الردع كحالة إيجابية. كما أن الاستجابة في حالتها السلبية تشكل نوعاً أو شكلاً من أشكال الارتداع (الوعي المكوي) أي الانحناء أمام إرادة العدو.

وإذا ربطنا المصطلح بمعركة طوفان الأقصى فإن الاستجابة الإيجابية تعني التساوق الإيجابي مع معركة طوفان الأقصى ومتطلباتها (الإعلامية والسياسية والجماهيرية والإنسانية وحتى العسكرية) وبهذا المستوى يمكن أن ترتقي إلى مستوى ردع العدو وتحجيمه. أما الاستجابة السلبية فلا تقتصر فقط على الانكفاء عن القيام بتلك المتطلبات، بل القيام بها بشكل معاكس لمقتضياتها، وذلك بالطعن الإعلامي في المقاومة وترويج رواية العدو، والضغط السياسي عليها بشكل مباشر أو غير مباشر، وحصارها إنسانياً من خلال إقفال المعابر (معبر رفح) وعدم بذل الجهد لإيجاد مخارج بديلة، ولجم الحالة الجماهيرية

الداعمة والمساندة، وتقديم المساعدة الاقتصادية للعدو من خلال الجسر البري الذي يمر عبر عديد الدول العربية، أو من خلال السفن التي تنتقل من موانئ عربية إلى الكيان، وتقديم المساعدة العسكرية للعدو بالسماح لطائراته بالمرور عبر أجوائها لقصف اليمن، والتصدي للصواريخ والمسيرات الإيرانية التي تقصف العدو. على ضوء ذلك فإن الاستجابة السلبية ليست حالة صمت وانتظار النتيجة التي ستنتهي إليها المعركة، وإنما ميل ضمني وعلني إلى جانب الكيان.

ثانياً: الموقف الرسمي من الاستجابة الإيجابية الى السلبية

إن الدور الرسمي العربي وعلى مدى تاريخ الصراع العربي الصهيوني لم يكن في موقع الردع ولم يبلور نظرية أو عقيدة ردع واضحة المعالم، وإنما كان في الغالب في موقع الاستجابة (الإيجابية) أي إنه كان في موقع رد الفعل على إجراءات العدو المندرجة في سياق عقيدته للردع. وقد تمثلت الاستجابة الإيجابية في حدودها المعروفة في تاريخ الصراع، في المشاركة في حرب 1948 ــ إجراءات المقاطعة ــ بناء قيادة عربية مشتركة ــ التوحيد النسبي للموقف السياسي والإعلامي ــ المشاركة العسكرية في حرب 1973 وإرسال قوات عربية من دول الخط الثاني إلى جبهات القتال. وهي مرحلة لم تكن نتائجها إيجابية في مجملها، وباتت موضوعياً من الماضي. لقد انتقل الدور الرسمي العربي بمستواه العام في الصراع العربي الصهيوني من الاستجابة الإيجابية بالمعنى النسبي إلى مستوى الاستجابة السلبية. إن هذا التحول من الاستجابة الإيجابية المحدودة إلى الاستجابة السلبية التي تلامس حد العجز، يحتاج إلى تفسير وتفكيك. هناك خطوتان عميقتان بالمعنى الإستراتيجي جرتا في الواقع العربي على مدى العقود الأخيرة لم يتم رصد تداعياتهما بشكل دقيق ومتابع. الخطوة الأولى كانت نجاح العدو في كسر حلقة الطوق من حوله عبر اتفاقيات التسوية (مصر ــ الأردن ــ م. ت. ف) والثانية ضرب قدرات سورية بالاستناد إلى القوى الظلامية، والثالثة احتلال العراق. بينما تمثلت الثانية في تقدم الكيان في العمق العربي عبر اتفاقيات التطبيع الموقعة أو المرتجاة أو المتوقعة، هذه الخطوة جاءت في سياق تحولات نقلت هذه القوى من الموقع الثانوي في صياغة القرار العربي المتعلق بالصراع مع الكيان، إلى موقع فاعل وضاغط بحكم قدراته الاقتصادية التي تراكمت مستفيدة من هذا الصراع (أسعار البترول) والتي سمحت لها ببناء قدرات إعلامية وأمنية أيضاً وتوظيفها لبناء قوة ضغط سياسية موظفة بدورها لفتح الطريق لتقدم الكيان في العمق العربي من ناحية، ومعاداة محور المقاومة بشكل معلن من ناحية ثانية. أما الدول العربية التي بقيت خارج دائرة تلك الأنظمة (وهي محدودة) فلم تستطع أن تشكل بديلاً أو نداً، فأثرت السلامة، سواء بتكييف موقفها السياسي ضمن الإطار المحدد من تلك الأنظمة (مبادرة السلام العربية) أو الاكتفاء بالتعبير اللغوي (تحرير كامل فلسطين) دون أية خطوة عملية حتى بالحدود الدنيا التي تثبت أن هذا الطرح طرح جدي وليس استهلاكياً. بحيث تكاد تكون هذه الدول مردوعة من دول عربية أخرى، تقوم بدور الوكيل الإقليمي للكيان الصهيوني، باستخدام قدراتها الاقتصادية والإعلامية.

ثالثاً: الدور الجماهيري من الفاعلية الى التكيف:

إن الانتقال الجاري في الحالة الرسمية العربية من الاستجابة الإيجابية إلى السلبية يتم في ظل حالة جماهيرية تكاد تندرج في ذات السياق. فقد جرت التحولات المشار إليها على المستوى الرسمي مدعومة بتحولات ثقافية عميقة، وإرباك اقتصادي وضغوط اجتماعية تركت آثارها على مستوى الحالة الجماهيرية التي وجدت نفسها في موقع الاستجابة السلبية، ولكن من موقع مختلف أي أنها تنحصر غالباً في حدود التعاطف دون القدرة على الفعل المؤثر، الذي يفترض أن تكون أول درجاته هي الضغط على هذه الأنظمة لأخذ مواقف ذات فاعلية وجدوى مثلما حدث في الانتفاضة الثانية 2002. حيث لعب الضغط الجماهيري الواسع الذي عم كل الساحات العربية، دوراً حاسماً في إسقاط التطبيع الرسمي في موريتانيا، وإغلاق المكاتب الإسرائيلية في قطر والمغرب، بينما لم يترتب على طوفان الأقصى بكل زخمه نتيجة مشابهة تحديداً في الوطن العربي.

لقد تغيرت الحالة الجماهيرية حتى البعيدة عن مجرى التطبيع، من مستوى عال من الإيجابية في التفاعل مع قضايا الصراع مع العدو الصهيوني، إلى مستوى يتسم بالسلبية، مترافقاً مع تراجع دور القوى السياسية واهتمامها بقضايا الصراع، هذا المتغير من الضروري الوقوف أمامه بعمق ومسؤولية، لأنه ينضوي في عمقه على الجواب المتعلق بسؤال البداية. إن التحول السلبي يعود بالأساس إلى نمط ومستوى وعمق التطبيع الجاري، الذي تحول من أحداث متفرقة قابلة للتراجع الرسمي عنها، إلى تموضع صهيوني جديد في أكثر من بلد عربي، مع وجود أطراف عربية ضاغطة ودافعة في هذا الاتجاه، استطاعت أن توجد أيضاً نخبة ثقافية وسياسية تمارس التطبيع وتنافح عنه في البلدان التي لم تطبع.

خاتمة:

هذه الصورة التحليلية العامة هي التي تفسر الغياب العربي عن أداء دوره في لحظة حاسمة وفرت له الفرصة التاريخية للخلاص من الخطر الذي يشكل تهديداً دائماً على وجوده ومستقبله. خاصة وأن العدو يخوض المعركة ملتصقاً بسقفه الأيديولوجي وأطروحاته القصوى التي يلخصها رئيس وزرائه بإعادة تشكيل الشرق الأوسط، بما يعنيه ذلك أن من يعتقد أنه خارج الدائرة لأن اسم بلده لم يرد في الخرائط التي يتم ترويجها، سيجد نفسه إذا انتصر المشروع الصهيوني في دائرة ما يسمى بهامش المركز الذي يطمح العدو بأن يكون هو محوره، بينما يتلخص دور الهامش في خدمة هذا المحور.

اليمن في العام الثاني لطوفان الأقصى
مرحلة «الوجع الأكبر» والمفاجآت غير المسبوقة

عادل عبده بِشر ـ صحفي وكاتب سياسي - اليمن

أخلال عام كامل من المواجهات العسكرية البحرية بين القوات المسلحة اليمنية وتحالف القوى الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، نستطيع القول إن صنعاء أثبتت قدرتها على خوض حرب طويلة الأمد ضد العدو الصهيوني ومن ورائه أمريكا وبريطانيا وأية قوى أخرى- غربية أو حتى عربية - تجعل من نفسها جدار الحماية الأول للكيان الإسرائيلي.

مساء الـ 31 تشرين الأول/ أكتوبر 2023م، أعلنت القوات المسلحة اليمنية، رسمياً، الالتحام بملحمة «طوفان الأقصى» التي نفذها أبطال غزة في السابع من ذات الشهر، مؤكدة أن صنعاء دخلت الحرب بثلاث عمليات عسكرية استهدفت مدينة أم الرشراش الفلسطينية المحتلة «إيلات» بصواريخ باليستية وطائرات مسيرة.

وأوضحت القوات اليمنية أنها جبهة إسناد للشعب الفلسطيني الذي يتعرض لحرب إبادة في قطاع غزة، وستتوقف بمجرد أن يوقف العدو الحرب والحصار على القطاع، وفي الوقت ذاته ستتصاعد عملية الإسناد اليمنية بالتوازي مع التصعيد في غزة، وهو ما شهدناه طوال الفترة التي تلت ذلك الإعلان حتى اللحظة.

بدأت اليمن عملياتها بالقصف الجوي بالصواريخ الباليستية والطائرات المسيرة على أهداف صهيونية جنوبي الأراضي المحتلة، ثم أدخلت صنعاء في 19 تشرين الثاني معادلة البحر الأحمر ومضيق باب المندب، ضمن مراحل التصعيد، فبدأت

بإعلان البحر الأحمر ومضيق المندب، منطقة محرمة على السفن المملوكة لـ« إسرائيل» أو تحمل علم الكيان أو تقوم بتشغيلها شركات «إسرائيلية»، وكانت البداية باحتجاز سفينة «جلاكسي ليدر» المملوكة لرجل أعمال «إسرائيلي» وتم اقتيادها إلى الساحل اليمني، تلا ذلك بتاريخ 9 كانون الأول/ديسمبر، إعلان القوات المسلحة اليمنية منع مرور السفن المتجهة إلى كيان الاحتلال من أي جنسية كانت، في البحرين الأحمر والعربي وخليج عدن، وفي كانون الثاني أُدرجت السفن الأمريكية والبريطانية ضمن بنك الأهداف اليمنية، بعد اعتداء الولايات المتحدة والمملكة المتحدة على اليمن.

ومضت جبهة الإسناد اليمنية في تصاعدها بخطوات إستراتيجية مدروسة، معلنة توسيع خارطة الاستهداف لتلك السفن من البحرين الأحمر والعربي إلى المحيط الهندي، ثم الإعلان عن حظر الملاحة إلى موانئ فلسطين المحتلة والواقعة على البحر المتوسط، وأي شركة شحن بحرية من أي جنسية كانت، تخترق هذا القرار، تُعتبر سفنها هدفاً للقوات المسلحة اليمنية في أي منطقة تطالها يد صنعاء.

إلى جانب العمليات البحرية، لم تتوقف الصواريخ الباليستية والطائرات المسيرة اليمنية عن ضرب العدو الصهيوني في مدينة أم الرشراش، وتوسعت العمليات بعد ذلك، لتطال الصواريخ والطائرات المسيرة العمق الصهيوني في « تل أبيب» وحيفا.

ما بين تشرين الأول2023م وتشرين الأول 2024م نجحت صنعاء في منع العدو

الصهيوني من الملاحة في البحرين الأحمر والعربي وخليج عدن وباب المندب، ما دفع إدارة ميناء «ايلات» إلى إعلان إفلاسه رسمياً، وأسفر ذلك عن خسائر فادحة في اقتصاد الكيان باعتراف مسؤولين في حكومة الاحتلال ومراكز دراسات «إسرائيلية» ووسائل إعلام عبرية.

في خطاب له عشية الذكرى الأولى لطوفان الأقصى، أفاد زعيم أنصار الله السيد القائد عبد الملك بدر الدين الحوثي، أن القوات المسلحة اليمنية في معركة الإسناد لشعبنا الفلسطيني، استهدفت 193 سفينة مرتبطة بالعدو الصهيوني والأمريكي والبريطاني، وأسقطت 11 طائرة مسيرة مسلحة أمريكية من نوع إم كيو9، وقصفت بأكثر من ألف صاروخ وطائرة مسيرة، أهدافاً بحرية وأخرى في العمق الصهيوني، وقدمت اليمن نحو 430 شهيداً وجريحاً على طريق القدس، وتعرضت لقرابة 800 غارة جوية وبحرية أمريكية بريطانية صهيونية.

وجدد سماحة السيد التأكيد على أن « جبهة اليمن مستمرة في موقفها المبدئي الإنساني الأخلاقي الديني الإيماني لنصرة الشعب الفلسطيني ومجاهديه وإخوتنا في لبنان ومجاهدي حزب الله ومع الجمهورية الإسلامية في إيران ومع إخوتنا في العراق ومع كل أحرار الأمة»، وأن « الجهود مستمرة لتطوير القدرات العسكرية اليمنية والارتقاء بمستوى الأداء وفي زيادة العمليات أكثر وأكثر». وأضاف: «نحن نواجه الأعداء ونتصدى لهم ونضرب بعون الله سفنهم وبارجاتهم وحاملات طائراتهم، ولن نتردد في فعل ما نستطيع في هذا السياق، وبالمقابل، هم يحاولون أن يضغطوا علينا اقتصادياً وإنسانياً وشعبنا صابر بالرغم من حجم المعاناة، وهذا الشعب العظيم لن يتوقف عن إسناده إخوانه في فلسطين ولبنان، وجميع دول المحور».

الصمود اليمني في وجه عدوان القوى الغربية وارتقاؤه في الأداء العسكري كجبهة إسناد فاعلة، من خلال تطوير قدراته العسكرية وترسانته الصاروخية والطائرات المسيرة، لتتجاوز جميع الطبقات الدفاعية للعدو، ابتداء من خط الدفاع الأمامي ممثلاً بالقوات الأمريكية والبريطانية في البحر الأحمر، وبعض الدول العربية الواقعة في المنطقة الجغرافية الفاصلة بين اليمن وفلسطين المحتلة، ثم منظومة الدفاعات «الإسرائيلية» بطبقاتها الثلاث، ومباغتة الكيان في «تل أبيب» و»حيفا» بخلاف إدخال أسلحة جديدة في العمليات البحرية (الزوارق المتفجرة ذاتية القيادة، والغواصات الصغيرة المتفجرة تحت سطح الماء) والتي كانت لها نتائج مذهلة في الكثير من العمليات ضد السفن التجارية أو العسكرية المرتبطة بالعدو، كل ذلك دفع الخبراء والمحللين العسكريين والسياسيين في الكيان العبري إلى الوصول لنتيجة فحواها أن «اليمنيين غير مرتدعين يواصلون إظهار الشجاعة، ويهاجمون» وفقاً لتعبير «الرئيس السابق لهيئة السايبر الوطني»، الإسرائيلية «غادي عزرا».

وفي السياق نشر مركز «بيغن والسادات للدراسات الإستراتيجية BESA» الصهيوني، مؤخراً، تحليلاً أعده العقيد المتقاعد في « جيش الاحتلال» رافائيل ج. بوشنيك تشين، حول خطورة استمرار الجبهة اليمنية مشتعلة ضد الكيان الصهيوني، وما تمثله هذه الجبهة من استنزاف عسكري واقتصادي للاحتلال.

وأشار المركز إلى أن فشل القوى الغربية بأساطيلها الحربية في ردع القوات المسلحة اليمنية أو التأثير على قدراتها العسكرية، يُعد: «نبأ سيئاً للغاية بالنسبة لإسرائيل».

وقال إن اليمن تمكنت من إلحاق الإذلال المؤلم «بإسرائيل» والإضرار بمكانتها كقوة إقليمية، وأن الحصار البحري تسبب بأضرار جسيمة لاقتصاد الاحتلال، فيما نجحت الصواريخ والطائرات المسيرة اليمنية في اختراق الدفاعات الجوية الإسرائيلية.

وفي دراسة تفصيلية لمجلة «CTC Sentinel» التابعة لمركز مكافحة الإرهاب في الأكاديمية العسكرية بالولايات المتحدة، عن « اليمن بعد عام من الحرب»، أكد معدو الدراسة أن « اليمن قدمت «أداءً عسكرياً قوياً» في حرب الإسناد لغزة، وستكون «آخر من يتوقف عن إطلاق النار وستستمر الهجمات اليمنية طالما استمرت الحرب في غزة ولبنان».

وأوضحت الدراسة أن القدرات العسكرية اليمنية لم تتأثر من «الضربات الإسرائيلية أو الأنجلو أمريكية داخل اليمن»، مؤكدة أن صنعاء «أصبحت الآن أقوى وأكثر كفاءة من الناحية الفنية والعسكرية، مما كانت عليه في بداية الحرب» على غزة.

وبالتوازي أصدر معهد دول الخليج للدراسات الإستراتيجية في واشنطن AGSIW، تقريراً أفاد فيه بأن اليمن ستكون على رأس قائمة تحديات إدارة الرئيس الجديد للولايات المتحدة، نتيجة للظهور القوي لهذه الجبهة في المعركة المرتبطة بطوفان الأقصى. وأكدت أن إستراتيجية « بايدن» في ردع « الحوثيين» أو إضعافهم فشلت، وأن استخدام القوة مع صنعاء لن يُجدي نفعاً وينبغي على الإدارة الأمريكية الجديدة عدم التورط في صراع مفتوح في اليمن.

وهناك الكثير من الدراسات والمقالات التحليلية التي نشرتها مراكز أبحاث أمريكية و»إسرائيلية» ووسائل إعلام عبرية وغربية، تناولت الجبهة اليمنية وأداءها وتطورها على مدار عام كامل، وخلصت في مجملها إلى أن صنعاء تمضي بخطوات مدروسة ضمن محور المقاومة، وستواصل تطوير قدراتها العسكرية بما يتناسب مع طبيعة المعركة وحجمها.

وفضلاً عن تلك الدراسات والتحليلات، فإن جميع المؤشرات والمعلومات الواردة من صنعاء، تؤكد بأن القوات المسلحة اليمنية، ماضية في معركة الإسناد للعام الثاني توالياً، بقدرات عسكرية وأسلحة ومفاجئات لا تخطر على بال العدو، وأن اليمن تُعد العدة لـ» المنازلة الكبرى» ومرحلة «الوجع الأكبر» وهي ما كشف عنه سماحة السيد عبدالملك في خطاب له، بأن الأعداء، كما تفاجؤوا في البحر والجو، سيتفاجؤون في البر، بأسلحة وقدرات لم يشهدوا مثيلاً لها من قبل.

جناح ثائر وحركة التحرر العربي

م. حسين الغلبان ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ الصين

ماذا يحدث؟ أشعر أنني أقترب من الأرض، أنظر إلى يدي: إنهما صغيرتان. هناك شخص طويل يمسك بيدي ويسير بخطوات واسعة. هذا الشاب الذي يمسك بيدي هو أبي! يا إلهي، لقد عدت بالزمن إلى الوراء. كأنه يقول: «بقي 500 شين، ياء، كاف، لام» لسداد باقي ثمن تلك السجادة المزركشة الجميلة التي تشبه سجادة علاء الدين الطائرة، ثم سيشعر بالراحة المطلقة ويكتمل تجهيز البيت. لم أرغب في إخباره أنني عدت بالزمن، ولا أريد أن أخبره بما سيحدث لتلك السجادة بعد ربع قرن؛ لن تكون لدينا سجادة، وسيصبح منزلنا غابة حطام إسمنتية، بواسطة تلك الطائرة الصهيونية التي تقودها «ألينا» السمينة.

وفي الوقت ذاته، كان هناك معلم عراقي يُدعى «ثائر» يجلس في غرفة المعلمين، ينظر إلى سجادة موضوعة على الأرض. بعد أن انتهى من شرح درس المتسلسلات الرياضية، وتحديداً «متسلسلة تايلور»، للطلاب في إحدى المدارس بعمان- الأردن. نعم، ثائر عراقي، لكن الظروف قادته إلى منزل مؤقت آخر في هذه الحياة الجميلة القصيرة، بعد أن نزح من بغداد في حرب 2003 التي شنتها قوى أعداء الحياة عليهم. لم يشعر «ثائر» أبداً بأن الأردن كان غربة عن وطنه. هل يعد تبديل أكله من الدولمة العراقية إلى المنسف الأردني اغتراباً؟ بالطبع لا.

بينما كان يفكر في الدخان الناتج عن قصف الطائرات أثناء حرب 2003، ذلك الدخان الأسود الذي غطى سماء بغداد، كان يدرك أن سر قوة العدو يكمن في طيرانه وأجنحته. كان هذا الثائر مشغولاً بالتفكير في الحرب الحالية، تلك الطائرات التي حولت سماء غزة إلى رماد وقصفت منزلاً تلو الآخر، لم تنتهِ وذهبت الى لبنان وصولاً إلى مصفاة الحديدة. وبينما كان يغوص في هذه الأفكار، أمسك قلمه ليحل بعض المسائل الرياضية، وبدأ بتصنيف قواعد الطيران الصهيوني إلى خمس مكونات، شبيهة بالحواس الخمس.

ففي البداية، هناك قواعد الطيران الهجومي التي تمثل «اليد التي تضرب»، وتبدأ من الجناح رقم «1»، المسمى «رامات ديفيد»، والذي يضم طائرات F-16 اللعينة، ثم الجناح رقم «8»، المسمى «تل نوف»، الذي يحتوي أيضاً على F-16. والجدير بالذكر أن «تومر بار»، قائد سلاح الجو الصهيوني الحالي، كان قائداً لهذه القاعدة قبل ترقيته إلى «الكرياه»، تماماً كما حدث مع صديقه «عميكام نوركين» القائد السابق. وكأن قاعدة «تل نوف» هي المحطة الإدارية لمن سيذهب إلى «الكرياه» لاحقاً. ثم الجناح رقم «25»، المعروف باسم «رامون»، الذي يضم أيضاً طائرات F-16، وكان يُعرف سابقاً بقاعدة «إيتيام». ثم الجناح رقم «28»، الذي يُسمى «نيفاتيم»، وكان يعرف سابقاً بالجناح «27» في «قاعدة اللد». يتميز الجناح رقم «28» بقدرات خاصة بفضل نوع الإسفلت الذي يجعله مناسباً لقاعدة طائرات F-35 المميزة في فلسطين المحتلة. وأخيراً، هناك قاعدة «حتسريم» بجوار منطقة «نيعوت لون» الراقية في غرب بئر السبع، والتي تضم طائرات F-16 و F-15، وسرب 69 الذي استهدف سيد المقاومة الشهيد حسن نصر الله. والجدير بالذكر أن «تومر بار»، قائد سلاح الجو الحالي، بدأ مسيرته الإجرامية في هذا السرب.

المكون الثاني من هذه القوة هو «العين التي تراقب»، ممثلةً في الوحدة 503، وهي قاعدة «بعل حتسور»، الواقعة في تل العاصور، ثاني أعلى جبل في فلسطين، والتي تستخدم للمراقبة الجوية وتوجيه الدفاعات. هناك أيضاً المكون الثالث، وهو «المكون النووي الذي لن يتذوق بل سيبتلع» المنطقة بأكملها، ويُعرف بالجناح رقم «2» «سدوت ميكا»، ويقع بالقرب من القدس في قرية «زكريا». أما المكون الرابع، فهو «الذي يسمع وينفذ»، ويشمل القواعد التكنولوجية والسيبرانية والطائرات بدون طيار، مثل الجناح رقم «4»، المعروف باسم «حتسور»، والجناح رقم «30»، المعروف باسم «بلمخايم». وأخيراً، هناك المكون الخامس، وهو «تعليم التنفس أثناء الطيران»، حيث يتم تدريب الطيارين على الطيران وتنفيذ الهجمات. يضم هذا المكون أربع مدارس، من بينها الجناح رقم «10»، أو قاعدة «عوفدا»، والتي تدير مدرسة أخرى تدعى «بيسلاخ»، بالإضافة إلى مدرسة الدفاع الجوي وكلية تكنولوجيا القوات الجوية.

يا لهذا المعلم الثائر، كيف يحلل ويفكر! كنت أظنه يرتاح بعد انتهاء حصته الدراسية، لكنه هنا، يحول المتسلسلات الرياضية إلى اجتهاد فعلي. وبالمناسبة، هو حفيد أحد مؤسسي مدرسة الإحياء والبعث العربي، تلك المدرسة التي أسهمت في نمو الفكر العربي، وخاصة منه التحرري، باتجاه القومية العربية. كانت الكلمة العربية الحرة تفتح العوالم أمام حواس الفرد والمجتمع، ولكن للأسف، سرعان ما فرغت من محتواها الحقيقي، ليتم حشوها بمفاهيم مستوردة من المدارس الغربية، التي جاءت من بيئات مختلفة، بطبيعة وثقافة ودرجات حرارة وحتى أطعمة مغايرة تماماً.

أصبحت الكلمة العربية، بل اللسان العربي، جزءاً من القومية العربية، فنسينا أن سر لغتنا يكمن في اللسان الصوتي ولا يوجد لنا قومية موحدة فشعوبنا كتلك السجادة المزركشة. ولذلك، فإن كل من يستطيع القراءة بالأحرف الصوتية العربية وينتج ترددتها في حياته اليومية هو عربي بحق. ومع ذلك، تُركت القومية العربية تتوسع بهذا المسار الضيق الذي ما لبث حتى أغرق شعوب الجزيرة العربية من قبل ورثة القوميين الأوائل، جيلاً بعد جيل لتتحول القومية الى وطنية.

وأما ذلك الرئيس الذي يعتبر نفسه رئيساً لعشرات الملايين من العرب اليوم، فإنه لا يستطيع حتى التحدث أو التعبير باللغة العربية، لأنه لم يدرسها ولم يتعلمها، وبالتالي لم تنفتح أمامه عوالم العلم المتعددة. نتيجة لذلك، أغرق شعبه في الجهل والفقر.

فكيف يمكن لطفل صغير من إندونيسيا أو إيران أو باكستان، يحفظ أكثر من 77,000 كلمة عربية عن ظهر قلب، ألا يعتبر عربياً؟ عليك فقط أن تستمع إلى قوة اللغة العربية وهي تخرج من فم «أبو عبيدة» كما تخرج الرصاصة من البندقية، لتدرك سبب ضعف الحركات التحررية العربية اليوم.

الموقف المصري: محاولة للتفسير!

خالد المصري ـ باحث وكاتب سياسي ـ مصر

لا يُمكن تَفَهُّم الأسباب الموضوعية التي أثرت في، وقادت إلى الموقف الرسمي المصري الراهن من حرب الإبادة الشاملة التي يشنها الكيان الصهيوني الإجرامي على شعبنا في فلسطين ولبنان، والدور المُحتجز، والمُفتقد لمصر، الدولة الإقليمية الكبيرة والعربية الأكبر، والذي كان من المُنتظر أن يكون أكثر فعاليّة وأشد تأثيراً، في مجريات الصراع المصيري القائم الآن، دون الرجوع بالذاكرة السياسية إلى «أُس» هذا الموقف، وركيزته الرئيسية، التي تم إرساء قواعدها في عصر الرئيس الأسبق «أنور السادات»، وأهمها فكرة أن «حرب أكتوبر آخر الحروب»، في تجاهل خطير لطبيعة الكيان العنصري الصهيوني وأطماعه البيِّنة!

فقد مثَّلت هزيمة 5 يونيو 1967 العسكرية، ثم رحيل الرئيس «جمال عبد الناصر»، في 28 سبتمبر 1970 نقطة تحول فاصلة بين عهدين: عهد انتماء مصر، السلطة والشعب، إلى مشروع تحرُّري عروبي إنساني تقدمي، أياً كانت الأخطاء التي علقت به، أو حتى الخطايا التي تورط فيها، وعهد الارتماء في أحضان الغرب الإمبريالي بزعامة الولايات المتحدة، وقاعدته المتقدمة في منطقتنا والخنجر الدامي في القلب العربي: الكيان الصهيوني، تعبيراً عن تبدُّلات بنيوية عميقة، تجمَّعت نُذرها في أخريات عهد الرئيس «عبد الناصر»، في دهاليز السلطة، الأمر الذي كان يلوح إلى مخاطره مُحذِّراً من «الثورة المُضادة»، التي كانت تُرتب قواها في انتظار لحظة الوثوب إلى الحُكم، وهو ما تم في 15 مايو 1971، عبر الانقلاب الذي أطلق عليه «السادات» وأبواق إعلامه وصف «ثورة التصحيح»، والذي كان في جوهره تحولاً شاملاً لمواقف النظام السياسي الحاكم إلى موقع الضد بالكامل، حيث جري التبرؤ من كل ما كان له علاقة بـ «الاشتراكية» وإجراءاتها الاجتماعية المنحازة إلى الطبقات الفقيرة ومحدودة الدخل، والتنصل من الانتماء العربي لمصر تحت ادعاءات «الانتماء للغرب المُتَحَضِّرُ لا للعرب المتخلفين» !، ومعاداة الاتحاد السوفييتي المكشوفة، رغم دعمه الاقتصادي، ودوره الأساسي في إعادة بناء الجيش المصري، وتأهيله لمعركة العبور المجيدة في 6 أكتوبر 1973.

وتمثلت الركائز الرئيسة لسياسات النظام الساداتي في ثلاثة محاور مُتداخلة:

أولها: تصفية الإنجازات الاجتماعية للعهد الناصري، بانتهاج سياسة «الانفتاح الاقتصادي»، والذي وُصم بـ «انفتاح السداح مداح»، وشعاره مقولة «السادات»: «مَن لن يغتني في عهدي لن يغتني أبداً»!

وثانيها: التحالف العلني مع تنظيمات التطرُّف والإرهاب باسم الدين، حيث أطلق «السادات» قياداتهم، وأعاد لهم مقراتهم وأموالهم المُصادَرة، ومنحهم هامشاً واسعاً، فانتشروا يُرَوّعون المجتمع ويفرضون هيمنتهم عليه، في نظير دعم نظامه في مواجهة اليسار والناصريين، الذين كانوا يُسيطرون على المجال العام ، وبالذات في الجامعات والمعاهد العليا ووسط العمّال والمثقفين... إلخ.

وثالثها: وهو أمر منطقي، الارتماء في أحضان الولايات المتحدة والعدو الصهيوني، بإبرام «مُعاهدة كامب ديفيد» (17 سبتمبر 1978)، و«اتفاقية السلام» (28 مارس 1979)، والتي تم التقيد ببنودها من قبل الطرف الرسمي المصري، والالتزام بشروطها مهما كانت تجاوزات الطرف الصهيوني.

وعلى امتداد الفترة الزمنية الطويلة (45 عاماً)، ومع تغير الرؤساء وتوجهاتهم الأيديولوجية والعقائدية، ظل الشعب المصري، بمواطنيه ومثقفيه، صامداً في مواجهة الضغوط الهائلة من الطابور الأمريكي الخامس ودعاة «التطبيع»،

الذين فشلوا فشلاً ذريعاً في إغرائه أو إجباره على التعاون مع العدو، مهما كانت عظمة الإغراءات وضخامة التكاليف.

كان هدف السادات ومن والاه، في الداخل والخارج، خلق وتدعيم وجود طبقة اجتماعية من المُنتفعين المُرتبطين وجودياً ومصلحياً بالنظام وبقائه، وبالمشروع الصهيو ـ أمريكي!. وقد عكس صعود هذه الطبقة التابعة، وهيمنتها على مواقع صُنع القرار السياسي والاقتصادي في مصر، مصالح اجتماعية مُعادية للثورة، والاشتراكية، والعروبة، والتقدُّم، وحرصت دائماً على تأكيد اهتمامها بحماية العلاقات مع «الشريك» الصهيوني، وعدم «استفزازه!»، والسعي المُستمر لنيل رضاء الولايات المتحدة.

كما استمر خليفته «حسني مُبارك» في السير على نفس المنوال، وإن دخل نظامه في السنوات العشر الأخيرة إلى دائرة من الركود والجمود وتفشي الفساد والأعباء الاقتصادية، مع التوسُّع النسبي في بيع المؤسسات الإنتاجية الموروثة من العهد الناصري، تحت مزاعم التخلُّص من المشروعات الخاسرة!

واتجهت هذه الطبقة ـ في مقارباتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ـ إلى النفور من فكرة بناء اقتصاد مُعتمد على النفس، مُنتج، ومُلبٍ لحاجات المجتمع الأساسية، ومكتفٍ ذاتياً، مما فاقم أزمتها، ودفع إلى انفجار «ثورة 25 يناير 2011»، التي أطاحت فيها الجماهير برأس النظام المُباركي وإن لم تملك آليات الوصول إلى السلطة، وهو ما سمح بوصول جماعة «الإخوان المسلمين» إلى الحُكم، قبل أن يتم الإطاحة بها في 30 يونيو 2013.

وبعد رحيل «الإخوان» استمر الحكم (الجديد)، وبالذات في السنوات الخمس الأخيرة، في السير «بهمّة» على ذات المنوال، وبسرعة أكبر، الأمر الذي قاد إلى أزمة شديدة، أبرز ملامحها التالي:

1 ـ تفاقم الاعتماد على الاقتراض من الخارج، حيث وصلت الديون الخارجية لأكثر من 165 مليار دولار، وكانت لا تتجاوز 46 مليار دولار عام تولي الرئيس «السيسي» الحكم في عام 2014، تستهلك 93% من الناتج المحلي الإجمالي السنوي لسداد أقساط الديون وفوائدها، وذهب أغلبها للإنفاق على مشاريع البنية الأساسية التي لا تدر عائداً، وعلى البناء الفاخر لـمنشآت «العاصمة الإدارية الجديدة» وغيرها من المشاريع الشبيهة، والتي تكلفت ترليونات الجنيهات، وتمت، في أغلب الأحيان، دون دراسات جدوى، حسب التصريحات الرسمية!

2 ـ تعاظم الدين الداخلي، الذي وصل إلى 8312 مليار جنيه مصري، وكانت 1816 ملياراً عام 2014.

3 ـ انهيار قيمة الجنيه المصري في مواجهة الدولار الأمريكي: من 7 جنيهات للدولار عام 2014 إلى نحو 50 جنيهاً للدولار عام 2024!

4 ـ الاعتماد في تلبية حاجات المجتمع الأساسية (القمح، وزيوت الطعام، ومُستلزمات الإنتاج كافة)، على الاستيراد من الخارج بالعملة الصعبة، نتيجة بيع عدد كبير من الشركات المُنتجة، وهو ما أدى ـ ضمن أسباب أخرى ـ لإغلاق أكثر من خمسة آلاف مصنع مُنتج وتسريح عُمالها!.

5 ـ تقليص حجم وقيمة كل أشكال الدعم الاجتماعي الذي كانت الدولة تقدمه للفئات الفقيرة ومتواضعة الدخل، وزيادة أعباء المواطن عن طريق رفع نسبة الضرائب غير المُباشرة لمستويات غير مسبوقة، و«ابتكار» ضرائب جديدة مُبالغ في نِسَبِهَا، لتلبية احتياجات جهاز الدولة المُتضخم!

6 ـ بلوغ التضخُّم مستويات غير مسبوقة، والارتفاع الجنوني في أسعار كل مُكونات الغذاء والمطالب الأساسية لحياة الملايين، وانهيار أحوال الطبقة الوسطى، وتفاقم المشكلات الاجتماعية المترتبة على هذه الأوضاع التي لم يمر بها المتجمع المصري الحديث من قبل.

7ـ تعاظم الفقر، وارتفاع أعداد المُعوزين، وتشير الدراسات إلى أن نسبة الفقر المُتوقّعة في عام 2025 ستبلغ 36% من السكّان في مصر، مُقابل 29.5% عام 2019، وفي صعيد مصر ستصل إلى 48%!.

8 ـ الخضوع لإرادة الأطراف المُقرضة (وعديد منها خليجي)، التي تضغط بشدة، وتحصل غالباً على ما تريد، من أجل بيع الدولة وتخارجها من ملكية الصناعات الإستراتيجية الكبرى في البلاد: قلعة الحديد والصلب بحلوان، صناعة الأسمدة والألومنيوم، المؤسسات الكُبرى لصناعة النسيج، المرافق الكُبرى: الجامعات والمستشفيات والهيئات الصحية، والفنادق والمنشآت التاريخية، والموانئ والمطارات والبنوك، .. إلخ، والتي يتم التفريط فيها بأسعار بخسة، وخاصةً بسبب انهيار قيمة الجنيه المصري!

9 ـ اعتماد مصر على استيراد حاجتها الضرورية من الغاز، من الكيان الصهيوني، لمعالجة ظاهرة انقطاعات الكهرباء التي عانت منها البلاد خلال أشهر الصيف، وهو ما يعني تهديد المصالح المصرية تهديداً في الصميم حال قطع إمداداته من الغاز الصهيوني لأي سبب، في وقت يُفترض فيه ـ كما أعلن الإعلام مراراً وتكراراً ـ أن مصر صارت، باستكشافات الغاز الأخيرة، واحدة من أكبر دول العالم إنتاجاً له!!

أمّا المايسترو في عملية حصار مصر، وتهديدها بإعلان إخفاقها الاقتصادي، وتجميد مدّها بما يُبقيها على قيد الحياة، فهو «صندوق النقد الدولي» الذي تم ارتهان الإرادة المصرية لمشيئته ومُخططاته، أي لمخططات وإرادة الغرب الإمبريالي، الذي كشف عن وجهه القبيح في الموقف من حرب الإبادة الصهيونية الدائر رحاها حتى الآن، ودخلت مصر مستنقع الاستدانة الذي يُجردها من إرادتها المُستقلة، ويفرض عليها وعلى شعبها ما لا تقبله، أو يُحقق لها فائدة من أوامر وتعليمات، مثل تلك التي أعلنها «الصندوق» مؤخراً كشرطٍ للاستمرار في مدّها بالقروض لكي تستمر في الحياة على جرفٍ هاوٍ: «تعويم العُملة ـ إلغاء دعم الطاقة ـ إلغاء دعم المحروقات ـ رفع الدعم عن السلع ـ زيادة الحصيلة الضريبية الداخلية ـ تخارج القوات المسلحة من مشاريعها

بالبلاد ـ إعادة هيكلة مؤسسات الدولة وخفض أعداد العاملين بها»!

ثم جاءت أحداث ما بعد «طوفان الأقصى» لكي تزيد من الاحتقان الشديد، المكبوت، داخل الملايين من أبناء الشعب المصري بسبب أوضاعهم المعيشية البائسة، ولعدم قدرتهم على إبداء مشاعرهم الحقيقية تجاه العدو، والتعبير عن مساندةً أشقائهم في فلسطين ولبنان، بسبب الأوضاع التحكميّة الصعبة التي تمنعهم من ذلك.

والخلاصة: تعيش مصر حالة بالغة الصعوبة، تم تجريدها، بفعل الطبقة الحاكمة التي تُسيطر على مقاليد القرار فيها منذ منتصف القرن الماضي، من قدراتها الحيوية، وفَرَضَ تنازل هذه الطبقة عن دورها المحوري والقيادي في المنطقة، والتهميش المُستمر لحضورها الإستراتيجي، الأمر الذي سَهَّلَ حصارها من جميع الاتجاهات، وتقليص قدراتها الفعلية، في التأثير على الأوضاع في محيطها الحيوي، وقد عَبَّرَ كبار المسؤولين، في 22 أغسطس 2022، عن التنازل عما حبته الطبيعة والتاريخ لمصر ودورها، مقابل القبول بدور آخر متواضع وغير لائق بمصر وتاريخها، بقولهم أن: «فكرة الدولة الرائدة والقائدة دي فكرة الخمسينيات والأربعينيات، والكلام من هذا القبيل إحنا تجاوزناه»!

قد يكون فيما تقدم من إشارات، رغم ابتسارها، تفسيراً لتوضيح حالة غياب القدرة على مجابهة التحديات والتهديدات الوجودية التي تواجه مصر من مختلف الاتجاهات: قضية «سد النهضة» الأثيوبي وحرمان مصر من نصيبها الشحيح من المياه، وتطورات الأوضاع الخطيرة في السودان وتأثيراتها المباشرة على الأمن القومي والوطني، الأوضاع في ليبيا ... إلخ، وأخيراً الأوضاع المأساوية الخطيرة في فلسطين ولبنان، وغطرسة القوة الصهيونية، والتبجح بقدرتها تغيير خرائط المنطقة، والوصول إلى أي مكان تريده!

التونسيون والقضية الفلسطينية:
ما سرّ هذا التراجع؟

علي الجلولي ـ كاتب وباحث سياسي ـ تونس

قد لا نجانب الصواب ولن نكون متعصبين لهويتنا الوطنية التونسية حين نقول إن علاقة الشعب التونسي بفلسطين هي علاقة أقرب إلى الخصوصية الاستثنائية التي استقرت في وجدان الشعب التونسي وتقاليده، ففي ذروة لا مبالاته تحركه القضية الفلسطينية وتوحد صفوفه وتلهب حماسه، ففي النقابات والجمعيات والأحزاب وحدها اللائحة التي تمر بالإجماع هي لائحة فلسطين أو بلغة أدق لائحة الصراع العربي الصهيوني. وتعود جذور العلاقة إلى انتفاضة 1939/36 وحرب 1948 حين التحق مآت التونسيين بأرض المعركة مشيا على الأقدام بعد أن باعت النساء حليّهن لشراء السلاح وتأمين السفر. وللتونسيين (والمغاربة عموما) علاقة أقدم بفلسطين والقدس التي كان لهم فيها باب (باب المغاربة)، وهو باب من قرر الإقامة الدائمة هناك. وطيلة عقود التحقت أعداد كبيرة من الشباب الثائر بفصائل العمل الفدائي المختلفة وزفوا الشهداء، و لم يتأخر الشارع التونسي عن الإيفاء بالتزاماته تجاه شقيقه الفلسطيني، لكن الجميع لاحظ هذه المرة تراجعا رهيبا في أداء ميدان من أنشط ميادين الإسناد لفلسطين شعبا وقضية. فإلى ماذا يعزى هذا التراجع في هذا الوقت بالذات؟

الجرائم الصهيونية تتصاعد والإسناد الشعبي يتراجع

لا شك أن الطور الحالي من العدوان الصهيوني على الشعب الفلسطيني يعد الأفظع والأشرس والأكثر وحشية رغم كون الاحتلال الصهيوني بنى مشروعه ودولته على الإجرام والإرهاب المنظم والممنهج. فحرب الإبادة تستمر منذ أكثر من عام، وهي تجري على الأثير وأمام أنظار العالم الذي تحرك جزء مهمّ منه خاصة في العواصم الغربية التي تحرك أحرارها رغم حجم الهجوم القمعي الذي طالهم واستهدف مربعات الحرية المثبتة قانونا وواقعا. ورغم ذلك فرضت حركة التضامن مساحات مهمة للتحرك في الشارع والجامعات، لكن حركة الإسناد وعلى خلاف العادة ظلت محدودة وضعيفة وباهتة على طول الشارع العربي، بل أن شوارع عتيدة لم تتحرك إلا لماما مثل الشارع الجزائري والمصري والليبي، أما الشارع التونسي والعراقي وحتى اللبناني (قبل العدوان أساسا) فلم يكن في الموعد وظل وهجه وحماسه فاترا وباردا، ففي الوقت الذي نجد فيه الأعذار للشارع السوداني الذي تدمره قوى الثورة المضادة المتصارعة والتي تستغل الأوضاع الفلسطينية لمزيد الإجرام والإرهاب وتشريد الشعب وتجويعه، وفي الوقت الذي يتحرك الشارع اليمني باعتباره شارع الدولة المنخرطة في جبهة إسناد المقاومة فان شارعنا التونسي ظل دون المأمول رغم أهمية بعض الأنشطة المساندة التي نظمتها الجماهير الشعبية أو القوى السياسية والنقابية والمدنية التقدمية.

الشارع التونسي أخلف الموعد هذه المرة.

تستقر لدينا ولدى العديد في تونس قناعة عميقة أن شارعنا لم يكن كعادته وأنه فقد بريقه المتوهج الذي عرف به خاصة في مساندة القضايا العادلة وعلى رأسها القضية الفلسطينية. لقد خرجت

آلاف المسيرات في مختلف المدن والقوى التونسية لكنها فقدت زخمها ولم يتجاوز المشاركين فيها في بعض الحالات بضعة أنفار هم في الغالب من المناضلين والنشطاء. فرغم هول الصور التي تنقلها الشاشات إلا أن رد فعل الجمهور الواسع ظل خافتا وفي الغالب منعدما مما سرب اليأس والإحباط لبعض النشطاء والحركيين. ففي الوقت الذي يتحرك المساندون في عواصم العالم بأعداد واسعة طل التحرك عندنا محدودا وفي حالات عديدة رمزيا رغم بشاعة الأوضاع في الميدان ورغم استمرار حرب الإبادة لأكثر من عام يوما بيوم وساعة بساعة، وهاهي الحرب تتوسع إلى لبنان وتطال الاعتداءات الصهيونية اليمن وإيران، لكن شارعنا ظل محدود التفاعل وكأن ما يجري لا يجري في فلسطين الحبيبة بما تحملها من رمزيات ظلت حاضرة لا عند الشعوب العربية فحسب بل عند كل حرائر العالم وأحراره.

وبقطع النظر عن الشعور بالإخلال الذي يحسه مناضلو تونس ومناضلاتها، فإن تراجع منسوب الإسناد يجد تفسيره في الواقع الحسي للجماهير التي تعيش حالة من الإحباط المتواصل منذ فشل الموجة الثورية الأولى والثانية التي مست عديد البلدان العربية انطلاقا من تونس ومصر وصولا إلى السودان والجزائر مرورا بسوريا واليمن وليبيا ولبنان والعراق والتي كانت نتيجتها الفشل الذريع للثورات والانتفاضات وتمزق المجتمعات على خلفية مذهبية وطائفية، وتصاعد مظاهر الهيمنة والنفوذ الخارجي والإقليمي، فلم تحقق هذه السيرورة الثورية أيا من أهدافها في الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية. فرغم العطاء الثوري الكبير والزخم الاحتجاجي الذي عبرت عنه التحركات المليونية العارمة التي أكدت جدارة شعوبنا بأن تفتك حقوقها،إلا أن الحصيلة كانت مدمرة بفعل ضعف القوى الثورية والتقدمية مما سهل عملية السطو التي قامت بها قوى رجعية محلية وإقليمية ودولية، وتحولت الانتفاضات إلى أداة للتدخل والتفكيك ونشر الإرهاب التكفيري وعادت أنظمة العمالة أكثر عنجهية وصار المواطن العربي يتأسف على حسني مبارك والقذافي و عبدالله صالح...، و قد توفقت الأنظمة العميلة بوسائل التدجين والتعمية الإيديولوجية والاتصالية التي تمتلكها من ضرب النزوع للتحرر وتم تسريب فكرة استقرت في جزء من القلوب والعقول وهي أنه ليس بالإمكان التغيير، وأن قدر العرب أن يكونوا في مؤخرة ترتيب بلدان العالم وشعوبه على كل الأصعدة. و بطبيعة الحال فان الثمن كان باهظا فالأنظمة زاد صلفها والشعوب تضاعف خضوعها وازداد بؤسها المادي والمعنوي وتكاد تتبخر عديد الحقوق السياسية والاجتماعية التي عُمدت بالتضحيات لعقود متتالية بفضل الأحزاب والنقابات والقوى المدنية التقدمية.

إن ما تعيشه المجتمعات العربية من انتكاس وتراجع يشكل اليوم الحاضنة المادية لاتساع منطق الخنوع والخضوع واللامبالاة، فالجماهير العربية لا يحركها الوضع الفلسطيني كما لا تحركها أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تشهد الانحدار. وتعيش الحركة الثورية العربية أصعب أوضاعها في العقود الأخيرة ويتجلى ذلك في تراجع الحركة النقابية والسياسية والفكرية والشبابية والنسائية التقدمية، و الحركة تتأثر بتراجع واقع الحريات وتدهور حالة الوعي والصعود الكبير للنزعات المذهبية والطائفية الظلامية والرجعية سواء بمناسبة وصول الحركات الإخوانية للحكم السياسي منها (مصر،تونس،ليبيا،المغرب..) أو الإرهابية (سوريا،العراق..)، بمناسبة سقوطها وإسقاطها وبمناسبة العودة القوية للقبضة الأمنية في عديد الأقطار ونجاحها في فرض المقايضة الاستبدادية التقليدية التي ظلت تحكم بواسطتها لعقود متتالية: الأمن مقابل الحرية.

إن مجمل هذه الأوضاع عززت ذهنية اللامبالاة بما في ذلك في الشارع التونسي الذي راكم طوال أكثر من قرن تجربة محترمة في النضال المنظم والتقاليد المدنية والاجتماعية ذات المضمون الديمقراطي التقدمي والذي حاز فيه إسناد فلسطين والقضايا العربية والإنسانية العادلة ردحا مهما. ان تقاليد شعبنا تتراجع اليوم وقد لعبت الشعبويّة التي سطت على مجمل منظومة الحكم منذ ثلاثة سنوات دورا في تعميق هذا التدهور، ورغم فطنة لفيف هام من القوى التقدمية والشعبية بمغالطة نظام الحكم حول مساندته للقضية الفلسطينية ورفضه للتطبيع مع العدو الصهيوني وذلك بالوقائع المادية الملموسة مثل رفض سن قانون لتجريم التطبيع، فان ردود الفعل ظلت على العموم محدودة وضعيفة ودون ما تتطلبه التطورات في المنطقة التي لا تهم فلسطين ولبنان فحسب، بل تهم مجمل المنطقة اقتصاديا وسياسيا وأمنيا ضمن رؤية الامبريالية وصراعاتها من أجل مزيد وضع اليد على مقدرات المنطقة .

الشعب الفلسطيني ومقاومته يستنهضان شعوب المنطقة

إن النهوض البطولي للمقاومة في فلسطين هو بصدد إعلاء معنويات الثوريين والتقدميين في العالم، فبإمكانيات بسيطة جدا وعللا رقعة محدودة جدا قدرت المقاومة على الصمود البطولي طيلة أمثر من عام لم تتوقف فيها صواريخ المقاومة من رفح جنوبا إلى بيت لاهيا شمالا، وهو درس في الصمود والمقاومة والقدرة الجبارة على الوقوف إلى آخر رمق. انه أولى وأحرى أن ينعكس ذلك على معنويات الشعوب وقواها الوطنية والتقدمية حتى تنهض للاضطلاع بمهماتها في النضال على مختلف الأوجه والأصعدة وفي مقدمة ذلك النضال ضد أنظمة العمالة والاستبداد والاستغلال. لقد أكد القائد جورج حبش منذ عقود أن أفضل ما تقدمه الشعوب العربية لفلسطين هو أن تتحرر من أنظمتها التابعة، وهو درس لا زال يحافظ على راهنيته. إن واقع الحال اليوم أن شعب فلسطين ومقاومته هو الذي يحررنا من الخوف والإحباط ويدعونا إلى النهوض من جديد من أجل تحرر بلداننا وانعتاق شعوبنا بما في ذلك تحرر فلسطين وانتصارها على الاحتلال النازي.

جنوب أفريقيا والقضية الفلسطينية بعد طوفان الأقصى

د. كاظم الموسوي ـ باحث سياسي وأكاديمي عراقي

أثارت مواقف جمهورية جنوب أفريقيا بعد طوفان الأقصى من القضية الفلسطينية عموماً اهتمام العالم، وقدمت مثالاً فعالاً أمام الدول الأخرى، خاصة الدول العربية والإسلامية، من جهة، والعدو الصهيوني والإمبريالية الغربية خصوصاً، من جهة أخرى. فقد تقدمت هذه الدولة الأفريقية المشهد السياسي العالمي بعد طوفان الأقصى، وتجاوزت الدول العربية والإسلامية التي يفترض لها السبق في هذا الشأن، الذي قامت به جمهورية جنوب أفريقيا. وهو أمر سيذكره لها التاريخ والضمير الإنساني، خلاف غيرها من الدول والمنظمات التي تزعم بغير ما تعمله وتمارسه في أي شأن أو قضية إنسانية وسياسية مثل القضية الفلسطينية، القضية المركزية(!).

فضح ما جرى بعد طوفان الأقصى حكومات الدول الغربية والشرقية على الكرة الأرضية، والمنظمات والهيئات الدولية في تطبيق دساتيرها وأعرافها وقيمها القانونية والأخلاقية وقوانينها ومواثيقها، الداخلية الخاصة بها والخارجية المرتبطة بشكل ما بها او المقررة لها أو المدافعة عنها أو المصدرة لها والواقفة خلفها، اسماً أو فعلاً. في مقارنة بما تقوم به هذه الجمهورية الأفريقية، البعيدة جغرافياً عن فلسطين، وأغلبية سكانها ليسوا عرباً أو مسلمين، كما هو حال الدول المحيطة بفلسطين، التي تزايد في رفع شعارات قومية ودينية عن فلسطين، تتناقض فيها عما حصل ويجري في فلسطين الآن، بعد طوفان الأقصى، من سياسات صهيو غربية، في دعم القاعدة الإستراتيجية لها في فلسطين المحتلة، في الإبادة الجماعية والتهجير القسري والتدمير الشامل والتضليل الواسع والتشويه الممنهج وكي الوعي وغسل الأدمغة، بما يخدم مخططات الإمبريالية ومشاريعها الصهيو غربية، ضد الشعب الفلسطيني والمنطقة.

برز دعم جنوب أفريقيا للقضية الفلسطينية أكثر عالمياً في عهد الرئيس نيلسون مانديلا، بعد انتخابه رئيساً للجمهورية عام 1994، وهو القائل كلمته الشهيرة، "حريتنا منقوصة من دون حرية الفلسطينيين"، وأنتصر للقضية الفلسطينية وزعمائها دون توقف، أو تلكؤ، مقارناً وقائع ما عاشه في بلاده من أجل تحررها، من نظام الأبارتهايد وممارساته الوحشية والعنصرية وحرمان الشعب من حقوقه الأساسية من متطلبات الحياة، ومن خلال سيرة كفاحه الوطني، ومن بينها 27 عاماً قضاها في سجنها. مؤكداً على الاستفادة العملية من دروس التاريخ التي مرت عليه وعاشها، وعدم تكرارها في أي بلد آخر.

اعترفت دولة جنوب أفريقيا بدولة فلسطين عام 1995، وتبادلت معها التمثيل الدبلوماسي، وزار الرئيس مانديلا في تشرين الأول/ أكتوبر عام 1999 قطاع غزة، مطلعاً على ما يعانيه الشعب الفلسطيني من جرائم الاحتلال والعنصرية الصهيونية، والحصارات والاعتقال والأسر والتعذيب، ورسخ مانديلا الارتباط بين القضية الوطنية في بلده وقضية شعب فلسطين في الوجدان الشعبي في جنوب أفريقيا، وتصاعد دعمه مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام 2000 رغم الضغوط الدولية التي تعرض لها، وشجبه ازدواجية المعايير الغربية، التي وقف بوجهها وفي تعريتها عالمياً.

قامت جمهورية جنوب أفريقيا باتخاذ إجراءات أخرى منها سحب سفيرها من الكيان الإسرائيلي في عام 2018 احتجاجاً على الممارسات الإسرائيلية في قطاع غزة، وتعتبر جنوب أفريقيا القضية الفلسطينية جزءاً لا يتجزأ من التضامن الدولي من العدالة والسلام، وتواصل دعمها وتضامنها مع الشعب الفلسطيني في سعيهم لتحقيق حقوقهم المشروعة وإقامة دولتهم المستقلة.

«وخفض حزب المؤتمر الوطني الحاكم في جنوب أفريقيا عام 2019 مستوى التمثيل الدبلوماسي لدى «إسرائيل»، وأقيمت ندوات

واجتماعات دولية بجنوب أفريقيا لدعم الشعب الفلسطيني، واستضاف مقر حزب المؤتمر الوطني عام 2022 مؤتمراً لإحياء ذكرى النكبة الفلسطينية، ونظم حملة لدعم القضية الفلسطينية بالأمم المتحدة. وقررت جنوب أفريقيا في 8 آذار/ مارس 2023، خفض مستوى سفارتها لدى كيان الاحتلال إلى مكتب اتصال، بعد تصويت برلمان البلاد على قرار خفض مستوى العلاقات الدبلوماسية مع دولة الاحتلال بسبب الانتهاكات المستمرة التي تمارسها بحق الفلسطينيين. وفي 18 أيلول/ سبتمبر 2023، أعفت جنوب أفريقيا حاملي الجوازات الفلسطينية من تأشيرات الدخول لجنوب أفريقيا وذلك تسهيلاً لحركة الفلسطينيين، وهو منح المواطنين الفلسطينيين تأشيرات دخول في كل المطارات والموانئ والمعابر الحدودية لجنوب أفريقيا لمدة 90 يوماً، من دون الحاجة إلى إصدار تأشيرات من سفارات جنوب أفريقيا».

استمر موقف جمهورية جنوب أفريقيا في دعم القضية الفلسطينية، حتى بعد متغيرات داخلية، من بينها، نتائج الانتخابات التشريعية، وإقالة وزيرة الخارجية ناليدي باندور، حيث واصل رئيس جنوب أفريقيا سيريل رامافوزا دعم دولته للقضية الفلسطينية في المنابر الدولية وفي سياساته الخارجية، من بينها خلال كلمته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في اجتماعها الاخير (24 أيلول/ سبتمبر 2024)، التي حدد فيها بما يتعلق بالموقف من القضية الفلسطينية في نقاط رئيسية، واصفاً أولاً: «لا تزال إسرائيل تفرض على أهل غزة «العقاب الجماعي»، مؤكداً أن «عذاب شعب غزة مستمر بلا هوادة». وأضاف: «نحن الجنوب أفريقيين نعرف كيف يبدو الفصل العنصري. لقد عشنا الفصل العنصري. عانينا ومتنا تحت نظام الفصل العنصري. لن نلتزم الصمت ونشاهد الفصل العنصري يُرتكب ضد الآخرين».

وشدد الرئيس الجنوب أفريقي، ثانياً، على ضرورة إنهاء المعاناة التي يتعرض لها الفلسطينيون من خلال الأمم المتحدة والأدوات التي بحوزتها. وأكد أن القانون الدولي «لا يمكن تطبيقه بشكل انتقائي، ولا توجد دولة أكثر مساواة من أي دولة أخرى». وهو أول رئيس دولة يطرح هذا الموقف في هذا الاجتماع الدولي ويطالب هيئات الأمم المتحدة بتطبيق القانون الدولي دون تمييز أو انحناء للضغوط الغربية ولوبياتها الفاعلة.

وأكد ثالثاً، في الإشارة إلى القضية التي رفعتها بلاده أمام محكمة العدل الدولية سعياً للحصول على أمر بمنع الكيان من ارتكاب الإبادة الجماعية ضد أهل غزة، مضيفاً أن أوامر المحكمة توضح أن هناك أرضية لهذه القضية. وجدد دعوة بلاده لوقف إطلاق النار الفوري والإفراج عن جميع الرهائن، مضيفاً: «إن الحل الدائم الوحيد هو إقامة دولة فلسطينية جنباً إلى جنب مع إسرائيل وعاصمتها القدس الشرقية». وهذا الموقف له تأثيره الواسع في جلب المجرمين الصهاينة إلى المحكمة الدولية ومحاكمتهم على إجرامهم النازفاشي، ولأول مرة أيضاً يطرح مثل هذا الموقف ويصر عليه، رئيس الجمهورية وحكومته وحزبه، مع التماشي مع طروحات الأمم المتحدة المعلنة والدول المتغلبة عليها، ووسائل إعلامها ومخططاتها الإمبريالية المعروفة.

ورغم ذلك أشاد الرئيس الجنوب أفريقي بالأمم المتحدة منطلقاً من الدور الدائم للأمم المتحدة في الشؤون العالمية، وما شهدته بلاده منها، مشيراً إلى أن الأمم المتحدة، بدعم نضالها بوجه نظام الفصل العنصري، أكدت على «كرامة وقيمة كل شخص والحقوق المتساوية للأمم، الكبيرة والصغيرة». وأضاف: «يجب أن نسعى جاهدين من أجل عالم خالٍ من الأعمال الوحشية التي تسيء إلى ضمير البشرية»، مؤكداً أن الإبادة الجماعية والفصل العنصري وصمة عار على ضمير العالم. وقال: «كانت هذه الجرائم تعتبر جرائم ضد الإنسانية آنذاك، ولا تزال تعتبر جرائم ضد الإنسانية الآن». وهو ما رسم المشهد السياسي الدولي والجرأة في الطرح والاتهام وتفعيل دور المحكمة والقانون الدولي.

كان رئيس جمهورية جنوب أفريقيا سيريل رامافوزا، قد عبر بعد أسبوع من بداية الطوفان (14 تشرين اول/ اكتوبر 2023) عن دعمه للقضية الفلسطينية، والوقوف مع قطاع غزة وهو يواجه حصاراً وقصفاً عنيفاً من قبل الاحتلال الإسرائيلي. ونشر رامافوزا، بعد اجتماع عقده حزب المؤتمر الوطني الأفريقي، لمناقشة عدة قضايا محلية وعالمية، مقطع فيديو عبر حسابه بمنصة «اكس» مرتدياً الكوفية الفلسطينية وحاملاً عَلم دولة فلسطين، وموضحاً بعبارة «نتعهد بالتضامن مع شعب فلسطين.. فلسطين حرة».

ونشر الحزب الحاكم في تدوينة عبر حسابه بمنصة «اكس» إن أعضاء المؤتمر حرصوا على «ارتداء ملابس سوداء وعليها الكوفية الفلسطينية». كما أشار إلى أن اللافتة جاءت تأكيداً على دعم الحزب طويل الأمد والثابت للقضية الفلسطينية.

قامت وزيرة خارجية جنوب أفريقيا ناليدي باندور، حين كانت في مهمتها، بدور كبير في دعم القضية الفلسطينية، ومن بينها دعوتها الاتحادات النقابية إلى مقاطعة المنتجات الإسرائيلية، لافتة إلى أن الشعب الفلسطيني يحتاج إلى الإمدادات الطبية، وحثت الملايين على القيام بدورهم بالتبرع بالمساعدات ونقلها إلى الحدود المصرية في ظل قصف قطاع غزة. ونددت باندور خلال مؤتمر «معضلات الإنسانية»، بالعدوان الإسرائيلي على غزة، معتبرة أن السبب الجذري لهذا الصراع هو «الاحتلال غير القانوني». واستنكرت الحصار الذي يفرضه الكيان الإسرائيلي على القطاع براً وبحراً وجواً منذ سنوات، مشيرة إلى أن الفلسطينيين «ليس لديهم حرية الحركة»، كما أنهم «محرومون من الدخول والخروج الحر إلى أراضيهم، وكذلك حق الأطفال في التعليم».

يسجل لجمهورية جنوب أفريقيا تقديم الدعوى القضائية ضد الكيان الإسرائيلي، في 29 كانون الأول/ ديسمبر 2023، إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي، هولندا، حيث إن الدعوى هذه أول دعوى من

نوعها، تعرض أمام المحكمة الدولية وأنظار العالم، وهي لا تحاكم مجرمي الحرب الصهاينة وحسب وإنما إدارتهم الغربية والولايات المتحدة الأميركية على رأسها، متجاوزة كل الضغوط والحدود التي كانت ترسم لمنع مثل هذه الدعوى أو التحرك القانوني وتبعاته. وتصبح هذه الدعوى مهمة جداً أو لها أهمية كبيرة في فضح سياسات الإبادة الجماعية والتهجير القسري والتدمير والتضليل الممنهجين، والدعم اللوجستي والسياسي الخارجي الذي يتجاوز كل المعايير والقيم والأخلاق، وحقوق الإنسان والشعوب والدول. ويطلق عليها رسمياً تطبيق اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقب عليها في قطاع غزة، ومدعمة بالوثائق في 84 صفحة باللغة الإنجليزية وتثبت دلائل إدانة للكيان بالسعي للإبادة الجماعية بحق الشعب الفلسطيني. وفي 26 كانون الثاني/ يناير 2024، أصدرت المحكمة قرارها بشأن الدعوى، وطالبت فيه الاحتلال بـ «اتخاذ إجراءات من أجل منع الإبادة الجماعية في غزة، والتحريض المباشر عليها».

على إثر الدعوى تعرضت الحكومة الجنوب أفريقية إلى تهديدات وضغوط متنوعة، ولاسيما وزيرة الخارجية السابقة وأعضاء الوفد القانوني، وسبق رئيس جنوب أفريقيا، سيريل رامافوزا، في نهاية كانون الثاني/ يناير الماضي، التحذير من أن بلاده ستواجه حملات منهجية لتغيير النظام فيها، وأكد رامافوزا أنه «ستكون هناك حملات ردّ فعل منهجية، وأقول هذا حتى نكون على علم بها».

وأوضح ممثل جنوب أفريقيا أمام محكمة العدل الدولية، وزير العدل رونالد لامولا، أن العنف لم يبدأ في السابع من أكتوبر العام الماضي، فالشعب الفلسطيني يتعرض لنكبة مستمرة وللفصل العنصري على جانبي الخط الأخضر وأعمال إبادة جماعية ترتكبها «إسرائيل» في سياق الفصل العنصري الذي دام 75 عاماً، وأكد خلال مرافعته أن مستقبل الفلسطينيين يعتمد على قرار محكمة العدل الدولية.

طوفان الأقصى: محلية الحدث وعالمية الارتدادات

د. عصام حجاوي ـ كاتب سياسي ـ بريطانيا

لقد قيل وسيقال الكثير عن طوفان الأقصى، أسبابه، تداعياته وآفاقه منذ السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ وحتى اللحظة ورغم ذلك فإننا نعتقد جازمين بأن جوانب كثيرة بما يتعلق بالطوفان ما زالت تحتاج لكثير من الدراسة لوضعها في السياق التاريخي لقضية الصراع الفلسطيني والقومي والعالمي مع المشروع الصهيوني وتجسيده المادي المباشر في الكيان الصهيوني وحلفائه بهدف تصحيح بوصلة نضال القوى المناهضة لذلك المشروع بما يؤمن انتصارها المستقبلي الحتمي كضرورة وطنية وقومية وعالمية.

وعليه يصبح من الضرورة إعادة التذكير بحقيقة يتم تناسيها بقصد أو من دونه بأن المشروع الصهيوني ومنذ الإعلان عنه في مؤتمر الحركة الصهيونية في مؤتمر بازل / سويسرا في العام ١٨٩٧ لم يكن يتعلق بصناعة كيان سياسي ليهود العالم في فلسطين فقط، وإنما كمشروع عالمي يجب تأهيله ليكون رأس حربة القوى الإمبريالية في حينه وحاضراً لاستمرار نهبها لثروات الشعوب في المنطقة والإقليم وبقية العالم.

المشروع الصهيوني ما بين بريطانيا العظمى في حينه، أمريكا راهناً والكيان الصهيوني مستقبلاً.

كانت بريطانيا منذ نهايات القرن التاسع عشر رأس حربة المشاريع الاستعمارية بكل أشكالها في حينه من احتلالات عسكرية مباشرة، احتلالات بالوكالة أو بمشاريع الاحتلالات الاستيطانية الاقتلاعية كما حدث في جنوب إفريقيا، أستراليا ونيوزيلندا وقبلها القارة الأمريكية بشقيها شمالاً وجنوباً وأخيراً في فلسطين ما بعد الحرب العالمية الاولى. وبما يخص المشروع الصهيوني في فلسطين فيجب التذكير مجدداً بأن دور بريطانيا الحاسم والمباشر في خلق الكيان الصهيوني من خلال احتلال فلسطين ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية لم يكن سوى تطبيق أمين للمشروع الصهيوني كمشروع عالمي، وقد أكد ونستون تشرشل بعد صدور إعلان بلفور في الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧ تلك الحقيقة والالتزام عندما أعلن دون مواربة بأنه لو لم توجد الحركة الصهيونية ومشروعها لقامت بريطانيا بخلقها.

وهكذا مع تزعزع مكانة بريطانيا كرأس حربة للمشاريع الاستعمارية ما بعد الحرب العالمية الثانية، انتزعت أمريكا تلك المهمة ولا تزال وبالتزامات أكثر عدوانية

وهمجية وإن كانت تواجه تحديات إستراتيجية آنية يمكن أن تطيح بدورها القيادي الذي بدت تعتريه كثيراً مظاهر الضعف والترهل لأسباب كثيرة.

لقد تطور دور الكيان الصهيوني في هذا السياق من دور التابع للمشروع الإمبريالي العالمي في بدايات إعلان قيامه ثم لدور الشريك الكامل لينتهي به الأمر منذ بدايات هذا القرن على أحسن تقدير ليؤهل نفسه سياسياً، عسكرياً واقتصادياً ليحتل مكان الصدارة وقيادة المشروع ليس إقليمياً فقط وإنما عالمياً، وفي هذا السياق السياسي يجب فهم اتفاقيات ما يدعى بالسلام التي تم تدشينها باتفاقية كامب ديفيد واتفاقية أوسلو وما تلاها من فك الحصار السياسي للكيان إفريقياً وإسلامياً وصولاً للاتفاقات الإبراهيمية في مرحلتها الأولى وما كان مخططاً لامتداداتها مع السعودية وغيرها من الدول العربية. أما عسكرياً واقتصادياً، فبحكم طبيعة الكيان العدوانية وجوهر المشروع الصهيوني كان لا بد أن يبني اقتصاده أساساً على الصناعات العسكرية والاقتصادات الملحقة بذلك ليصبح الكيان ليس مسلحاً بالقنابل النووية فقط وإنما ليصبح رائداً عالمياً في كثير من فروع الصناعات العسكرية ليس التقليدية فقط وإنما تلك التي تعتمد الذكاء الاصطناعي وعلم النانو والرقميات الحربية.

إن المدخل العلمي الديالكتيكي-التاريخي لفهم السياقات المادية للطوفان يتطلب الإشارة لكل ما سبق ليس لشرح وتفسير الحدث وتداعياته وآفاق تطوره وإنما للإحاطة به من كل الجوانب لتأمين اشتراطات مستقبل الصراع بما يؤمن ويسرع بتحقيق الانتصار التاريخي على الكيان ومشروعه.

طوفان الأقصى حدث وطني تاريخي بامتياز

بالتأكيد وليس انتقاصاً من القيمة التاريخية لمن خطط ونفذ وساهم بخلق الطوفان، إلا أننا نعتقد بأنه لم يكن يخطر ببالهم أو ببال مناضلي شعبنا أن يصبح الطوفان حدثاً تاريخياً بامتياز، فبمراجعة أمينة لما كان يصرح به القائد التاريخي الشهيد يحيى السنوار أثناء وجوده داخل معتقلات الكيان وبعد خروجه فقد عبر بكل وضوح وصدق معهود عنه بأن مقاصده تمحورت حول تحرير الأسرى، فك الحصار عن غزة وحماية المسجد الأقصى، تلك الأهداف العملياتية الثلاثة والتي وإن لم يتحقق أي منها حتى كتابة هذا المقال على الأقل، إلا أنه ورغم ذلك فقد اكتملت الشروط الذاتية والموضوعية لتؤهل الطوفان كحدث وطني تاريخي بامتياز.

فبعد عشرات السنوات من تشظي الواقع الفلسطيني وخاصة بعد اتفاقيات أوسلو بما تحمله من جوهر وتداعيات أطاحت بوحدة الأرض والشعب والقضية أتى الطوفان ليعيد لملمة كل تاريخ نضالنا وثوابته وحتميته التاريخية، فبعد أن تم تقطيع أوصال جغرافية فلسطين التاريخية، وبموافقة تيار أوسلو وتيار التسويات السلمية تحت سقف حل الدولتين أو دولة واحدة مع المستوطنين، جاء الطوفان بحدود جغرافية تنفيذه ليؤكد بأن المحتل والمغتصب في العام ١٩٤٨ هي أراضٍ فلسطينية لا تقل قداسة عن ما احتل في العام ١٩٦٧.

وكذلك وحدة شعبنا التي أريد لها أن تتبعثر ما بين ضفة وقطاع وقدس و-عرب إسرائيل - وشتات لكل جزء منه همومه ومرجعيته، أتى الطوفان ليعيد لحمة هذا الشعب الموحد المتشبث بحقوقه التاريخية في فلسطين من بحرها لنهرها، فرغم كل القيود التي فرضت على كل أبناء شعبنا لخنق صوته إلا أن ذلك لم يثنِ شعبنا أينما وجد وبأغلب فئاته وخاصة الشباب عن التعبير عن وحدته بكل الأشكال ويؤكد بالملموس أن لا شرعية سوى شرعية المقاومة والبندقية لتمثيله.

لقد أريد لتقطيع أوصال شعبنا بالجغرافيا أن يؤدي ذلك لتقطيع قضيته السياسية التاريخية كقضية وطنية جامعة، فغزة تركت لتصارع الحصار والذبح بكل السبل، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، والضفة صريعة سرطان الاستيطان وتغول الاحتلال ومستوطنيه في ظل سلطة أمنية أريد لها وارتضت أن تكون أداة وامتداداً للاحتلال مقابل فتات مصالح فئة تحاول بما أوتيت من قوة أن تخضع شعبنا لنهجها وتلجم مقاومته، وأهل قدس ورأس حربة نضال شعبنا في المغتصب من العام ١٩٤٨ يواجهون سياسات انتزاع ما تبقى من الأرض وتدمير الهوية والانتماء الوطني كسكان من الدرجة الثالثة، وشتات يمثل أكثر من نصف الشعب الفلسطيني أريد له أن يذوب في مجتمعاته المحلية وهمومه المحلية ، إلا أن كل تلك الجهود التي أريد لها أن تنسف وحدة شعبنا بوحدة قضيته قد ذهبت أدراج الرياح بفعل الطوفان الذي أعاد إحياء قضيتنا كقضية جامعة للكل الفلسطيني بغض النظر عن مكان وجوده .

فرض التساؤل الوجودي على الكيان

لقد أتى الطوفان ولا يزال مستمراً ليفرض على الكيان مواجهة التحدي الوجودي لأول مرة منذ إنشائه في العام ١٩٤٨، فجوهر الفكرة الصهيونية التي اعتمدتها الصهيونية رسمياً في العام ١٨٩٧ لقيام الكيان - أرض بلا شعب.. لشعب بلا أرض - تفضح ليس فقط أهداف الحركة الصهيونية والغاية من قيام الكيان، بل تفضح أيضاً الأيدولوجية الإجرامية لكيفية تحقيق مشروعهم. فقد قامت الحركة الصهيونية وقبل وبعد مؤتمرها الأول في سويسرا في العام ١٨٩٧ بإرسال عدة بعثات استطلاعية واستقصائية لفلسطين والتي كلها أكدت على حيوية وحضارية الشعب الفلسطيني في حينه، فلماذا تبنت الحركة الصهيونية شعار- أرض بلا شعب؟ إن افتراض خلو فلسطين من شعبها في حينه وما تلا ذلك وإلى الآن، من النفي النظري لوجود الشعب الفلسطيني يؤكد أولاً عن النية الإستراتيجية التي تهدف حرفياً للتطهير العرقي والإبادة الجماعية للفلسطينيين كهدف نهائي للمشروع الصهيوني، ولتحقيق ذلك الهدف المبني على نفي الوجود المادي التاريخي لشعبنا فوق تراب أرضه كان لا بد للحركة الصهيونية وكيانها إلا أن تعتمد على الإرهاب والمذابح والتطهير العرقي لتحقيق برنامجها وأيدولوجيتها من خلال الاعتماد على القوة الغاشمة والتي تنفذها

مجموعة من الأجهزة والمؤسسات وعلى رأسها تلك العصابات الصهيونية التي أسست تاريخياً قبل وأثناء فترة الاحتلال البريطاني والتي توحدت لاحقاً لتكون نواة جيشه كاستمرارية تنظيمية وعقائدية تسعى لاستكمال الهدف النهائي للمشروع الصهيوني وعليه فإن المقولة التاريخية بأن الكيان عبارة عن جيش له دولة وليست دولة لها جيش هي مقولة مبررة تاريخياً وواقعياً.

لقد اعتمد ذلك الجيش وبقية المؤسسات الأمنية وكل أجهزة الكيان ومؤسساته على مجموعة من الإستراتيجيات الأمنية مفادها أن الضمانة الاكيدة لاستمرار الكيان ديمغرافياً هي إشاعة الافتراض بأن المكان الآمن الوحيد ليهود العالم هو الكيان والكيان فقط بقوة جيشه القادر على حماية مستوطنيه وبالتالي استمرار تدفق المستوطنين للكيان لضمان استمرارية وجوده ببعده الديمغرافي وبالتالي فقد اعتمدت المؤسسات الصهيونية وفي المقدمة منها الجيش وكافة الأجهزة الأمنية للكيان على مجموعة من الإستراتيجيات بهذا الخصوص وعلى رأسها ضرورة خوض المعارك السريعة الحاسمة على أرض - العدو- وضمان التفوق التكنولوجي والتسليحي ليس فقط على أعدائهم وإنما حتى أصدقاءه ومن يقفون على الحياد أيضاً .

لقد وجه طوفان الأقصى ضربة إستراتيجية قاصمة لتلك الإستراتيجية الأمنية - العسكرية للكيان، صحيح أنه لم يكن من المنتظر أن يحقق بضع مئات من المقاتلين خلال عملية الطوفان أي انتصار عسكري مستدام بتحرير جزء من الأرض الفلسطينية ولكنه صحيح أكثر أن الأداء العملياتي للمقاتلين قد أجبر الكيان على مواجهة ذلك التساؤل الوجودي الذي ظن ولعقود من الزمن يعتقد أنه لن يواجهه، فمجرد أن تكون هناك إرادة بمقاتلة الكيان ضمن - حدوده وعلى أرضه - وتدمير وهزيمة مذلة لفرقة كاملة من قواته على أرض المعركة، بل واقتياد قياداته العسكرية والمدنية أسرى للمقاومة وبذلك تكون إستراتيجية الكيان الأمنية قد تم نسفها مرة وإلى الأبد، وهذا ما يفسر جزئياً جنون الكيان وإجرامه وهمجيته الراهنة في محاولة يائسة لإعادة الاعتبار لأسس إستراتيجيته وفي المقدمة منها وهم الأمان الذي توفره أجهزته العسكرية والأمنية لمستوطنيه .

إن حجم الهجرة العكسية من الكيان لمستوطنيه لبلادهم الأصلية منذ السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، وعجزه حتى الآن عن إعادة مستوطنيه للشمال والجنوب، واتساع جغرافية المواجهة مع قوى المقاومة ليس في حدود كيلو مترات محدودة من الحدود وإنما أصبحت كل جغرافيا فلسطين ساحة للمعركة من الناقورة مروراً بحيفا وصفد ويافا وصولاً لبئر السبع وأم الرشراش رغم قوته الغاشمة كل ذلك فرض التساؤل الوجودي على الكيان والذي بدأ قادته العسكريون والمدنيون بتناوله علناً وهذا يمثل الإنجاز التاريخي للطوفان وتداعياته.

عالمية ارتدادات الطوفان

لقد كانت القضية الفلسطينية كقضية تحرر وطني تحظى دائماً بدعم أوساط جماهيرية، حزبية ورسمية على امتداد العالم بحكم عدة ظروف، ولكن ما استجد منذ الطوفان وبالملموس المادي، ليس فقط اتساع دائرة الدعم للقضية الفلسطينية كقضية تحرر وطني لأطول صراع لم تحسم نتيجته بعد لأكثر من مئة وعشرين عاماً تقريباً رغم أهميته، وإنما لكون القضية الفلسطينية أصبحت مقياساً لإنسانية البشرية وقضية الحرية بمفهومها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي.. إلخ وخاصة في الأوساط الشابة وطلاب الجامعات والذين حتماً سيكونون مستقبلاً قادة الفكر والسياسة والاجتماع في المستقبل مما أسس لطوفان ثقافي ونضالي عالمي حيث ترتبط المطالب القطاعية والوطنية المحلية بما أفرزه وجذره طوفان الأقصى من مفاهيم وقيم أخذت صفة العالمية، فإذا كان طوفان الأقصى قد أكد موروثنا الثقافي- ما يضيع حق وراه مطالب- فقد أصبح هذا الموروث يحتفل به ويتم اعتماده عالمياً في صفوف الحركة العالمية الداعمة لشعبنا، فطوفان الوعي المفاجئ والمتعطش للإلمام بالقضية الفلسطينية على امتداد العالم من اليابان وكوريا الجنوبية مروراً بآسيا وأوروبا والأمريكيتين.

بالإضافة لذلك، فقد تم اختراق الوعي الجماهيري والمؤسساتي بالرواية الفلسطينية لأسس الصراع وجوهر القضية الفلسطينية في مواجهة المشروع الصهيوني كمشروع استعماري استيطاني اقتلاعي، هذه الرواية والتي لأكثر من سبب كانت مغيبة لعقود طويلة في ظل غلبة انتشار الرواية الصهيونية على الأقل حتى بدايات القرن الحالي، لقد أتى الطوفان ليسارع وبشكل غير مسبوق ومن خلال كثير من الإبداعات الجماهيرية العفوية والمنظمة من توجيهه ضربة قاصمة للرواية الصهيونية وللكيان حيث وبالملموس يتم الآن إعلان مدن ومناطق وحتى دول كمناطق خالية من النشاط الصهيوني بكافة أشكاله.

وعله من الأهمية بمكان الإشارة لأحد أهم تداعيات الطوفان على المستوى العالمي والمتمثل ليس بالاعتراف فقط بجدوى المقاومة كوسيلة وجدوى نضالية للتحرير مدعمة بقرارات وإجماعات عالمية قانونية بالوثيقة الرابعة لاتفاقيات جنيف للعام ١٩٤٩ والخاصة بتقنين العلاقة ما بين القوة المحتلة والشعب الذي يخضع للاحتلال، وإنما بدعم ذلك تصريحاً وموقفاً في مواجهة ادعاءات الاحتلال الباطلة بوسم المقاومة بالإرهاب.

وهكذا ولكونه من المستحيل الإحاطة وتناول كافة معاني وتداعيات الطوفان في مقالة صحفية، إذ إن ذلك يحتاج لأكثر حتى من كتاب، إلا أن الطوفان كان وبجدارة التاريخ والمعطيات المادية حدثاً تاريخياً أسس وسيؤسس لتداعيات وطنية وإقليمية وعالمية سترسم معالم المستقبل وتطرح تحديات لا بد من مواجهتها ولا بد لها أن تثمر عن تغيرات جذرية ستكون بالتأكيد ليس لصالح قضيتنا الفلسطينية فقط وإنما ومن دون مبالغة ستكون فاتحة لعالم آخر من أجل الإنسانية وأملنا أن تنهض قوى المقاومة مسؤولياتها وتبني على ما مثله الطوفان وتداعياته للمساهمة بتحقيق ذلك.

الطوفان والتقاطعات الدولية

عدنان بدر ـ كاتب سياسي سوري

من المهم، بعد مرور عام على اندلاع طوفان الأقصى، أن نلقي نظرة على التقاطعات الدولية التي أحاطت بهذا الحدث المفصلي لتترك آثاراً مصيرية على المنطقة كلها، وربما على العالم بأسره.

قبل السابع من أكتوبر 2023 كانت المنطقة تعيش المراحل الأخيرة من عملية تثبيت إسرائيل وصياً أمريكياً عليها فيما تقوم واشنطن بنقل اهتمامها ووسائل قوتها العسكرية إلى منطقة شرق آسيا لمجابهة العملاق الصيني الذي بات يهدد وحدانية الهيمنة الأمريكية على العالم.

في هذا السياق كانت المظلة الإسرائيلية على وشك الاكتمال انطلاقاً من المركز بالتطبيع مع مصر والأردن والسلطة الفلسطينية وامتداداً إلى الشرق مع دويلات الخليج (الإمارات والبحرين) وإلى الجنوب والغرب (السودان والمغرب) ثم الشمال حيث مشروع الدولة الكردية في شمال سورية والعراق وربما جنوب شرق تركيا. ليتوج المشروع اكتماله بالتطبيع مع المملكة العربية السعودية.

في هذا السياق أيضاً كانت إسرائيل بانتظار ذلك الاستكمال لتقوم باجتياحين عسكريين:

الأول: اختراق جنوب شرق سورية بدعم من القاعدة العسكرية الأمريكية في التنف، وصولاً إلى البوكمال لقطع الطريق بين سورية والعراق بدعوى إبعاد إيران عن الأراضي السورية واللبنانية وكذلك لتحقيق التواصل المباشر مع المشروع الانفصالي الكردي والمساهمة الجدية والمباشرة في تثبيت التقسيم في سورية.

والثاني: غزو لبنان للإجهاز على قوات حزب الله التي باتت آخر ما يشكل تهديداً جدياً لمشروع الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة.. والدليل على ذلك هو ما كشفته التطورات من استعدادات استخباراتية وتخريبية ظهرت على الأرض، إضافة إلى أن وزير الدفاع غالانت كان قد اقترح الشروع بالهجوم على لبنان مباشرة بعد 7 أكتوبر قبل اجتياح قطاع غزة.

كل ذلك في الوقت الذي كانت فيه القضية الفلسطينية قد طويت (أو هكذا بدا) تحت سجادة الوضع العربي المتهالك في أعقاب التدمير الذي أحاق بأبرز دوله (العراق وسورية وليبيا والسودان واليمن).

أول وأبرز ما حققه طوفان الأقصى هو النيل من صورة السطوة الإرهابية التي ترتكز عليها الهيمنة الإسرائيلية على كل دول المنطقة، وأول من أدرك هذه الحقيقة هو الولايات المتحدة الأمريكية التي سارعت على الفور إلى إرسال بوارجها وحاملات طائراتها إلى الشرق الأوسط (لا من أجل الحرب مع مقاتلي حماس في أنفاق غزة, بل من أجل استدراك ما اعتبرت أن الفشل الإسرائيلي في تلك المعركة قد أحدثه في موازين القوى الدولية في البحر المتوسط ومحيطه.. ما يعني سد فجوة أحدثها الطوفان في الثقة الأمريكية بقدرة إسرائيل على لعب الدور الذي كان موكلاً لها).

ولعل أبرز ما جرى التفاهم عليه بين القيادة الإسرائيلية والمسؤولين الغربيين الذين هرعوا لنجدتها على عجل هو كيفية استعادة هذه السطوة عن طريق الاجتياح الأكثر وحشية في هذا العصر لقطاع غزة ولبنان، فيتم تحقيق هدفين معاً: تصفية الأثر المدمر للطوفان واستئناف مسيرة المشروع الأمريكي لتنصيب إسرائيل وصية على المنطقة من جديد. وتم التفاهم مع القيادة الأمريكية خاصة على توفير جميع لوازم هذه المهمة بجميع أشكالها العسكرية والمالية والسياسية والدبلوماسية. بما في ذلك مسرحية الخلافات المصطنعة بين القيادتين كي تحافظ الولايات المتحدة على علاقاتها مع الأنظمة العربية حرصاً على الأخيرة مما يمكن أن يثيره هذا التواطؤ العدواني من غضب لدى الشعوب العربية. ما يذكرنا بأسلوب صيد الفيلة حيث ينقسم الصيادون بعد إيقاع الفيل في حفرة المصيدة إلى فريقين يقوم الفريق الأول يومياً بضرب الفيل وتعذيبه داخل الحفرة ليسارع الفريق الثاني إلى طرد الفريق الأول وتقديم الطعام والماء للفيل المعذب. وتستمر هذه المسرحية عدة أيام حتى ينضج لدى الفيل نوع من الاستئناس للمجموعة الثانية فيطيعهم ويسلم قياده لهم.

لقد كشف العام الماضي أن ما اعتقد الإسرائيليون وأسيادهم في واشنطن أنه لن يكون أكثر من «نزهة» سيتم إنجازها خلال أيام أو بضعة أسابيع على الأكثر، اعتماداً على ما وفروه لها من إمكانيات وما تزودوا به من وحشية ومن دعم وحماية أمريكية مطلقة، قد تحول إلى كابوس في مواجهة المقاتلين الفلسطينيين البواسل وشعبهم الصامد المستعد لتقديم أغلى التضحيات التي أثارت إعجاب العالم وتضامنه غير المسبوق منذ الثورة الفيتنامية.

وها هي المقاومة تفتح أبواب العام الثاني من هذه المواجهة غير المسبوقة وقد تحولت مع انخراط محورها الكفاحي في لبنان واليمن إلى مشروع نهضة جديدة لصد المشروع التدميري كله، لا عن غزة ولبنان فقط بل عن الأمة العربية كلها وربما عن العالم لأن نجاح المشروع الصهيوني الأمريكي لن يقف عند حدود ما كان معداً له قبل الطوفان بل أكثر من ذلك بكثير حيث ستصل الهيمنة الأمريكية على المنطقة العربية إلى التهديد المباشر لمشروع الحزام والطريق الصيني بإنجاز مشروع «الممر الاقتصادي» الذي تم الإعلان عنه في قمة العشرين التي انعقدت في نيودلهي بتاريخ 9 أيلول 2023 ليصل بين الهند وأوروبا مروراً بالإمارات والسعودية والأردن وإسرائيل، في حين تهدف الهيمنة الأمريكية على كل شرق المتوسط إلى قطع الطريق على المشروع الصيني، كما ستعمد إلى تطويق الوجود الروسي على الشاطئ الشرقي لذلك البحر.

إننا نواجه في مطلع العام الثاني من هذا الطوفان معركة مصيرية محليا وإقليميا ودوليا لا نملك فيها غير صمود هذا الشعب وأبطاله ومقاومته واستبسالهم وتشبثهم بأرضهم وقضيتهم.

طوفان الأقصى..
استراتيجية الفعل الفلسطيني
في مواجهة الشرق الأوسط الجديد

لمى الشطلي - كاتبة صحفية فلسطينية ـ سورية

طوفان الأقصى أعاد فاعلية محور المقاومة ضد المخططات الصهيوأمريكية في الشرق الأوسط، وضرب معادلات القوى في حادثة تاريخية ساهمت بإعادة قراءة اللاعبين الإقليميين والدوليين للمنطقة.

فبعد ما يسمى بالربيع العربي تسابقت الدول العربية إلى تصفية القضية الفلسطينية وفتح مسار التطبيع كما أرادت الولايات المتحدة الأمريكية، فإما أن تكون معها وإما أن تكون في مواجهتها مع المحور الثاني بقيادة إيران ومن خلفها الروسي والصيني، لذلك سعت الولايات المتحدة الأمريكية لمواجهة هذا المحور تماشياً مع مصالحها الإقليمية والدولية.

ومنذ حرب 2006 مع حزب الله في لبنان التي كانت بمثابة دق ناقوس الخطر لاستطاعة المقاومة خلق توازن رعب في المنطقة قد يغير المعادلة لصالح محور المقاومة، بدأت إسرائيل ومن خلفها الولايات المتحدة الأمريكية بالعمل على إنهاء قدرات المحور وداعميه من الدول، لذلك سعوا عبر تفعيل «الحرب الناعمة» المصطلح الذي صاغته الأدبيات الإمبريالية الحديثة على يد جوزيف ناي وما يحمله من أدوات تكنولوجية و سيبرانية.. إلخ بالاستعداد لأي حرب طارئة، لكن الذي لم يكن في الحسبان هو أن تكون الفصائل الفلسطينية الفتيل الأساسي لاشتعال الحرب، فما نفذته حماس في 7 أكتوبر أربك الحسابات الإسرائيلية والأمريكية خلفها وخلط الأوراق وفتح جبهات عدة وصلت بعضها لحد المواجهة المباشرة مع إيران ونشوب حرب في جنوب لبنان.

القضية الفلسطينية مركز الصراع في الشرق الأوسط

أثبتت المقاومة الفلسطينية أن الشرق الأوسط لا يمكن أن يعيش حالة من الهدوء أو الاستقرار طالما أن القضية الفلسطينية بلا حل، وذلك على خلاف ما افترضته الولايات المتحدة على لسان مستشار أمنها القومي " جاك سوليفان" بأن الشرق الأوسط أصبح منطقة هادئة، بل أن المقاومة الفلسطينية أكّدت وبالإطار الفعلي أن تحرير فلسطين هو جزء لا يتجزأ من تحرير المنطقة، وكشفت عن كم التداخل والصراع ليس الإقليمي فحسب وإنما الصراع العالمي والحرب على النفوذ واستمرار الهيمنة من عدمها، أي أن الإدارة الأمريكية ومن خلفها الغرب الاستعماري باتوا أكثر وضوحاً في دعم حرب الإبادة لأنهم وجدوا أنفسهم في لحظة مفصلية لاستمرار مشروعهم في المنطقة في ظل تعاظم قوى إقليمية ودولية أخرى، وهذا ما دفع مارك لينش -أستاذ العلوم السياسية والشؤون الدولية في جامعة جورج واشنطن- إلى القول:

بأن «طوفان الأقصى سيهدد المصالح الأمريكية الأساسية في الشرق الأوسط، وفي أوكرانيا، وفي منافسة واشنطن مع الصين على النظام في منطقة المحيطين الهندي والهادئ»، ويضيف: «إننا نواجه معًا (يقصد الغرب) أكبر تهديد للنظام العالمي، منذ ثلاثينيات القرن العشرين.»

ومع وجود اليمين المتطرف في إسرائيل

المتقاطع فكرياً مع المحافظين الجدد في أمريكا الطامحين إلى تغيير العالم ووضعه ضمن مسار الرؤى الأمريكية لتبقى قائداً للنظام الدولي، وفي خضم الواقع العربي الذي يعيش أسوأ حالاته، باتت إسرائيل أكثر حماسة في تنفيذ مخططها لتصدر اتفاقيات أبراهام لتكون القاعدة الأساسية التي تتبنى تغيير وجه المنطقة العربية الحاضنة للقضية الفلسطينية، إلى دول تتعايش بسلام معها على خلفية العجز في تصفية القضية محلياً فكان لا بد من وأد المحيط العربي لها.

وأمام هذا كله ومع قراءة الواقع الحالي والمستقبلي، لم يجد الفلسطيني سوى المقاومة كخيار إستراتيجي يضمن له البقاء والاستمرار، فمن السياسات الصهيونية من تهويدٍ وقتلٍ وزيادة استيطان وتجويع وحرمان من أدنى مقومات الحياة إلى ملف التطبيع، كان لا بد من موقف حازم يعيد القضية الفلسطينية إلى الواجهة، فكانت عملية طوفان الأقصى التي رفضت كل تلك المخططات المستهدفة للوجود الفلسطيني أو عزل هذا الوجود عن محيطه الحيوي.

المقاومة الفلسطينية ليست حماس فحسب

منذ بدء طوفان الأقصى عملت إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية على تصدير الحرب وكأنها مع فصيل فلسطيني واحد «حماس»، لتبرير الطابع الدموي للمعركة الذي على حد تعبيرهم يتبلور بالقضاء على حماس وحاضنته الشعبية، القطاع في غزة ليس بأسره حماس هناك قوى مقاومة أخرى وشعب فلسطيني يناضل في سبيل استرجاع حقوقه وإقامة دولته منذ عام 1948، قوى المقاومة الفلسطينية التي حماس جزء منها هي حركات تحرر وطني تسعى لدحر الاحتلال واستعادة الأرض، واقتصار الآخر الفلسطيني في الخطاب الصهيوني الأمريكي على حماس جاء ضمن مخطط يستهدف الخلاص من أكبر فصيل يملك قدرات عسكرية أعاد زخم الكفاح المسلح في قطاع غزة، فالسنوار الذي خرج من السجن إلى غزة أدرك جيداً أن المعادلة الفلسطينية لا يمكن أن تُحل إلا بالمقاومة، وأن انتزاع أي مكتسبات سياسية لا يتم إلا بعمليات نوعية، وطوفان الأقصى والغرفة المشتركة للفصائل الفلسطينية دحضت زيف الأقوال الإسرائيلية الأمريكية، لأنه وحّد القوى الفلسطينية المختلفة على مبدأ المقاومة والتعاون المشترك وصلت حدها لتنفيذ عمليات مشتركة، الميدان خلق وحدة فلسطينية عسكرية وأظهر أنّ المقاومة الفلسطينية ليست مقتصرة على حماس، لكن أدلجة الحرب وكأنها بين إسرائيل وفصيل ذي طابع إسلامي(إرهابي بحسب تعبيرهم) يُسهّل إقناع الغرب بها لينقاد في تأييده غير المشروط لإسرائيل..

قراءة في المستقبل وتوازنات القوى

إن معطيات الأرض الحالية تقودنا للقول إن إسرائيل استنفدت ما تستطيع فعله على الأرض فمن القصف والإبادة الجماعية في غزة إلى الاختراق السيبراني وفتح جبهة مع لبنان ومن بعده تصفية القادة الرئيسيين في محور المقاومة، يضعنا أمام تساؤل كبير ماذا باستطاعتها أن تفعل بعد؟

التدقيق بواقع الحرب بعد كل ما فعلته إسرائيل في المنطقة يؤدي إلى التوقع بأن سقف الطموحات الإسرائيلية الأمريكية سينخفض إذا استمرت المقاومة الفلسطينية واللبنانية بالصمود على الأرض، لكن هذا لا يمنع بذات الوقت من احتمالية تمادي إسرائيل لضرب كل من له علاقة بمحور المقاومة لتحصيل أعلى حد من المكتسبات وهذا ما يبرر اعتداءها على إيران وسورية.

إن إسرائيل وعلى يد رئيس وزرائها نتنياهو الذي رفع خريطة جديدة للشرق الأوسط في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، قسّم المنطقة إلى محورين «محور النعمة» الذي يضم الدول المطبعة، ومحور «النقمة» الذي يشمل دول المقاومة (إيران، العراق، سورية، ولبنان)، ومحور النقمة في فكر نتنياهو أمام خيارين إما أن ينأى بنفسه ويتخلص من المقاومة فيه أو يقوم هو بتغييره بنفسه، وترجم كلامه فعلياً على الأرض ليعطي تعليمات بذات الوقت لاغتيال الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، مُوجّهاً رسالة للعالم بأسره بأنه ماضٍ في تنفيذ ما يصبو إليه، غير أن نتنياهو لم يكن يجرؤ على طرح هكذا مشروع لولا وقوف أمريكا والدول الغربية خلفه، ويبرز هنا التساؤل الأهم: هل السلام والمهادنة سيحمي ما تبقى من الأرض الفلسطينية والدول في محور المقاومة؟ أثبتت التجربة الفلسطينية أولاً بأن السلام الذي يتحدث عنه الصهيوأمريكي ما هو إلا استسلام في واقع الأمر وخير دليل على هذا اتفاقية أوسلو التي ساعدت على قضم المزيد من الأرض، ومنحت الوجود الفلسطيني اسماً لدولة لا تمتلك أي صلاحية في الواقع، فهل التاريخ كفيل لتمسك دول محور المقاومة بالمقاومة كخيار للوجود يحميها على الأقل من الانخراط في استسلام يجعلها لقمة سائغة أمام الأهداف الجيوسياسية الصهيونية-الأمريكية في المدى البعيد؟

إن ما يحدد مستقبل المنطقة توازن القوى واللاعبين الأساسيين فيها، فإذا رأت الولايات المتحدة الأمريكية مصالحها مع ما يفعله نتنياهو فسوف تستمر في دعمه طالما أنه سيخلق قوة إقليمية تدفع بالخطر الروسي والصيني ويمنحها مزيداً من النفوذ والهيمنة.

في خلاصة الأمر القوة وحدها هي التي تفرض المعادلة، والشعب الفلسطيني وجد في المقاومة الخيار الأنسب لإعادة إنتاج القضية الفلسطينية وفق المسارات التي تحقق له أهدافه ومصالحه، وكان المحرك الأول لمواجهة حقيقية على الأرض استوجبت تلاقي المحورين في هيكلية جديدة أفصحت عن قدرات باستطاعتها إيقاف التمادي الصهيوني وليد الفكر الاستعماري الغربي، المقاومة الفلسطينية كشفت دون أدنى مجال للشك التموضعات الحقيقية للدول، ومنحت الدول العربية المطبّعة الفرصة لمراجعة مرتكزات أمنها القومي والإقليمي.

قراءة في المشهد السياسي الأميركي بعد عام على طوفان

د. رباب عبد الهادي

مديرة البرنامج الأكاديمي لدراسات الجاليات العربية والمسلمة بالمهجر وكبيرة الباحثين والباحثين في جامعة ولاية سان فرانسيسكو

«طوفوا شوارع نيويورك»
«فلسطين حرة من البحر الى النهر»
«أوقفوا المذبحة في غزة فوراً»
«الصهيونية عنصرية»
«إضراب شامل تضامناً مع فلسطين»
«لا حياه عاديه والإبادة الجماعية مستمرة»
«يا كاميلا هاريس لا يمكنك الاختباء فنحن نتهمك بالإبادة الجماعية»
«كل دولار يبتاع فشكه لقتل أطفال غزة»

تكررت هذه الشعارات في ملصقات وتغريدات السوشيال ميديا وعلى ألسنة آلاف المتظاهرين والنشطاء في المدن الأمريكية الكبرى والصغرى والجسور والطرقات الرئيسية التي عطلت حركة السير إلى المطارات ومحطات القطارات الحيوية. ومن سان فرانسيسكو إلى نيويورك ومن فيلادلفيا إلى شيكاغو لم تستثني العاصمة واشنطن منذ أن كسرت عملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر العام الماضي سياج المستوطنات والاستعمار الذي حاول خنق الشعب الفلسطيني ومنعه من الحياة.

فالتقطت الشعارات بشكل تلغرافي عكس تأثير طوفان الأقصى على مختلف جوانب الحياة السياسية والحركات الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية. وتفاعلت تراكمات الحراك الفلسطيني إن كان على صعيد الجالية ومنظماتها أم الحركة الطلابية و الحراك النسوي والنقابي والتضامني والسياسي التي اختزلت مسافة زمنية وقلبت خلال 24 ساعة عالمنا فلا إمكانية للعودة لعالم ما قبل السابع من أكتوبر. ولم تنجح الحملة الشرسة التي أطلقتها المنظمات الصهيونية والقوى العنصرية البيضاء المنظمة ومعهم دوائر الشرطة ومكتب التحقيقات الفيدرالية وأدوات القمع الأخرى لتحويل الأنظار عن حرب الإبادة الجماعية الصهيونية من ناحية الصمود الأسطوري الفلسطيني و من ناحية أخرى بتشويه مبادئ الحركة التضامنية واتهامها زوراً بالكراهية لليهود.

فأضحت فلسطين القضية المركزية في اهتمامات الشعب الأمريكي وحتى في الانتخابات أيضاً ولم يعد ممكناً إهمال القضية الفلسطينية كقضية هامشية تهم أقلية صغيرة من العرب والمسلمين.

وقبل أن نلقي نظرة سريعة على معركة الانتخابات الأمريكية في الخامس من نوفمبر 2024 ، دعونا ندرس التحولات التي أدت إلى اتساع وتعميق وكثافة التضامن وتطوير الوعي الشعبي تجاه القضية الفلسطينية وخاصة بين الفئات المسحوقة والمهمشة في المجتمع الأمريكي وتنظيماتها ومؤسساتها – ذلك الدعم الذي تعدى مشاعر التعاطف مع آلام وجروح المجازر والطرد القسري ومحو معالم فلسطين لتحقيق الإدعاء الصهيوني بوجود «أرض بلا شعب»، ليصل إلى الدفاع عن مشروعية حق الشعب الفلسطيني في الدفاع عن نفسه في وجه إحدى أكبر وأحدث وأكثر الترسانات الاستعمارية عسكرةً. فلنأخذ بعض الشعارات التي رفعتها فئات مختلفة ونناقش ما تدل عليه. فإن رفع شعارات من هذا النوع وتعزيز الوعي وانتشار التضامن لا يسيران في فضاءات منفصلة عن بعضها البعض بل إن علاقة جدلية تربطهما حيث يؤثر الشعار على الوعي وتطور الوعي وتفاعل الطرفين يحدث ردود الفعل بمختلف أشكالها سواء كان نتاجها سلبياً ام ايجابياً.

نقلة نوعية في الخطاب السياسي الشعبي باتجاه التحرير الكامل لفلسطين والتضامن مع المقاومة

فلنأخذ الشعار الأول «طوفوا شوارع نيويورك» والذي أطلقه حراك شبابي من الصبايا والشباب «خلال حياتنا» «within our lifetime» أي أن تحرير فلسطين سيتم خلال حياة هؤلاء الشباب والصبايا،

ويتميز هذا الحراك بقدرته على تعبئة آلاف المتظاهرين في الشارع خلال ساعات بمجرد نشر تغريدة أو إعلان على منصة الانستغرام . وهذه القدرة على تعبئة آلاف المتظاهرين بالشارع بسرعة وتحدي يمنحهم قوة استطاعت مواجهة شرطة نيويورك المعروفة بـ عنصريتها و قمعها وتعاونها وتبادلها للمعرفة الميدانية والاستخبارية مع سلطات الاحتلال الصهيوني. فمثلاً فشل إعلان حاكمة ولاية نيويورك عن نيتها بسن قانون يحّرم ارتداء الأقنعة رغم اعتقال الشرطة وإساءتها معاملة الطلاب والشباب الملثمين (لإخفاء هوياتهم عن أجهزة الرقابة لمختلف أدوات التنصت والقمع الأمريكية والتي تتبادل هذه المعرفة التجسسية مع مثيلتها الصهيونية) الذين تظاهروا في مناسبات عدة ومن بينها تأييد طلاب جامعة كولومبيا ومن بعدها جامعة مدينة نيويورك العامة الذين تصدروا الإضراب ورفضوا الخضوع لمطالب إدارة الجامعات المتواطئة مع اللوبي الصهيوني فقد أحبط حجم المظاهرات الهائل مخططات الشرطة لقمع المتظاهرين الملثمين. وكذلك شأنه شأن من يستطيع السيطرة على الشارع الشرطة أم المتظاهرين. فكلما ازداد عدد المتظاهرين كلما فشلت أدوات الحكومة الرسمية في فرض سيطرتها وإرغام القوى المعارضة الالتزام بالسير في جانب فرعي أو جانب واحد. بل بالعكس فقد تمكن المحتجون بالانتشار في كل مكان وتعطيل حركة السير تطبيقاً لشعار «لا تسمحوا للسير أن يمر وغزة تذبح» أو «لا حياة عادية والابادة الجماعية مستمرة» والذي تبناه مجموعة كبيرة من القوى المتضامنة مع الشعب الفلسطيني والتي رفضت تطبيع المجازر الصهيونية.

وهذه الأمور ليست تفصيلية أو هامشية فقدرة المتظاهرين على السيطرة على الشارع واستعادة ما كانت قد دعا له تحالف حركات مناهضة الحرب في فيتنام وتحرر العالم الثالث التي اعتبرت أن الشوارع هي فضاء الجماهير لا للسلطات القمعية فكان الهتاف «الشوارع لمن؟» «إنها شوارعنا» تحدياً لسلطات الدولة القمعية ودفع وقود القوة بين الجماهير المسحوقة التي لا حيلة لها للشعور بالطاقة الجماعية وتصر على التصميم بالاستمرار.

وهنا يرتبط الشكل بالمضمون فقد كان «خلال حياتنا» الحراك المبادر باستخدام كلمة «طوفان» الدعوة للمظاهرات والاعتصامات في الشوارع بينما ركزت الحركات الشبابية الأخرى على رفع وتثبيت شعار»فلسطين حرة من البحر للنهر» وعلى رأسها حركة الشباب الفلسطيني ، إضافة إلى حراك «في حياتنا» ومنصة الشعوب ومجموعة كبيرة من أهل البلاد الأصليين السود واللاتينيين والآسيويين ومنظمات اليسار المنظم في أحزاب صغيرة أو في نقابات العمال في مختلف المهن واللجان الطلابية مثل اللجان الطلابية من أجل العدالة في فلسطين. ومن ناحيتها شاركت معظم القوى السلمية والتضامنية من فئات الشعب والطبقات والخلفيات المختلفة في مظاهرات واعتصامات ركزت على المطالبة بالوقف الفوري لإطلاق النار. ومن ناحيتها نجح اتحاد شبكة الجاليات الفلسطينية في شيكاغو مثلا و المركز العربي للمصادر في سان فرانسيسكو ومعهما تحالف واسع في المدينتين من الضغط على بلدياتها بتبني مشاريع تطالب بوقف إطلاق النار وإدانة العدوان الاسرائيلي. كما تصاعد عدد النشطاء الفلسطينيين و اليهود المعادين للصهيونية في التصدي للصهاينة الذين رفعوا الأعلام الإسرائيلية على البنايات الرسمية ونظموا حملات التبرعات للجيش الإسرائيلي المجرم وهذا مما رفع الوعي بالقضية الفلسطينية وعدالتها. وبالمقابل كانت غالبية القرارات الداعية لوقف إطلاق النار تدعو أيضاً إلى إدانة المقاومة واسرائيل وكأنهما طرفين متساويين وللأسف كان من بينهم شريحة من المثقفين العرب والمسلمين والفلسطينيين ذوي المصداقية وخصوصاً في الأسابيع الأولى ما بعد السابع من أكتوبر الماضي حيث تجنبوا المظاهرات والاعتصامات والنشاطات العلنية وخاصة تلك التي تجرأت إما على استخدام كلمة الطوفان أو المطالبة بتحرير كافة التراب الفلسطيني أو كلاهما.

وهنا تبرز أهمية الدور الريادي الذي لعبه حراك «خلال حياتنا» وحركة الشباب الفلسطيني في الشارع الفلسطيني الأمريكي بالأساس وحلفائها الذين رفضوا إدانة المقاومة وأصروا على تكرار استخدام كلمة الطوفان في كل مناسبة وشعار «فلسطين حره من البحر الى النهر» حتى تم تطبيع الشعارين في حركة التضامن وهذا الأمر ليس بالبسيط. وتلازم مع ذلك نقل مركز الثقل النظري والخطابي من قاعدة «تساوي الطرفين: المحتل المحتل» إلى الاعتراف بإدانة المستعمر و الدفاع عن المستعمر. وعكس ذلك نفسه على شكل الأنشطة التعليمية التوعوية التي تجاوزت النموذج الكلاسيكي الذي شاع في الستينيات من القرن الماضي خلال الحركة المعادية للحرب في فيتنام والمطالبة بتفكيك وإزالة آثار الاستعمار.

ولا بد من التنويه هنا أن تقدم الشباب والشابات الفلسطينيين بالصدارة لقيادة الحركة التضامنية ودعمهم بشكل مطلق من القوى الفلسطينية الأخرى بما فيها المتقدمة بالعمر والتي تؤمن بملكيتها لقيادة الحراك كانت أيضاً نقلة نوعية لما جرى بالماضي فبينما قاد الفلسطينيون والعرب بحق وحقيق معظم الحركات ومنها منظمة الطلبة العرب والتي كانت أقوى مؤسسة طلابية وأكثر نفوذاً في شمال أمريكا في أواخر الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي إضافة إلىوجمعية الخريجين العرب فقد انتشرت «موضة» بين النشطاء العرب والفلسطينيون في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي والتي كانت باعتقادي متأثرة بالنهج الليبرالي الجديد والذي كان متأثراً بما يسمى «بسياسة الهوية» من ناحيته بالتخلي عن النزعة القومية من ناحية أخرى والتي خلطت ما بين مفهوم التحرر الوطني ضد الاستعمار و النزعة القومية العنصرية الضيقة.

وهكذا انتشرت عدوى مبادرة هذا الحراك التي شارك فيها مجموعات

فلسطينية وعربية وشبابية أخرى. وأصبح الآن جزءاً طبيعياً من المشهد السياسي أو ما يمكن أن نطلق عليه هندسة المقاومة الشعبية في الشارع الأمريكي وهنا نعني الشارع بالمعنى الحرفي وليس المجازي.

التضامن وأهمية مرور عام على العملية وتأثيرها في إعادة صياغة السياسية داخل الولايات المتحدة

شهدنا نمو الحركات الطلابية التي تدعو إلى تحرير فلسطين وفرض المقاطعة الأكاديمية لإسرائيل وتأثير هذه الحركات على سياسات الجامعات، بما في ذلك الضغط باتجاه سحب الاستثمارات المتعلقة بإسرائيل.

الطلاب الذين دخلوا في إضرابات من الاتحاد الطلابي الأسود وجبهة تحرير العالم الثالث في الفترة من ١٩٦٨-١٩٦٩ طالبوا بانحلال المناهج الاستعمارية وإنشاء برامج تعليمية تعكس وتشرع وتثبت تجارب الحياة للمجتمعات المهمشة.

طالبوا بعلاقة مختلفة بين الجامعة والمجتمع حيث لا تنتج الجامعة فقط البحوث وتعزز الحياة الأكاديمية، ولكنها مسؤولة وشفافة أرادوا علاقة احترام وتبادلية بين الطرفين.

لم تشهد الشوارع والأماكن العامة والرسمية في الولايات المتحدة مثل هذا الدعم النوعي والكمي لحرية الشعب الفلسطيني ورفض واضح وحازم لحملة إسرائيل الإبادية في غزة وبقية فلسطين خاصة بين النساء والشباب والحركات التضامنية والاجتماعية الأمريكية الجالية الفلسطينية والعربية والمسلمة في آخر 20 عاما من النشاط التضامني مع المجتمعات الأمريكية والدولية في جميع أنحاء العالم.

من المهم التأكيد على أن التضامن مع فلسطين لم يظهر فجأة. لم يستيقظ الناس ويقررون بشكل عشوائي دعم فلسطين. إن زخم التضامن مع فلسطين الذي نشهده اليوم قد جاء محصلة تراكمية وصراع مجتمعي من قبل الشعب الفلسطيني الذي يصر على النضال من أجل تقرير مصيره ثابتة و متينة تمكن المجتمع الدولي للتضامن من الاستمرار في الوقوف في التضامن والتنظيم. هذه حاجة أساسية لأي شعب يقاتل قوى دولية كبيرة مثل إسرائيل والولايات المتحدة.

هذه الإجراءات الأخيرة مختلفة نوعيًا عما شهدناه طوال سنوات التضامن مع فلسطين. فقد كانت نخبة ضئيلة من المثقفين وأغلبها من الأكاديميين اليهود والأمريكيين تقل من بينهم الأسماء العربية في الثمانينيات و التسعينات واوائل القرن الحالي ويبدو ذلك واضحا في صفحات جريدة النيويورك تايمز التي أطلقت على نفسها «صحيفه السجلات» ، والتي رفضت بشكل دوري نشر مقالات البروفيسور الفلسطيني الراحل ادوارد سعيد بينما كانت تنشر إلا إذا كان أصحابها ممن ينتمون بمن نسميهم native informants F كأشكال الراحل فؤاد عجمي المبشر بالأجندة الامبريالية الإستشراقية .

وبينما كانت (وما زالت) كافة وسائل الإعلام الأمريكي المهيمنة (والممولة من قبل الصناعات الكبرى والحربية) تعتم على أخبار المجازر الصهيونية والمقاومة الفلسطينية ،وكان يتم اعتقال أشخاص مثل مارتن شين أمام طائرات إسرائيلية؛ كانت هذه الحوادث قليلة وبعيدة. كانت أكثر رمزية ومرتبة بوضوح مسبقًا. كانت الأعمال من الثمانينيات ما نسميه ‹المسرحية الجريئة›، أعمال فجائية في مواجهة الهياكل السلطوية، بما في ذلك الشرطة ولكن ليس للمنظمين أنفسهم. كانت مُنظَمة ومُنسَقة بشكل جيد ولكنها كانت تفتقر إلى الدعم الشعبي الساحق والالتزام الذي أظهره منظمو اليوم.

بوشنيل والشهداء الآخرين

ويجدر بالذكر هنا الدور الهام الذي لعبه اليهود المعادين للصهيونية كالصوت اليهودي للسلام والاتحاد اليهودي العالمي لمكافحة الصهيونية فقد قام أعضاء الأول باحتلال الكونغرس الأمريكي مرتدين ملابس سوداء كتب عليه «وقف إطلاق النار الفوري» بينما عمم الثاني شعار «لا تكرار لما حصل – لكل البشر» رافضين الاستثناء اليهودي مبدأ الإبادة الجماعية الذي استخدمته الحركة الصهيونية لفرض الفيتو ضد أي مطالبة بتعميم التجربة المؤلمة للمحرقة النازية لليهود لكافة شعوب العالم التي قاست من الإبادة الجماعية ضد أهل البلاد الأصليين في الأمريكيتين واستراليا ونيوزيلاندا وفلسطين معرضين أنفسهم للاعتقال بالعشرات الذي تم فعلا. والجدير بالذكر هنا أن هؤلاء الرفاق اتخذوا المبادرة بأنفسهم (أي لم ينتظروا طلباً من الفلسطينيين ليقوموا بدورهم) و خططوا لهذا العصيان المدني. وبهذا لعب الصوت اليهودي للسلام الذي يضم (250 الف) عضواً مزدوجاً. فمن ناحية كشفوا الغطاء عن أكاذيب الحركة الصهيونية التي ادعت أنها تمثل كل يهود العالم وأن النضال الفلسطيني التحرري يتمحور حول كره اليهود ومن ناحية أخرى أوضح هؤلاء الرفاق أن تضامنهم مع الشعب الفلسطيني ليس مشروطاً وأنه جزء لا يتجزأ من موقفهم من العدالة للجميع.

«إضراب شامل تضامناً مع فلسطين»

النقابات الأمريكية

عمال الطب والأطباء ضد الإبادة الجماعية

النقابات الرئيسية

UAW labor for Palestine faction
United electrical
AFL-CIO
US Postal workers Union
Service Employees International
Teamsters for Palestine
Amazon labor union
(starbucks/ no tech for apartheid)

«صرف أموال دافعي الضرائب على مكافحة البطالة وتوفير فرص التعليم وليس على الحرب والاحتلال»

«فاز مشروع القرار» - كان هذا هو الخبر الذي أبلغتنا به قيادة نقابتنا – جمعية أساتذة كاليفورنيا التي أبلغتنا رسميا بأن مشروع القرار الذي تقدمنا به لسحب كافة استثمارات الجامعة ومرفقاتها شركات الصناعات الحربية والعسكرية الأمريكية قد حظي بتأييد غالبية مندوبي المؤتمر. وليس ذلك لأننا

لم نقم بالمطلوب فقد قمنا بصياغة مشروع القرار بحكمة متناهية وراجعنا كل كلمة لتجنب أي معارضة صهيونية تتخذ شكلاً تقنياً لإفشال القرار كما جرت العادة في نقابات العمال الأمريكية التي تربطها علاقة شبه أزلية مع الهستدروت الصهيوني لا قاعدة منطقية لها. ولكن كما جرت العادة منذ النكبة وإقامة الدولة الصهيونية فإن الحركة العمالية الأمريكية بصمت بالعشرة على مبايعة الكيان الصهيوني بإقامة علاقة أخوية حميمة مع الهستدروت والتأكد من أن كافة أموال العمال الأمريكيين مستثمرة في أوراق النقد الإسرائيلية.

فنحن في المحور الفلسطيني والعربي والإسلامي لنقابة الأساتذة في جامعة كاليفورنيا وهي أكبر تجمع الجامعات عامة في كافة أنحاء الولايات المتحدة لم نكتفي بطرح مشروع القرار على برنامج الهيئة العامة لنقابتنا في اجتماع الجمعية العمومية بل طلبنا من كافة المحاور أن نجتمع بها وأن نقدم مشروع

«يا كاميلا هاريس لا يمكنك الاختباء فنحن نتهمك بالإبادة الجماعية»

واخيراً وليس آخرا نتطرق بشكل مختصر على الانتخابات الأمريكية يوم 5 نوفمبر 2024، والتي ستنشر الهدف مقالا تفصيلياً والتي تتنافس بها مرشحة الحزب الديمقراطي كاملا هاريس ضد المرشح الجمهوري دونالد ترامب. ويترشح أيضا في هذه الانتخابات مجموعة من المرشحين المستقلين كالطبيبة اليهودية المعادية للصهيونية جيل ستاين وأستاذ الجامعة وعالم الدين كورنيل ويست والذي رفضت جامعة هارفارد منحه ديمومة بسبب مواقفة المتضامنة مع فلسطين وكلوديا ديلا كروز مرشحة حزب الاشتراكية والتحرير.

وقد ارتفعت أصوات المتظاهرين الصغار والكبار أينما ذهبت كاملا هاريس وخصوصاً أنه بمستطاعها وبايدن من قبلها إصدار قرار سريع بمجرد توقيع بسيط لوقف شحنات الأسلحة ووقف شريان الدم الفلسطيني في غزة. ولكن بدلاً من ذلك وإرضاء للوبي الصهيوني ومواقفهم الأيديولوجية العنصرية الداعمة للاستعمار الصهيوني في إسرائيل استمرت كاميلا هاريس وجو بايدن بارسال الأسلحة والتعويض عن ما تحتاجه من أدوات القتل الفتاكة التي تنفذ.

واستناداً لشعار «كل دولار يبتاع فشكه لقتل اطفال غزة» و»الوقف الفوري لكافة المساعدات الأمريكية للمجزرة الإسرائيلية» رفض العرب والمسلمين في ولاية ميشيغان وفي ولايات أخرى تأييد ترشيح كامالا هاريس رغم اتفاقهم مع البرامج التقدمية للتعليم وحل البطالة والصحة الجماعية وحل تلوث المياه حقوق المرأة في الصحة الإنجابية و مشاكل ما يسمى «بالكوارث الطبيعية» و فوارق الدخل بين الفقراء والأثرياء.

لأول مرة ومنذ فترة طويلة تراجعت صحف رسمية أمريكية عن تقليدها بتسمية مرشح الحزب الديمقراطي تسمية كاميلا هاريس كمرشح لرئاسة الولايات المتحدة في انتخابات الرئاسة فبينما قررت ال»واشنطن بوست» عدم تأييد مرشح محدد لأسباب تعود للمصالح المادية لمالكها جيف بيزوس والذي يمتلك شركة الأمازون أيضا فإن هذا الأمر لا ينطبق على الـ لوس أنجلوس تايمز والتي قالت ابنة مالكها بأنه لا يمكن تأييد مرشح والإبادة الجماعية في غزة مستمرة.

فلسطين على سلم أولويات الرئاسة ومسلمون وعرب في موقف المقاطعة

- عدد من موظفي الحكومة الأميركية على الأقل 10 استقالوا علنياً
- خيبة أمل متزايدة بين الجاليات العربية والمسلمة تجاه الحزبين الديمقراطي والجمهوري
- كلا المرشحين يؤيدان حرب الإبادة الجماعية على الشعب الفلسطيني

يتبارز كمالا هاريس ودونالد ترامب في تأييدهم لحرب الإبادة الجماعية الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني؛ وتعهدا بمد إسرائيل بشتى صنوف الأسلحة، فضلا عن الغطاء السياسي لإسرائيل من جرائم الحرب التي ترتكبها يومياً في غزة والضفة الغربية والتي امتدت حربها الشرسة ضد لبنان أرضًا وشعبًا .

ولا تخجل هاريس من تكرار أن لإسرائيل «الحقّ في الدفاع عن نفسها» بالرغم من أنه من الواضح أن إسرائيل تخوض حربًا هجومية بهدف الإبادة والتهجير وتفشل في أبسط امتحان لمعايير حكومة الولايات المتحدة وسياسات الكونغرس، بينما يتبجح ترامب بأفعاله المعادية للشعب الفلسطيني خلال رئاسته لسياساتها وينتقد هاريس بقوله «لو كنت في البيت الأبيض لساعدت إسرائيل بإنهاء حربها بوقت أسرع».

وعلى صعيد خروقات حقوق الإنسان والمعايير المزدوجة؛ تتمحور تصريحات كلا المرشحين على إعادة نحو 100 من الرهائن الإسرائيليين وبينما لا يتطرق أحدهما لخروقات الاحتلال ولكافة حقوق الأسرى حيث يرزخ أكثر من أحد عشر ألف فلسطيني وفلسطينية من الضفة الغربية والقدس و غزة في زنازين الاحتلال القاسية بدون غذاء ولا ماء وافتقاد العلاج الصحي والهواء عدا عن أقذر وأفظع وسائل التعذيب وكما يشهد عليه معسكر سيد تمان والدامون والرملة وعوفر وغيرهم.

ولم تتطرق كامالا هاريس لأي من وسائل القمع المنظم، ولم تعقب على فاشية الاحتلال ونازيته بالرغم من خروج الخارجية الأميركية بتقارير متواصلة تثبت ذلك.

أثبت الشعب الفلسطيني جدارته، بطرح القضية الفلسطينية على سلم أولويات الإدارة القادمة بعد أن كانت هامشية أو منسية.

ليس خفيًا على أحد أن القضية الفلسطينية أمست قضية إلى جانب الصحّة والتعليم والغذاء والبيئة والمسنين و تطرح يومياً في جدول هموم الشعب الأمريكي هذا ما دفع الكثيرين للتخلي عن دعم المرشحين الرئيسيين لدعمهم الإبادة الجماعية. وأصبحت قضية نشطاء العدالة في أميركا إضافة إلى الكثير من القضايا التي تؤرق القواعد الشعبية في أميركا.

عام على طوفان الأقصى... تغيير لمعادلات القوى والإقليم

عزيز موسى ـ كاتب وباحث في الشؤون الأمنية والدولية

أكثر من عام مرّ على بدء معركة طوفان الأقصى، التي تعتبر تحولاً وانتقالاً واضحاً في قواعد الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي، هذه العملية لم تكن مجرد حدث عسكري، بل كانت تجسيدًا لمقاومة الشعب الفلسطيني في وجه التحديات المتزايدة، مع مرور الذكرى السنوية الأولى، يتجدد الحديث عن التطورات في غزة وجنوب لبنان، حيث تبرز ملامح جديدة للصراع.

أدت عملية طوفان الأقصى وما تبعها من إجرام إسرائيلي مدعوم من الولايات المتحدة الأمريكية والغرب إلى الانتقال نحو معركة إقليمية مفتوحة، لم تقتصر جغرافيتها فقط على الأراضي الفلسطينية المحتلة، بل شمل أيضاً جنوب لبنان الذي يعدّ جبهة الإسناد الأساسية لغزة، والذي أصبح فيما بعد ساحة أساسية للمعركة مع الكيان، إضافة لما تبع ذلك بقيام الكيان الصهيوني باغتيال قادة الصف الأول والثاني في حزب الله والشهيد يحيى السنوار رئيس المكتب السياسي في حركة حماس.

مجمل التطورات التي حصلت منذ أكثر من عام وحتى اليوم دفعت تجاه تغييرات كبيرة في معادلات الحرب والقوى في الإقليم، والتي تفاعلت من خلالها الديناميات الدولية والإقليمية في ظل الفوضى الممنهجة التي تحكم منطقة الشرق الأوسط، مما أدى بدوره إلى توضيح معالم القوة لدى مختلف أطراف الصراع والتي أثبتت فيها قوى المقاومة في غزة ولبنان القدرة الكبيرة على المرونة والتعامل مع التحديات ومواجهة الكيان الصهيوني المدعوم بشكل لا محدود سياسياً وعسكرياً من قبل الولايات المتحدة والغرب.

شكّلت هذه الحرب تكريساً وإبرازاً لمجموعة من النقاط التي سيبنى عليها مستقبل المنطقة ومعادلات التوازن فيها، تتمثل بما يلي:

-1 استطاعت قوى المقاومة تحقيق أكبر خرق أمني وعسكري ضد الكيان، وذلك نظراً لطبيعة الاستهدافات التي تم القيام بها، وتحقيق عنصر الإشغال المستمر لقوات الجيش الإسرائيلي، مما أدى إلى وجود انقسامات داخلية لديهم وتمرد في بعض قطاعات المؤسسة العسكرية وتأثيرات نفسية وعملياتية.

-2 يعد ملف الأسرى نقطة ضعف واشتباك داخلي على مستوى القيادات والمؤسسات الإسرائيلية، نظراً لحجم مطالبة الرأي العام بالذهاب لمفاوضات مباشرة جديّة تدرك المؤسسة السياسية والعسكرية مدى أهميتها.

-3 على الرغم من الفترة الطويلة لبدء الحرب واستمرارها والخسائر التي لحقت بالمقاومة فيما يتعلق باغتيال القادة، إلا أنها استطاعت مع محدودية الإمكانات المادية مقارنة مع الكيان، تكريس مبدأ المرونة وتوجيه العمليات العسكرية نحو أهدافها وتصعيدها وهذا ما شكّل عنصر مفاجأة بالنسبة لإسرائيل، بعد تعويلها على أن عمليات الاغتيال ستؤدي إلى انهيار وتفكيك هيكل المقاومة.

-4 ساهمت عملية طوفان الأقصى في إظهار معادلة (وحدة ساحات المعركة) وهذا تبلور بشكل واضح من خلال العمليات المستمرة لقوى المقاومة على اختلافه في (العراق، سورية، لبنان، اليمن، فلسطين)، مما شكّل ضغطاً على الكيان الصهيوني في عدة جبهات، دفعته للقيام بعمليات القتل والمجازر بحق المواطنين في الأراضي المحتلة وفي لبنان، وذلك ضمن إستراتيجية (الإغراق الناري أو المحرقة) وتدمير البنى التحتية والفوقية في محاولة لتحقيق أهدافه في بث الرعب والخذلان في نفوس المقاومين والبيئة الحاضنة لهم.

هذه النقاط الأساسية التي تتعلق بالمقاومة، وأيضاً بروز القوة الإيرانية في إسنادها المباشر للمقاومة لا سيما بعد استهدافها بالصواريخ البالستية لعدد من المواقع العسكرية الإسرائيلية وإلحاقها الأضرار المباشرة في نطاق واسع بها، والعدوان الإسرائيلي الذي حصل فجر السادس والعشرين من الشهر الماضي تجاه إيران وبعض المواقع في سورية الذي أثبت فشله، والذي جاء ضمن إطار (محاولة رد الاعتبار) والتضخيم الإعلامي، رسم معادلة جديدة للردع مفادها: (إسرائيل غير آمنة وتهديد وجودها وإزالتها بات أمراً واقعاً لا يمكن تغييره).

«طوفان الأقصى».. والتحولات الإستراتيجية في الشرق الأوسط

أحمد الطناني ـ كاتب وباحث فلسطيني ـ مدير مركز عروبة للأبحاث والتفكير الاستراتيجي ـ غزة

لقد كانت عملية السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023 التي عبَر فيها مقاتلو الشعب الفلسطيني السياج الفاصل بين قطاع غزة والأراضي المحتلة في مستوطنات «غلاف غزة»، مسقطين فرقة كاملة من جيش الاحتلال في ضربة مباغتة استهدفت في جوهرها أسس الأمن والردع الإسرائيلية، وأثبتت أن عزيمة المقاوم المؤمن بحقه التاريخي في أرضه وحتمية انتصاره قادرة على التفوق على أعتى منظومات التكنولوجيا والإنذار المبكر والأمن والاستخبارات، إضافةً إلى تجاوز كل محاولات الاحتواء والتدجين.

على الرغم من النجاح النوعي للعملية البطولية، فإنها أيضًا لم تكن عملية ذات طابع عسكري/كفاحي فحسب، بل شكَّلت انطلاقًا لمرحلة تاريخية للشعب الفلسطيني، نظمت فيه المقاومة الفلسطينية الشكل الكفاحي الأكبر كضربة استباقية في مواجهة مخطط التصفية والحسم الصهيوني الذي يحمله ائتلاف «بنيامين نتنياهو» الحكومي.

أطلق الاحتلال العنان لكل مشاريعه الإجرامية، ووضع آلة القتل الصهيونية في حالة الانفلات الكاملة لممارسة شتى أشكال القتل والتدمير والإبادة بحق الشعب الفلسطيني، ضمن خطط بات واضحًا أنها مُعدَّة مسبقًا، تهدف إلى تصفية كل مقومات الرفض والمواجهة، تمهيدًا لـ«الشرق الأوسط الجديد» الذي تُعِدُّ الولايات المتحدة لإعادة تشكيله بحيث يتسيده كيان الاحتلال الصهيوني.

وضع «طوفانُ الأقصى» الشرقَ الأوسطَ على محك الرفض والمواجهة في وجه مشاريع التصفية وإعادة الهندسة، ليثبت معادلة رئيسية: القضية الفلسطينية البوابة الرئيسية لكل المعادلات، ولن تكون مخططات تصفيتها وتجاوزها إلا عبثًا بصمام الانفجار لكل الشرق الأوسط، الذي أعدت قوى المواجهة والرفض فيه نفسها بحيث تتحد الجبهات في لحظة المواجهة مع العدو الصهيوني.

«نتنياهو» وحلم «الشرق الأوسط الجديد»

رفع رئيس حكومة الاحتلال، «بنيامين نتنياهو»، قبل أقل من شهر من «طوفان الأقصى» خريطة لـ «الشرق الأوسط الجديد» من على منصة الجمعية العام للأمم المتحدة في دورتها الـ78، مقدِّمًا فيها رؤيته لشكل الشرق الأوسط المنشود: دولة كيان إسرائيلي ممتدة إلى جانب الدول المنخرطة في عملية التطبيع مع الاحتلال، وبلا دولة فلسطينية.

استند خطاب «نتنياهو» إلى فكرة أن المرحلة الآن مرحلة تجاوز الفلسطينيين بوصفهم عقبة أمام التطبيع مع الدول العربية، وهو يرى أن نموذج «اتفاقيات أبراهام» يجب أن يُعمَّم، حاملاً طموح إنجاز أوسَع تطبيع عربي يساهم في تحويل «إسرائيل» من كيان غاصب إلى مكون طبيعي في الشرق الأوسط، بل وقيادي في المنطقة، وذلك بإتمام التطبيع مع السعودية.

ترتكز رؤية رئيس حكومة الاحتلال على فكرة تحقيق أمر واقع بالمراكمة التدريجية للتغييرات، التي يقضي بها على أي أفق لدولة فلسطينية، ويحاصر أشكال

التعبير السياسي للفلسطينيين عن هويتهم الجمعية، لصالح ابتلاع «إسرائيل» الضفة الغربية، والانخراط في مسارات اندماج وتفاهم مع الدول العربية بمعزل عن القضية الفلسطينية.

نجح «نتنياهو» في أن يُحمِّل إدارات البيت الأبيض المتعاقبة رؤيتَه بتفاوتٍ بين اللامبالاة بالأفق السياسي للفلسطينيين، والدعم المطلق لجولات العدوان على كل من قطاع غزة والضفة الغربية، وتوفير المظلة السياسية لمشاريع التطبيع، حتى غض الطرف عن مشاريع التوسع الاستيطاني.

وجد «بنيامين نتنياهو» فرصته لإنجاز التطبيع مع السعودية، مع وصول «جو بايدن» إلى رئاسة الولايات المتحدة، ليراكم على القفزات النوعية التي حققها في عهد الرئيس الأمريكي السابق «دونالد ترامب»، وتحويل رغبة إدارة «بايدن» في إعادة التموضع خارج الشرق الأوسط إلى فرصة لإنشاء حلف أمريكي في المنطقة العربية وترتيبات أمريكية واسعة لحلفاء الولايات المتحدة مع «إسرائيل» التي ستتولى الموقع القيادي في المنطقة.

«طوفان الأقصى» ومواجهة التحولات الإستراتيجية

بخلاف الحسابات، شكَّل «طوفان الأقصى» لحظة تاريخية فارقة، حملت المعادلات كلها إلى طور جديد، فرفع «الطوفان» سقف المواجهة إلى تهديد وجودي للكيان الإسرائيلي الغاصب على أبواب «لعنة العقد الثامن» التي يطمح «نتنياهو» لأن يكون زعيم «إسرائيل» الذي يتجاوزها، وأعاد «الطوفان» إلى القضية الفلسطينية حضورها ومركزيتها في الإقليم والعالم.

كان «طوفان الأقصى» نقطة تحول إستراتيجي لصالح القضية الفلسطينية مقابل مشروع التصفية، ومقابل مشروع «شرق أوسط جديد» بقيادة الكيان الإسرائيلي، لتكون مخرجات الحرب الحالية المدخل الرئيس لشكل المنطقة القادم.

كان رئيس حكومة الاحتلال يعي تمامًا أن ممكنات تعطيل رؤيته الإستراتيجية للشرق الأوسط تتمثل أساسًا بقدرة الفلسطينيين على الرفض والمواجهة، ووجود «خصوم» لـ«إسرائيل» في المنطقة مستعدين لتشكيل عنوان مواجهة واشتباك، فكان شريان الحياة للمشروع الصهيوني الكبير يتمثل بتحييد مظاهر المواجهة في الشرق الأوسط.

من جانبها، تعي المقاومة الفلسطينية أنه يجب تسخير كل الممكنات لمواجهة «إسرائيل» ومشروعها، إذ إن المواجهة الشاملة السبيل الأسلم لإعادة خلط أوراق الشرق الأوسط، ومواجهة «بنيامين نتنياهو» صاحب الائتلاف اليميني، والإدارة الأمريكية الباهتة التي تحاول الخروج من المنطقة مع ترتيبات مستدامة لحلفائها.

وضعت «إسرائيل» كل أثقالها بين مخطط التصفية وخطة المواجهة، إذ تتطلب المحطة المفصلية الاستثمار الأمثل لحالة الإرباك الدولي، والمرحلة الانتقالية بين إدارتين أمريكيتين، والمزاج العربي الرسمي المواتي لتمرير الجرائم الإسرائيلية.

الجدار الحديدي يتآكل

يرتبط رسم الهيكل الأساسي لإستراتيجية الأمن القومي بنظرية «الجدار الحديدي» الذي يحصن «إسرائيل» من تلقي ضربات كبرى، تلك النظرية التي صاغها «زئيف جابوتنسكي «، قائد عصابات «الإيتسل»، وحدَّثها العسكري المتقاعد «دان مريدور» بناءً على أربع أضلع رئيسية حكمت السلوك الأمني الإسرائيلي لعقود: الردع المؤثر؛ والإنذار المبكر؛ والدفاع القوي؛ والحسم السريع.

استثمر كيان الاحتلال في فكرة «الردع» بوصفها السبيل الأجدى لمنع خصومه من المبادرة بحروب ضده، لوجود اقتناع بأن «إسرائيل» الأقوى والأقدر على حسم أية مواجهة سريعًا، ما يجعل الردع الدرع الأكبر الذي يساعد الكيان على تلافي العدد الأكبر من التهديدات، ويكون خيار بدء الحرب في الوقت الذي تختاره ويعتمد اختيار المكان على فكرة ألَّا تخوض «إسرائيل» حروبها على «أرضها»، وأن تجنِّب جبهتها الداخلية أي خضوع إلى الضغط والتأثر بمجريات الحرب.

يتمثل جوهر الإستراتيجية الأمنية الإسرائيلية بالإنذار المبكر، وتستثمر «إسرائيل» من أجله مقدرات عديدة، ويدخل ضمن جهوده العمل الاستخباراتي لإصدار التحذيرات من نية العدو خوض الحرب، وذلك في الوقت المناسب الكافي لإجهاض الهجوم وإزالة مسبباته والتهديدات المتعلقة به، وإلى جانب العمل الاستخباراتي يقع الاستثمارُ في الأنظمة للرقابة والتحذير التقنية في جميع المواضع المُعرَّضة للهجوم، خصوصًا حدود الكيان مع المحيط المصنَّف إسرائيليًّا بوصفه معاديًا.

يستثمر الكيان في منظومته الدفاعية، المرتكزة على جعل «أراضيها» حصينة من الهجمات المباغتة، وتقليص احتمالية أن يتسبب أي هجوم في فترة الهدوء في أضرار نوعية في المقدرات والركائز، وبالإمكان الاستدلال على أدوات الدفاع في تحصين المنشآت والجدر التأمينية، وطبقات الدفاع الجوي، والتعزيزات المستمرة للنقاط الأمنية على الحدود، والتي تمثِّل تركيبة دفاعية للتعامل مع أي هجوم قد يَفشل الإنذار المبكر في تحديده وتحييده مسبقًا.

يعتمد الكيان على قدرته على توجيه ضربات مؤثرة لخصومه، لتوجيه ضربة استباقية بعد تشخيص الاستخبارات ومنظومات الإنذار بنوايا الخصم تنفيذ هجوم، أو لتعزيز «الردع بالعقاب» بتوجيه ضربات عقابية لدول/كيانات تخطط لتوجيه ضربات لـ«إسرائيل» في المدى البعيد، وترتكز الإستراتيجية الإسرائيلية إلى العمل على استخدام الهجوم الساحق والقوة الغاشمة لحسم أي حرب أو جولة مواجهة سريعًا، دون الدخول في حرب طويلة الأمد تؤثر على الاقتصاد والجبهة الداخلية في الكيان الإسرائيلي.

المعادلات بعد عام من «الطوفان»

أطال الكيان الغاصب قتاله في قطاع غزة، ثم القتال الحالي الدائر في جنوبي لبنان، للمدة الأطول منذ تأسيس كيان

«إسرائيل»، وقد اخترق الكيان بذلك قاعدةً حكمت حروبه السابقة كلها والتي كانت قد تمثلت بالقتال السريع والحاسم وتجنُّب دخوله في مواجهات طويلة سعيًا منه إلى تلافي أثر الحروب على الاقتصاد والجبهة الداخلية في «إسرائيل» وعلى مجرى الحياة لمستوطنيها.

أطال الكيان الغاصب قتاله في غزة ولبنان في إطار السعي المحموم إلى ترميم الردع الإسرائيلي وتثبيت المعادلات الإسرائيلية من جديد في المنطقة. وبعد أن فشل ما أحدثته آلة الحرب الإسرائيلية من دمار هائل في قطاع غزة في إعادة تشكيل الردع، ذهبت «إسرائيل» في اتجاه توجيه آلة القتل والدمار إلى ضاحية بيروت الجنوبية في لبنان، وقد ترافق ذلك مع استعراض إسرائيلي كبير للقوة النارية، واستعراض لقوة الاستخبارات الإسرائيلية وذلك بضربة أمنية هي الأكبر في تاريخ الشرق الأوسط ومن الأكبر في التاريخ كله تمثلت بـ«مجزرة البيجر»، بغرض إعادة «إسرائيل» إلى موقعها السابق في عقول سكان الشرق الأوسط، بكونها المتفوقة والحاسمة، وبكونها القادرة على إيقاع أكبر ضرر على خصومها بما لا يمنعهم من التفكير في إيذائها مرة أخرى فحسب، بل ويردعهم عن ذلك أصلًا.

على الرغم من أنه كان يُفترَض بالضربات الإسرائيلية الغاشمة في غزة وبيروت وطهران والحديدة أن تعيد المهابة إلى «يد إسرائيل الطولى»، تتلقى «إسرائيل» ضربات مستمرة متصاعدة من الجبهات المتعددة، وتباغتها الرشقات الصاروخية والمُسَيَّرات يوميًّا ومن كل حدب وصوب، وصولًا إلى الضربة الإيرانية الكبرى في مطلع أكتوبر/تشرين الأول الجاري التي حملت في طياتها تأكيد القدرة الإيرانية على الضرب وإيقاع الأذى، إلى جانب استهداف «حزب الله» اللبناني منزل «بنيامين نتنياهو» استهدافًا مباشرًا، في مشاهد أثبتت بوضوح أن الرهان الإسرائيلي على طبقات الدفاع الجوي للولايات المتحدة وحلفائها في الشرق الأوسط رهانٌ فاشل.

فشلت «إسرائيل» وآلة حربها في سد الفجوة التي أحدثها السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023، وبات تكسير أضلع مربع الأمن الإسرائيلي محفِّزًا لقوى المنطقة كلها بتصعيد الضربات للاحتلال، وصولًا إلى تلقِّي «تل أبيب» ضربات ناجحة من جبهات المواجهة المتعددة، دون أن يتمكن الكيان الغاصب من إيجاد صيغة سحرية لإيقاف الانحدار المستمر في قدرته على ردع خصومه.

لم تفلح «إسرائيل»، وعلى مدى أكثر من عام منذ بدء معركة «طوفان الأقصى»، في مواجهة التحول الإستراتيجي الذي أحدثه «الطوفان، على الرغم من منح المنظومة الدولية بقيادة الولايات المتحدة الاحتلال تفويضًا غير مسبوق للإجهاز على المقاومة، ومنحها جسرًا لا يتوقف من الإمدادات سواءٌ بالسلاح أو الاستخبارات، وصولًا إلى الجهد المباشر على الأرض، في محاولة لإنجاح مساعيها الهادفة إلى عكس نتائج «طوفان الأقصى» وتكوين وقائع جديدة على الأرض تسمح للكيان الإسرائيلي الغاصب بأن يعود إلى مربعات الأمان التي سادت لسنوات طويلة، وتحييد «خصومه» لأطول فترة ممكنة.

يحمل الواقع معطيات تقول بخلاف ذلك، إذ سيلاحق الفشل قادة كيان الاحتلال، وسينعكس ذلك على مستقبل الصراع في الشرق الأوسط، وقد تحقَّق الهدف الإستراتيجي الذي طمحت إليه المقاومة الفلسطينية بضرب منظومة الأمن الإسرائيلية فعلًا في يوم السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023، وقد تعزَّز ذلك بالصمود الفلسطيني في قطاع غزة على مدار أكثر من عام دون أي أفق لنجاح «إسرائيل» في تحقيق أهدافها من حربها العدوانية التي امتدت وطالت لبنان، لتنتصر المقاومة حتمًا بإفشال العدو في تحقيق أهدافه، وتُعزِّز المقاومة انتصارها بتحويل الصمود الفلسطيني إلى مكاسب سياسية يحاول الاحتلال منعها من التحقق بالسعي إلى هندسة «اليوم التالي» للحرب، ذلك السعي المحكوم حتمًا بالفشل.

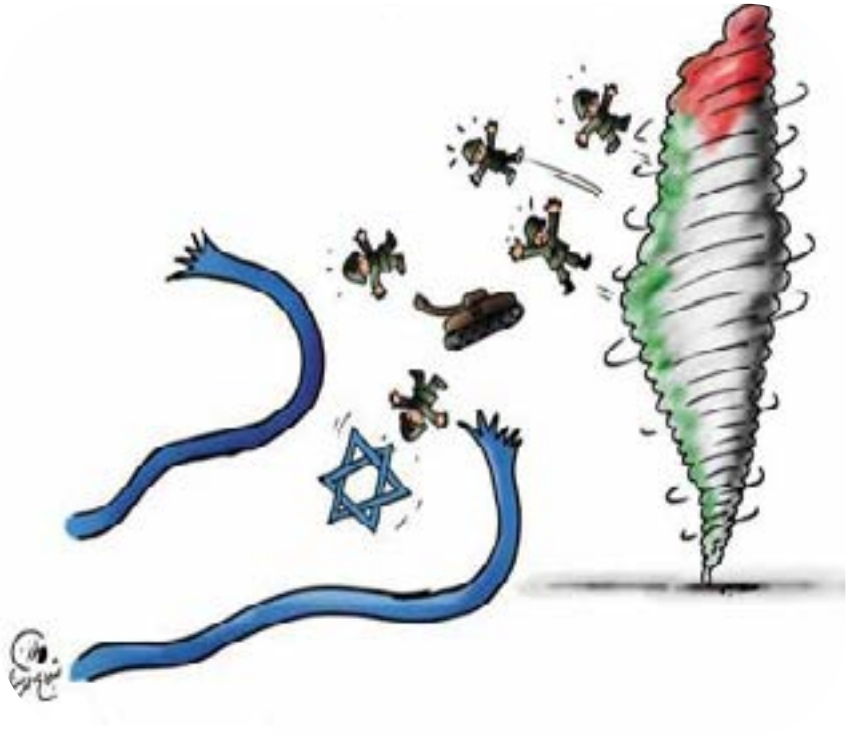

الطوفان..
وتعميق القلق الوجودي للكيان

محمد أبو شريفة ـ مدير تحرير مجلة الهدف

يدخل طوفان الأقصى عامه الثاني في ظل صمود فلسطيني أسطوري ألحق ضربات مؤلمة ونوعية بالعدو الذي بات يعلن يوميا بأن وضع قواته صعب في أكثر من جبهة ما يؤكد حالة التخبط والإرباك التي يعيشها وارتهانه إلى عناوين يومية لم يعهدها سابقا تتوزع في العواجل الإخبارية على مدار الساعة بين (حدث أمني صعب) ، (دوي صافرات إنذار) ، (رصد إطلاق صواريخ)، (بيانات لعائلات الأسرى الإسرائيليين بضرورة وقف الحرب ضمن صفقه تعيدهم) وبين تصريحات عسكرية متباينة تنتشر في الصحافة العبرية مفادها أن (إسرائيل منيت بخسارة استراتيجية بعد عام من الحرب بسبب أنها حتى اللحظة ليس هناك حسم عسكري أمام فصيلين مسلحين في الجنوب والشمال).

كل هذه العناوين وغيرها مرتبطة عضويا وعملياتيا بمضمون وجوهر إعلان رئيس وزراء الكيان بنيامين نتنياهو يوم الأحد (2024/10/27)، حول حرب الوجود حينما قال إن «اسرائيل تخوض حرب وجود طويلة وصعبة وندفع فيها أثمانا كبيرة وأعاد التذكير بأن جيش الاحتلال يخوض حربا على سبع جبهات». ومع حجم الإجرام العدواني غير المسبوق نشهد فعليا تحولات كبيرة في بنية وأسس هذا الاحتلال، فبعد انقضاء 76 عاما على إنشائه وخوضه عددا كبيرا من الحروب مع الفلسطينيين والعرب وتحقيقه إنجازات كبيرة في معظم هذه الحروب إلا أنه بقي محكوماً بهواجس القلق الوجودي وخاصة في ظل استمرار حالة المقاومة وصمود الشعب الفلسطيني على أرضه.

وظهرت انتقادات عالمية خاصة في أوساط مفكرين يهود مفادها أن الصهيونية التي كان هدفها الأصلي في البدايات حل مشكلة اليهود في أوروبا تحولت إلى مشكلة حتى بالنسبة إلى اليهود أنفسهم وليس فقط لأن اسرائيل باتت أحد الأماكن الأقل أمنا واستقرارا، وإنما بالجوهر لأن هذه الصهيونية تحولت من حركة سياسية في ذلك الوقت إلى آلة حرب إجرامية تبرر عدم أخلاقياتها في ادعاءات ومزاعم واهية وبالتالي تخلق بنفسها حالة من الجمود والعزلة الدولية.

إن قلق الوجود الذي أفصح عنه نتنياهو ليس مجرد هواجس أو مخاوف سطحية إنما يعكس التخوف المستفحل في بنية المجتمع الصهيوني فخطاب (إسرائيل) الحالي هو ذاته خطاب الصهاينة في القرن التاسع عشر المبني على توليفة استعمارية عنصرية إبادية والتي اندثرت مع اندحار الاستعمار الغربي. وبالرغم من تحقيق الصهيونية هدفها الأساس في إنشاء ورعاية كيان الاحتلال إلا أنه ووفقا للمعطيات لن تستطيع (إسرائيل) الاستمرار بمنطق خطاب ذلك القرن والذي يتنافى مع مزاعمها الديمقراطية إضافة إلى أزمة المشروع الصهيوني المرتبطة بتصدعات داخلية عميقة متصاعدة بفعل عوامل وأسباب مختلفة لا تستطيع دولة الاحتلال إخفائها إلا في حالة تعرضها لخطر واضح وهو ما يثير سؤالا حول مستقبل هذا الكيان في ظل الانقسامات والأزمات والتي ليس أقلها الانتقال من الأسرلة كمرحلة ظرفية انتقالية إلى التهويد كمرحلة استراتيجية.

لقد فشلت (إسرائيل) في إبادة الشعب الفلسطيني وإقصائه من التاريخ والجغرافيا ومن الواضح أنها لم يعد بمقدورها أن تفعل ذلك في القرن الحادي والعشرين لأن الواقع قد تغير تماما، وعزز تنامي المقاومة الفلسطينية والعربية هواجس القلق لديها في مستقبل بقائها وفي هذا السياق صرح المستشرق التشيكي بيتر بيليكان أن اسرائيل كيان غريب في المنطقة وأنها من الناحية التاريخية الطويلة الأمد لن تتمكن من البقاء فقد لا يحدث ذلك سريعا ولكنها ستندثر في النهاية». وهنا تأكيد على حتمية زوال إسرائيل واعتراف بأن الجغرافيا المقاومة في المنطقة عصية على الكسر ولن تقبل بترسيخ وتثبيت كيان مصطنع ومرفوض جملة وتفصيلا.

الحصاد الثقيل للاحتلال الإسرائيلي رغم شراسة آلة الحرب الصهيونية

نبال عمر ـ كاتبة صحفية فلسطينية ـ سورية

لم يتغير الواقع الإستراتيجي للاحتلال الإسرائيلي بعد عام من الحرب فما يصفه المحللون للواقع هو المزيد من الهروب نحو الأمام، وهذا الهروب لم يحقق سوى إنجازات تكتيكية لم تبدل من الواقع شيئاً ولم تقدم الإجابات للمجتمع الإسرائيلي عن المستقبل والمصير.

فدخل الاحتلال إلى هذه الحرب مثقلاً بصراعٍ داخلي عميق حول هوية الدولة وفقدان الثقة بين الجيش والمجتمع وتآكل صورة الردع.

وها قد انتهى عام ونيف على الحرب ذات الجبهات المتعددة وما زالت حكومة الاحتلال غارقة في تطرفها وكان للمؤرخ الإسرائيلي بيني موريس تصريح حول هجوم السابع من أكتوبر أنه المرة الوحيدة التي واجهت إسرائيل تهديداً وجودياً مماثلاً كانت في حربها عام 1948 وبعد مرور عام تجد إسرائيل نفسها غير قادرة على الحسم والردع.

لقد حطمت حركة حماس أوهام الإسرائيليين بشأن أمنهم بشكل أعمق من أي وقت مضى منذ حرب 1973، وأدخلتهم في صدمة جماعية وفق الصحفي الأميركي ستيفن كولينسون، كما فقدت إسرائيل بريقها بالكامل على المستوى الدولي وتحولت إلى دولة منبوذة تتعرض لمقاطعات اقتصادية وحظر على شحنات الأسلحة من دول عديدة مما دفع الإسرائيليين إلى إخفاء هويتهم في كثير من دول العالم خوفاً من الملاحقة والازدراء، وهي أسوأ صورة تخيلت إسرائيل أن تقدمها للجيل الرابع فيها بعد 76 عاماً على تأسيسها.

فيما أكد معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي في جامعة تل أبيب أن إسرائيل تقف أمام أخطر عزلة دولية غير مسبوقة واعتبر رئيس المعهد اللواء احتياط تامير هايمان أن الساعة الرملية للشرعية الإسرائيلية فرغت تماماً تقريباً وإسرائيل أمست اليوم في أقرب نقطة في تاريخها من عزلها دولياً.

بنت دولة الاحتلال الإسرائيلي لنفسها صورة القوي المتفوق طيلة عقود إلى أن تكسرت هذه الصورة في السابع من أكتوبر ومنذ عام وهي تحاول ترميم هذه الصورة دون جدوى ويعتبر الفيلسوف الإسرائيلي ميكا غودمان أن إسرائيل تواجه معضلة فهي تريد أن يحبها الغرب وأن يهابها أعداؤها في الشرق الأوسط لضمان وجودها على المدى الطويل.

ويتضح للمراقبين أنه كلما حقق الاحتلال إنجازات أمنية أو اختراقات مكنته من الزهو والتباهي سرعان ما يتلقى ضربة هنا أو هناك تعيد شعور قلة الأمان للإسرائيليين وأن وعود نتنياهو وجنرالاته المتطرفين بسحق الأعداء وإعادة الأمن والأمان والسكان لمنازلهم هي أكاذيب ومقامرة على حساب مستقبلهم.

هل إستراتيجية الاستنزاف الطويل لدولة احتلال يقودها عتاة المتطرفين هو الفخ الذي وقعت فيه إسرائيل فعلاً؟

هذا ما أكده الجنرال يتسحاق بريك أو كما نلفظ اسمه بالعربية إسحاق بريك إن كافة المسارات التي اختارتها القيادة السياسية والعسكرية في إسرائيل تقود البلاد إلى منحدر زلق وقد نصل قريباً إلى نقطة اللا عودة.

وهو الفخ الإستراتيجي الذي تحدث عنه المفكر الروسي ألكسندر نازاراف الذي اعتبر أن قدرة المقاومة على تحويل الحرب إلى حرب بطيئة ولو على مستوى أعلى هو الذي سيؤدي إلى النصر الإستراتيجي.

وهذا ما حول الحياة في المجتمع الإسرائيلي إلى واقع لا يطاق حسب كلام المستوطنين فأكثر من ثلث الإسرائيليين يفكرون في الهجرة والمقتدرون هاجروا فعلاً ويمكن ملاحظة الحركة النشطة لشراء الإسرائيليين شققاً وعقارات في برشلونة وإيطاليا والمجر وقبرص واليونان وحتى شرق آسيا، وانتقالهم للعيش فيها أو اعتبارها مكاناً بديلاً في حال انهيار الأوضاع.

أما عن المؤشرات الاقتصادية في دولة الاحتلال فيرونها مقلقة للغاية بسبب تداعيات الحرب التي يفاقمها أيضاً وجود وزير المالية بتسلئيل سموتريتش والمتهم من قبل خبراء الاقتصاد والمال في دولة الاحتلال بأنه شخص عديم الخبرة في المجال الاقتصادي. حيث بدأ التباطؤ يظهر في الاقتصاد وسط تحذيرات شديدة من الغرق في فخ الديون خاصة مع الإنفاق على التسلح الذي يعتبر الأعلى في العالم فمتوسط الإنفاق الدفاعي مقارنة بالناتج الإجمالي عالمياً هو 341 $ لكنه وصل في دولة الاحتلال حالياً 3000$

ووفقاً لصحيفة The conversation فإن اقتصاد دولة الاحتلال يشهد أشد تباطؤ بين أغنى دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية(OECD) إضافةً إلى تخفيض وكالتي فيتش وموديز التصنيف الائتماني لدولة الاحتلال لدرجتين حتى الآن وهو أمر غير مسبوق في تاريخها بالإضافة إلى مخاوف من إغلاق ما يزيد عن 60 ألف شركة في حلول نهاية 2024 وهروب رؤوس الأموال والتحويلات إلى الخارج وما يترتب على تكلفة الاحتياط واليد العاملة ومشاكل أخرى تتعلق بإغلاق ميناء إيلات بفعل الضربات القادمة من اليمن والحصار المفروض على البحر الأحمر والهجرة العكسية المتصاعدة لفئة العلمانيين من النخبة الاقتصادية ورجال أعمال الهايتك والعلماء وهو هروب مزدوج الشعور بين غياب الثقة بمستقبل الكيان وعدم القدرة على التعايش مع الانقلاب الداخلي الذي تقوده الصهيونية الدينية المتحالفة مع النسخة المحدثة من أقصى اليمين العلماني.

أما عن الهاسبرا الإسرائيلية والتي بدأ يعلو صوت انتقاد فشلها بعد استشهاد رئيس المكتب السياسي لحركة حماس يحيى السنوار ومنهم المقال الذي كُتب باسم "ياسمين ليفي" في هآرتس وهنا أقتبس:

«كفى للغطرسة الإسرائيلية واستمرار هذه الغطرسة سيجلب لنا سابع من أكتوبر آخر ففي إسرائيل تم الاحتفال بموت السنوار في نشوة تثير الخجل وأن السنوار رغم كل الملاحقة والمخابرات قتل محض مصادفة ومع ذلك هناك من رأى في ذلك إنجازاً رغم عشوائية العملية» وأضافت « أما عن صورة السنوار في لحظاته الأخيرة والتي كان فيها مصاباً بكامل جسده ومعه العصا الأخيرة التي حارب فيها وألقاها على الطائرة المسيرة ما كان يجب أن نقوم بنشرها بل كان يجب نشر صور تظهره كجبان تم سحقه لا كبطل يقاتل حتى الرمق الأخير فهذه بالنسبة لهم هي صورة انتصار لبطل ليس له مثيل في الشجاعة ومن كان في إسرائيل يعتقد أنه جبان فأنتم لا تعرفون ماذا تفعلون فما عُرض هي صورة أسطورة في عيون العالم والإسلام خصوصاً أنتم لا تعرفون ما هي حماس، علينا أن نكف النظر إلى الواقع بعيون إسرائيلية» وأكدت الصحيفة على مدى الإشادة التي حظي بها السنوار في العالم العربي والإسلامي بعد أن قتل مواجهاً لا هارباً هي مرعبة فعلاً، ومخطئ من يستهين ويحتقر عدواً شجاعا مثله فهو إستراتيجي ومحنك وأشجع من قاتل إسرائيل في الشرق الأوسط قاتلها حتى الرمق الأخير ولم يهرب إلى مصر كما حاولنا تصويره ولم يكن في ميامي (إشارة منها ليائير نجل نتنياهو) ولم يكن محاطاً بحراس أمن. علينا التخلص من الغطرسة الإسرائيلية قبل أن تعود علينا بسبعة أكتوبر آخر.»

وأنتم برأيكم لماذا بدا الاحتلال متخبطاً في رواية مقتل السنوار وإلامَ يشير ذلك؟

الرد الإسرائيلي المحدود والاصطدام بالخطوط الحمراء الحاسمة

حمزة البشتاوي ـ كاتب وإعلامي فلسطيني ـ لبنان

ارتكب الكيان الصهيوني عدواناً على الجمهورية الإسلامية الإيرانية من خلال غارات محدودة على بعض المواقع العسكرية في محافظات إيرانية بهجوم أقل ما يقال فيه إنه ضعيف وركيك وتافه مقارنة بعملية الوعد الصادق 2 وقد بدأت بعد الرد الإسرائيلي المحدود حركة الاتصالات المكثفة تأخذ شكلاً مختلفاً على المستوى الدولي والإقليمي وخاصة ما بين الإسرائيليين والإدارة الأمريكية فيما يتعلق بالهجوم الإسرائيلي المحدود رداً على الهجوم الذي نفذته إيران ضد كيان الاحتلال في عملية الوعد الصادق 2 في الأول من شهر تشرين الأول رداً على جريمة اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس إسماعيل هنية وسماحة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله واللواء عباس نيلفوروشان ورداً على المجازر الإسرائيلية التي ترتكب بحق المدنيين في غزة ولبنان.

وتتركز حركة الاتصالات الإسرائيلية الأمريكية والدولية حول تجنب الوقوع في مخاطر رد قوي من قبل إيران على هكذا هجوم، والمخاطر تتعلق بالجانب الاقتصادي المؤثر على كيان الاحتلال الإسرائيلي والولايات المتحدة الأمريكية خاصة على صعيد أصول الطاقة التي يستخدمها الغرب في الشرق الأوسط حيث يمكن بحال اتساع الردود أن يتعطل الاقتصاد العالمي برمته. كما يتوقع على الصعيد العسكري أن تعجز منظومات الدفاع الجوي على مواجهة عملية إطلاق مئات الصواريخ الإيرانية في نفس الوقت وأن يستهدف الرد على الهجوم الإسرائيلي رغم أنه محدود مراكز في غوش دان وحيفا والكريوت وبئر السبع وتل أبيب والقدس والنقب مما سيلحق دماراً كبيراً وخسائر باهظة في كيان الاحتلال الذي يخشى من رد يؤدي إلى استنزاف موارده بشكل خطير رغم الدعم الكبير الذي تقدمه الولايات المتحدة والذي بلغ العام الماضي نحو 18 مليار دولار وإرسال حاملات الطائرات ويرتبط مستوى الدعم اليوم بتقدير أمريكي يتحدث عن احتمال قيام نتنياهو بالمخاطرة مجدداً انطلاقاً من منصة الجنون والحماقة التي قد تدفعه إلى استهداف المنشآت النووية أو النفطية للإضرار بمصادر الدخل الإيراني ولاستدعاء المزيد من الحماية الأمريكية والغربية للكيان الإسرائيلي بشكل أكبر مما هو حاصل الآن والمتمثل بالعلاقة العضوية والإستراتيجية والتبعية الكاملة من قبل الكيان للولايات المتحدة التي قامت بنشر أنظمة الدفاع الجوي الصاروخي البعيد المدى (ثاد) وطاقمه التشغيلي في عموم الأراضي الفلسطينية المحتلة بغرض تعزيز الدفاعات الجوية الإسرائيلية المتهالكة والعاجزة عن صد الصواريخ والمسيرات التي تطلق على كيان الاحتلال الإسرائيلي من قبل المقاومة في فلسطين ولبنان إضافة لليمن والعراق، ويعتقد المستوى السياسي الإسرائيلي بأن الرد على الذي حصل ضد إيران رغم المخاطر الكبيرة التي سوف تنتج عنه، مازال بنيامين نتنياهو رغم أنه لا يستطيع عدم الإصغاء للإدارة الأمريكية التي تدفعه اليوم للوقوف على عتبة انتظار المكان والزمان المناسبين ، يصر على الانتقام من إيران بعد أن هزت عملية الوعد الصادق 2 صورة الردع الإسرائيلية من قبل إيران كدولة ذات وزن مؤثر على الصعيد الدولي والإقليمي وعلى كافة المستويات.

وحظي بنيامين نتنياهو في موضوع الرد على إيران بتأييد عدد من الإسرائيليين الذين يقولون بأن الرد على الجمهورية الإسلامية الإيرانية يجب أن يكون منسقاً ومدروساً داخل أو خارج إيران وهذه الأحاديث لا تعني عدم ذهاب نتنياهو مجدداً باتجاه مغاير وخطير ولكنه أيضاً مشروط بموافقة الولايات المتحدة الأمريكية التي تريد استعادة دورها وتعزيز مكانتها في مواجهة كل من إيران وروسيا والصين وهذا أمر من الصعب حصوله.

وفي ظل عدم خشية الجمهورية الإسلامية الإيرانية من الحرب واستعداد قواتها المسلحة لكل الاحتمالات وثبات موقفها في دعم المقاومة حتى تحقيق النصر ووقف العدوان الإسرائيلي على غزة ولبنان. أصبح قادة الاحتلال يدركون بأن الهجوم الإسرائيلي ستكون له عواقب وخيمة رغم أنه كان استعراضياً ومحدوداً ولذلك قد يعمل كيان الاحتلال الإسرائيلي لاحقاً على استبدال الهجوم العسكري بتنفيذ عمليات اغتيال لشخصيات رئيسية إيرانية تعمل في مجال البرنامج النووي أو الصناعات العسكرية بتحريض ودعم أميركي ولكن إيران حتماً سوف ترد بقوة و بأساليب وأدوات خاصة لا يتوقعها أحد وخاصة الأمريكيين والإسرائيليين بحيث يكون الرد أكبر من الهجوم الإسرائيلي حجماً وتدميراً.

ومن الناحية العسكرية يشير عدد من الخبراء والمحللين إلى فشل كل الأهداف السياسية والعسكرية التي وضعها قادة الاحتلال على صعيد الرد على إيران أو على صعيد دعمها للمقاومة في المواجهة الإسرائيلية المستمرة بهدف القضاء على المقاومة في غزة وإضعاف المقاومة في لبنان إضافة للفشل في استعادة الأسرى وإعادة المستوطنين إلى الشمال وبالتالي فإن الرد الإسرائيلي على إيران يعتبر في جزء كبير منه ابتزازاً للإدارة الأمريكية والأوروبيين لتقديم المزيد من الدعم والحماية للكيان الإسرائيلي الذي بدأ خوفه بناء على الدعم الأميركي والغربي يأخذ منحى الهبوط السريع دون تدرّج، وظهر ذلك من خلال خفض عدد من المسؤولين الإسرائيليين من مستوى التحدي والتهديد واستبدلوه بالحديث عن أن الهجوم الإسرائيلي لن يؤدي إلى رد مقابل أو اندلاع حرب شاملة كما أن المسؤولين الأمريكيين الذين يدركون أكثر من الإسرائيليين وغيرهم مخاطر استهداف الجمهورية الإسلامية الإيرانية قالوا بأن الرد كان منسقاً ومدروساً بحيث لا يحصل رد مقابل من وجهة نظر الأمريكيين .

وهذه الأحاديث والأقوال هدفها منع نتنياهو من الذهاب باتجاه مغاير وخطير، وهذا الاتجاه مشروط أيضاً بموافقة الولايات المتحدة التي تريد استعادة دورها وتعزيز مكانتها في مواجهة كل من إيران وروسيا والصين وهذا أمر من الصعب حصوله.

وفي ظل عدم خشية الجمهورية الإسلامية الإيرانية من الحرب واستعداد قواتها المسلحة الدائم لكل الاحتمالات وثبات موقفها في دعم قوى المقاومة حتى تحقيق النصر ووقف العدوان الإسرائيلي على غزة ولبنان. مع التأكيد بأن قادة الاحتلال الإسرائيلي قد أصبحوا أكثر خوفاً من إيران القوية بشعبها وقيادتها الثورية وردها الذي سوف يحصل حتماً على أي هجوم بما لا يتوقعه أحد وخاصة الإسرائيليين والأمريكيين وحلفائهم.

عام على طوفان الأقصى : «محرقة» فلسطينية على يد الفاشية الصهيونية !..

محمد صوان ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ تركيا

يأتي السلام، كما يقال، من الكلمات ويبدأ بالكلمات، فماذا إذا لم يعد للكلمات أي قيمة؟ إن مجموعة من الأفكار التي تتشكل منها المقاييس التي يتأسس منها وعليها وعْينا السياسي والأخلاقي الجمعي، هي ما يجعلنا قادرين على التمييز بين الخير والشر، الظلم والعدل، الجلاد والضحية، كما أن قيماً مثل الحرية والديمقراطية والكرامة، ليست مجرد شعارات نعلنها لادعاء تَحَضّرنا، وإنما هي ثقافة وذاكرة جماعية مشتركة بين تجارب الشعوب.. فما بالك إذا استحالت كلها إلى ستار دخان كثيف لحجب قول الحقيقة عن جريمة العصر التي نراها ترتكب وتتواصل يومياً أمامنا، منذ أكثر من 76 سنة.

هذه اللامبالاة، بل التواطؤ والاستهانة، من جانب أكثرية الحكومات الغربية وعلى رأسهم الإدارة الأمريكية، التي تتحدث اليوم إلى نفسها، بتبريرها تهجير وإبادة الأبرياء، وقتل الأطفال والشيوخ والنساء بالقنابل المدمرة، وفرض عقاب جماعي على أكثر من ثمانية ملايين مواطن فلسطيني داخل فلسطين التاريخية ضمنهم مليونان وثلاثمئة ألف مدني في قطاع غزة، بدعوى « حق إسرائيل بالدفاع عن نفسها « هي إهانة كبيرة تجاه إنسانيتنا واستخفاف بعقلنا البشري واستهانة بكل القيم الإنسانية المشتركة التي نراها اليوم تدمّر، كما تُدَمّر بيوت الفلسطينيين الأبرياء على رؤوسهم وهم نيام .. ما يحدث اليوم في قطاع غزة والضفة الغربية المحتلة يتخذ كل سمات الإبادة الجماعية، بل والجريمة ضد الإنسانية التي ينبغي مقاومتها بكل الأشكال المتاحة التي تعري الجلاد من كل التبريرات الواهية التي يتذرع بها لارتكاب جرائمه، وتفضح المتواطئين معه الذين يحاولون إخفاء آثار نهر الدم الذي يلطخ أياديهم.. فكيف يمكن وصف القصف المكثف والمدمر والمستمر منذ عام ونيّف لسكان قطاع غزة، وهم المحتجزون في تلك البقعة الضيقة والمكتظة مثل علبة أعواد الثقاب، تدمر بيوتهم على رؤوسهم أمام أعين العالم على الهواء مباشرة، ومن تُكتب له النجاة من بينهم يهيمون على وجوههم تائهين يهرعون نحو المجهول، حيث الدمار والموت والجوع ينتظرهم في كل مكان، محرومين من الكهرباء والغاز والغذاء والماء والدواء، بل حتى من الحلم وتوقّع ساعة الفرج التي طالت!

صناعة الهولوكوست الفلسطيني:

« إسرائيل» التي اخْتُرِعَتْ تجسيداً لفكرة الحفاظ على « ذاكرة المحرقة اليهودية» هي من تقوم اليوم بالاستغلال البشع لتلك الذاكرة ولارتكاب جرائم لا تقل فظاعة عما تختزله ذاكرتها عن « المحرقة « التي اقترفتها النازية .. ما ترتكبه «إسرائيل « اليوم من جرائم بشعة تسيء – بداية – إلى ذاكرتها، فحرب الإبادة الجماعية التي تشنها ضد الشعب الفلسطيني باسم « ذكرى المحرقة « لن تؤدي إلا إلى الإساءة إلى تلك الذكرى، وهو ما سيؤدي حتماً إلى نتائج عكسية لما تحاول السردية الصهيونية ترويجه، أي إلى إضفاء الشرعية على « معاداة السامية « التي نراها اليوم تتعاظم في العالم، ليس انتصاراً للشعب الفلسطيني فحسب، بل أيضاً احتجاجاً على بشاعة جرائم الصهيونية، فإذا كان الغرب المدان بالتواطؤ في « محرقة اليهود « عن طريق ارتكابها والمشاركة بها مباشرة وقت وقوعها، مديناً بكل الدعم والحماية التي يوفرها اليوم لـ «إسرائيل» وقد رأينا كل قادة هذا الغرب « الديمقراطي المتحضّر « ! يحجّون إليها لتقديم الدعم والولاء لحكوماتها المتطرفة ولكيانها المبني على

أسس عرقية ودينية عنصرية، فإن مسؤولية ذاكرة الإبادة التي تجري اليوم في غزة والضفة بضوء أخضر من حكومات الغرب نفسه، بل وبدعم علني بالسلاح والمال، سيتحملها الغرب نفسه الذي كان مسؤولاً عن «المحرقة اليهودية» فوق أرض بلاده بدعم وحماية وتغطية منه، فما أشبه اليوم بالأمس !..

ما كان لكل هذا الإمعان في التوحش والإجرام بحق الشعب الفلسطيني الذي تجاوز كل الحدود أن يستمر لولا الدعم والمشاركة الأمريكية والغربية، وقبل ذلك لولا هذا السقوط الأمريكي والأوروبي الأخلاقي المدوّي المخيّب للآمال والمثير للشفقة، والذي يمكن تلخيصه في جملة واحدة: إن ثقة كل من يحمل ضميراً إنسانياً اهتزت في حكومات الغرب.. أما القيم فهي إرث إنساني وحضاري كانت وستبقى، لأن الذي انفضح وسقط هو هذا النفاق الغربي المقيت، وهذه الازدواجية الرسمية الفجة في المعايير التي فجرت غضباً شديداً متصاعداً بين الجماهير وفي الشارع عبر العالم الذي لن ينطفئ مع وقف إطلاق النار، لأن عواقب ما حدث ويحدث لن يتوقف مع توقف قصف المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية وتدميرها فوق رؤوس أهلها الآمنين، وإنما ستبقى تتراكم في أذهان كل الذين عاشوه وشاهدوه حتى ينفجر مثل بركان لا أحد يعرف متى وأين سيقذف حممه !..

انتفاضة طلابية عالمية :

وسط هذا النفاق والإرهاب الفكري الخانق لغالبية الشعوب الغربية، برز صوت الانتفاضة الطلابية التي انطلقت في كبرى عواصم العالم لتقول للشعب الفلسطيني منذ بداية العدوان الصهيوأمريكي: «ليس لديكم جيش، لذا سنكون جيشكم!» وجمعت الهيئات الطلابية المنظمة للتظاهرات والمسيرات الاحتجاجية أكثر من « 100،000 » توقيع لزملاء لهم في العالم، وجرى تشكيل لجنة من أساتذة القانون الدولي للدفاع عن الشعب الفلسطيني، واستعادة حقوقه المسلوبة ومقاضاة مجرمي الحرب والمجرمين الصهاينة بتهم الإبادة الجماعية، وتقدمت اللجنة الطلابية المنظمة للاحتجاجات في بريطانيا وفرنسا في شهر أيار 2024 بشكوى جماعية لدى محكمة الجنايات الدولية التي يسمح نظامها بتقديم هذه الشكاوى، وسبق لها أن بحثت بمثل هذه الجرائم في رواندا ويوغوسلافيا، وحكمت عليها كجرائم حرب رغم أنها لم تكن بوحشية وحجم الجرائم التي يقترفها الكيان الصهيوني منذ نحو عام ونيّف في غزة والضفة المحتلة .

لقد كان توقيع الجانب الفلسطيني على ميثاق روما قبل سنوات خطوة بالاتجاه الصحيح، سمح بأن يتم الاعتراف من المحكمة الجنائية الدولية بفلسطين «دولة ذات سيادة في الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية»، وأن هذا القرار يعني قانونياً عدم شرعية مصادرة الأراضي الفلسطينية، وبالأخص عدم مصادرة أو استيطان أراضي القدس الشرقية والضفة الغربية المحتلة .

لم تقتصر الشكاوى ضد الكيان الصهيوني وجرائمه على حركة التضامن الطلابية في بريطانيا وفرنسا، بل جرى رفع شكوى ثانية في الولايات المتحدة من المستشارة القانونية العليا في المحكمة الدستورية بالتنسيق مع الحركة الطلابية وعدد من أعضاء الكونغرس الأمريكي.. وهذه المرة لمقاضاة الرئيس بايدن ووزير الخارجية بلينكن ووزير الدفاع أوستن بتهمة المشاركة في حرب الإبادة الجماعية في قطاع غزة، وقالت المستشارة: «لقد تم تقديم كل الأدلة التي تدين إسرائيل بالإبادة الجماعية وبجرائم الحرب» ومنها كما قالت «تصريحات نتنياهو وغالانت وكبار المسؤولين وأهدافهم المعلنة بشأن غزة خاصة وفلسطين عامة».

تساهم الولايات المتحدة في الإبادة الجماعية، عبر تزويد « إسرائيل « بالسلاح وإرسال الأساطيل والمستشارين العسكريين والتسريع بالمساعدات المالية والدعم الدبلوماسي.. وقد أظهر أحد كبار الموظفين في الخارجية الأمريكية جوش بول الذي قدم استقالته بعد تصريح الوزير بلينكن أمام نتنياهو أنه «يأتي إلى إسرائيل ليس بصفته وزيراً للخارجية فقط، وإنما أيضاً كيهودي صهيوني»، مما أثار حفيظة موظفين في الخارجية وأقدموا على استقالاتهم !.

بقوة وحزم، أدانت المقررة الأممية لحقوق الإنسان فرانشيسكا ألبانيز جرائم الكيان الصهيوني، وردت على عدد من أبواق الصحفيين المدافعين عن سرديات جيش الاحتلال وأكاذيبه بأن: «على المتكلم بداية أن يعرف القانون الدولي قبل أن يساند جرائم الاحتلال المقترفة، لأن ما تقوم به حكومة نتنياهو جرائم حرب وإبادة واضحة في القانون الدولي !».

عام 2004 أصدرت محكمة العدل الدولية حكماً يفيد بأنه « لا يحق لإسرائيل ادعاء الدفاع عن نفسها في الأراضي الفلسطينية المحتلة «، لكن بعض الدول الغربية وخصوصاً ألمانيا وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، مازالت تردد دون خجل وتتكلم عن «حق إسرائيل بالدفاع عن نفسها «، حتى عندما انطلقت حركات الطلاب الاحتجاجية، وتعاظمت أصوات المعارضين المحامين والقانونيين وأساتذة القانون الدولي.. من الممكن تفهّم موقف هذه الدول المسؤولة عن اختراع هذا الكيان وزرعه في المنطقة، لكن المحزن والمأساة ما نلاحظه ونراه من مواقف مخزية ومشينة للدول العربية التي تنظم حفلات الرقص والغناء والتعري وولائم الطعام الفاحشة، بينما يصب القتلة الصهاينة حمم قنابل الفوسفور على أطفال غزة والضفة وأهلها الصابرين .

في الوقت الذي يكشف القتلة في حكومة الاحتلال خططهم لتهجير الشعب الفلسطيني، واحتلال المزيد من أراضي دول عربية! لا يرمش جفن لهذه الأنظمة المطبعة والمستسلمة.. على الأقل فيما يتصل بالحد الأدنى من أمنها الوطني ووجودها المهدد من الكيان الصهيوني الذي لا يكفيه استسلام هذه الأنظمة، بل هدفه المعلن تدميرها !..

تمارس بعض حكومات الدول الإقليمية في المشرق منذ ثلاثة عقود، سياساتها التي تستغل كل هامش متاح لصالحها وصالح بقائها وأمنها الذاتي، تفاوض وتتاجر، لكن بالرغم من كل أوراق الضغط التي تمتلكها فإنها تحجم عن اتخاذ مواقف بسيطة، وحد أدنى فيه من الكرامة لتستخدمها وتحمي أمن المنطقة ودولها، وتمنع الإبادة وجرائم الحرب، ونكبات جديدة ليس في فلسطين فحسب بل في عموم المنطقة، فهي تتفرج بطريقة مخزية مذلّة ومهينة، لا تبشّر إلا بما هو أسوأ !..

الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية
واقع مؤلم وحقوق منتهكة

فراس عبدو النادر

يواجه الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية واقعًا مؤلمًا يعكس صورة مأساوية عن انتهاكات حقوق الإنسان في ظل الاحتلال. إن قضية الأسرى ليست مجرد مسألة قانونية أو إنسانية، بل هي جزء من الصراع المستمر من أجل الحرية والكرامة.

المؤبدات والعقوبات القاسية

تتراوح العقوبات التي يفرضها الاحتلال الإسرائيلي على الأسرى الفلسطينيين بين سنوات طويلة من السجن إلى أحكام مؤبدة تصل لأكثر من 100 عام. هذه الأحكام ليست مجرد أرقام؛ بل هي تجسيد للمعاناة المستمرة لعائلات بأكملها، حيث تُفصل الأمهات عن أبنائهن، والأبناء عن آبائهم، في سياق سياسة تهدف إلى كسر الإرادة الفلسطينية.

الاعتقال الإداري: غياب العدالة

أحد الجوانب الأكثر قسوة في هذه السياسة هو نظام الاعتقال الإداري، حيث يمكن اعتقال الفلسطينيين دون توجيه تهم واضحة أو الحصول على إذن قضائي. هذا النوع من الاعتقال يعكس انتهاكًا صارخًا لمبادئ العدالة، ويُستخدم كأداة لقمع المقاومة وتخويف المجتمع الفلسطيني.

التعذيب: أساليب وحشية

تشير التقارير إلى أن العديد من الأسرى الفلسطينيين يتعرضون لتعذيب جسدي ونفسي أثناء احتجازهم. أساليب التعذيب تشمل الضرب، والعزل الانفرادي، والاستخدام الممنهج للكلاب في عمليات التفتيش والتعذيب. هذا الأمر يُذكّر بما يحدث في سجون غوانتانامو، حيث يُستخدم التعذيب كوسيلة لإخضاع المعتقلين.

حضور المسؤولين: تواطؤ رسمي

في مشهد مؤلم، يظهر جنود الاحتلال وهم يعذبون الأسرى الفلسطينيين بحضور وزير الأمن القومي الإسرائيلي إيتمار بن غفير. هذا الحضور ليس مجرد مصادفة، بل هو تعبير عن تواطؤ رسمي مع سياسة التعذيب والقمع. إن وجود مسؤول رفيع المستوى في مثل هذه المواقف يعكس عدم الاكتراث بالمبادئ الإنسانية وحقوق الإنسان، ويُظهر كيف أن النظام الإسرائيلي مُصمم على إدامة هذا الوضع المأساوي.

الختام

إن قضية الأسرى الفلسطينيين تتطلب منا جميعًا أن نكون صوتًا للحق والعدالة. لا يمكننا تجاهل المعاناة المستمرة التي يعيشها هؤلاء الأبطال في السجون. يجب أن نعمل جميعًا من أجل تحريك المجتمع الدولي ليتحمل مسؤولياته تجاه هذه القضية، وأن نضغط من أجل إنهاء سياسة الاعتقال التعسفي والتعذيب، وتحقيق الحرية والكرامة لكل الأسرى. إن الشعب الفلسطيني يستحق السماع لقصصه ومعاناته، ويستحق أن يُعامل بكرامة واحترام.

عام مضى على طوفان الأقصى..
ما هي تداعياتها الاقتصادية على الكيان الغاشم

د. أدهم هندي شقير
باحث في الشأن الاقتصادي - سورية

بمرور عام على انطلاقة حرب الإبادة الجماعية على شعبنا العربي الفلسطيني في غزة. وصمود المقاومة في غزة والتضحيات الكبرى التي قدمتها جعلت من هذه المناسبة نقطة مضيئة في تاريخ الصراع الفلسطيني الصهيوني حيث أظهرت قوة الشعب الفلسطيني على الصمود الأسطوري وإسقاط كثير من المفاهيم الشائعة حول الجيش الذي لا يقهر وغيرت من نظرة كثير من الدول لمظلومية الشعب الفلسطيني.

هذه الحرب الظالمة التي تركت تداعيات كبيرة وآثاراً هائلة على الكيان الغاصب في كل مناحي الحياة.

هنا سأتناول في هذه السطور تأثيرات طوفان الأقصى على مناحي الاقتصاد في الكيان الغاشم.

الحرب دائماً بما لها من تكاليف عسكرية وإنتاجية وبشرية تسبب خسائر كبيرة في الاقتصاد وعادة يكون الاقتصاد هو المحرك الرئيسي في الحروب.

من هنا سنحاول وبعجالة توضيح ما حصل في الجانب الاقتصادي عند الكيان خلال عام من العدوان وخاصة بعد توسيع حربه وامتداد تلك الحرب على الجبهة اللبنانية ومحاولة فتح جبهات أخرى.

يقول الخبير في الشؤون الإسرائيلية أحمد البهنسي لـ (الجزيرة نت) إنه لا يمكن الاعتماد على أرقام محددة إلى الآن سواء رسمية أو غير رسمية في تحديد الكلفة اليومية التي تتكبدها إسرائيل في الحرب بشكل دقيق.

وعند حساب الكلفة اليومية التي تتكبدها إسرائيل جرّاء الحرب يمكن أن نشير إلى أن معطيات بنك إسرائيل ووزارة المالية الإسرائيلية أظهرت أن تكلفة الحرب منذ السابع من أكتوبر/تشرين الأول الماضي حتى نهاية مارس/آذار 2024، بلغت أكثر من 270 مليار شيكل (73 مليار دولار)، بمعدل وسطي 427 مليون دولار يومياً. ولكن لم يتضح إذا كانت الكلفة هي الإجمالية أم العسكرية فقط.

وكانت بيانات وزارة الأمن الإسرائيلية، أشارت إلى أن كلفة الحرب اليومية منذ السابع من أكتوبر/تشرين الأول حتى نهاية ديسمبر/كانون الأول 2023، بلغت مليار شيكل يومياً (270 مليون دولار)، قبل أن تنخفض خلال العام 2024 لتصل إلى 350 مليون شيكل (94 مليون دولار).

وفي تقدير آخر، رفعت إسرائيل موازنة الدفاع في يونيو/حزيران الماضي من 87.45 مليار شيكل (23.52 مليار دولار) إلى 98.75 مليار شيكل (26.56 مليار دولار) وهو ما يعادل - تقريباً- 72.76 مليون دولار.

وتتضمن المصروفات المباشرة منذ السابع من أكتوبر/تشرين الأول وفق كالكاليست حوالي 129 مليار شيكل (36.4 مليار دولار)، منها:

37 مليار شيكل (10.4 مليارات دولار) تُنفق على رواتب جنود الاحتياط.
29 مليار شيكل (8.2 مليارات دولار) على الذخيرة والأسلحة.
19 مليار شيكل (5.4 مليارات دولار) على الطائرات والسفن وأعمال الصيانة.
13 مليار شيكل (3.7 مليارات دولار) على الأسلحة.
13 مليار شيكل أخرى (3.7 مليارات دولار) على الخدمات اللوجستية.
8 مليارات شيكل (2.3 مليار دولار) على أنظمة الاتصالات والمعلومات الاستخباراتية.
6 مليارات شيكل (1.7 مليار دولار) على البنية التحتية والدعم المدني.
4 مليارات شيكل (1.1 مليار دولار) على العلاج والتأهيل والدعم للعائلات.

ولمواجهة التكلفة الباهظة للعملية العسكرية وبغية منع العجز التراكمي بالموازنة العامة لوزارة الأمن، تمت زيادة الميزانيات المخصصة لوزارة الأمن، بإضافة 30 مليار شيكل (8.1 مليارات دولار)، وبذلك بلغ الحجم الإجمالي لميزانية الأمن خلال الحرب حوالي 100 مليار شيكل (27 مليار دولار).

أما عن التكاليف الاقتصادية للحرب على إسرائيل فقد أشارت وكالة بلومبيرغ إلى أن مسؤولين إسرائيليين قدروا فاتورة الحرب خلال العام الماضي بنحو 66 مليار دولار، وهو ما يعادل نسبة 12% من الناتج المحلي لإسرائيل، كما بلغ الإنفاق الحربي خلال العام الماضي 25.9 مليار دولار وعجز الميزانية 8.3%، مما أدى إلى زيادة الاعتماد على القروض لتمويل هذا العجز، وقد بلغت قروض إسرائيل خلال العام الماضي قرابة 53 مليار دولار.

وبخصوص الأضرار والخسائر الناجمة عن تعرض الجبهة الداخلية الإسرائيلية لقصف صاروخي، أظهرت تقديرات سلطة الضرائب الإسرائيلية أن حجم الأضرار المباشرة للمباني والمنشآت التي تكبدتها مستوطنات «غلاف غزة» بلغت 1.5 مليار شيكل (405 ملايين دولار)، بحسب بيانات سلطة الضرائب الإسرائيلية.

ويُستدل من تقارير سلطة الضرائب أن قيمة الأضرار غير المباشرة والتعويضات للمتضررين في مستوطنات الغلاف والنقب الغربي وصلت 12 مليار شيكل (3.35 مليارات دولار)، حيث تشمل الخسائر والأضرار التي تكبدتها فروع الزراعة، والسياحة الداخلية، والترفيه والمطاعم والمقاهي، والصناعات الخفيفة.

أما بخصوص الأضرار والخسائر في الجليل الأعلى والغربي والبلدات الإسرائيلية الحدودية مع لبنان والجولان المحتل، فلا توجد هناك بيانات رسمية وجرد للأضرار من قِبل سلطة الضرائب، وذلك بسبب خطورة الأوضاع والقتال مع حزب الله .

ويقول خبير الشؤون الإسرائيلية الدكتور أحمد البهنسي إن الدافع وراء فتح إسرائيل الجبهة الشمالية مع حزب الله هو اقتصادي إذ تم تهجير كتلة كبيرة من الشمال بدءاً من الثامن من أكتوبر/ تشرين الأول مع دخول حزب الله جبهة الإسناد للمقاومة الفلسطينية مما أوقف الأنشطة الاقتصادية في هذه المنطقة كذلك .

ويضيف البهنسي أن تلويح وزير الطاقة الإسرائيلي إيلي كوهين بأنه يبحث عن ثغرة لإلغاء اتفاق اقتسام حقول الغاز مع لبنان يشير إلى إمكانية حرمان إسرائيل من عوائد الغاز من هذه المنطقة.

وقال كوهين في تصريحات لإذاعة الجيش الإسرائيلي إن ما وصفه بـ»اتفاق الغاز الفاضح» مع لبنان، «كان خطأ منذ البداية»، مؤكداً أنه يبحث عن ثغرة لإلغائه.

حيث تضررت أكثر من 500 منشأة سكنية زراعية وصناعية وتجارية، من جراء إطلاق صواريخ من حزب الله على شمال الكيان على ما أفادت صحيفة يديعوت أحرونوت التي لا تستبعد أن يكون حجم الخسائر والأضرار مضاعفاً وتشير التقديرات إلى أن حجم الخسائر الأولية في شمال البلاد جراء صواريخ حزب الله، تقدر بحوالي ملياري شيكل (540 مليون دولار).

كان لطوفان الأقصى آثار اقتصادية سلبية مباشرة على إسرائيل من اليوم الأول، فقد تراجعت قيمة العملة الإسرائيلية، وكذلك انخفضت البورصة بصورة ملحوظة بسبب هروب الكثير من المستثمرين الأجانب.

وتشير التقديرات إلى أن قيمة العملة الإسرائيلية تراجعت بنسبة 5% على الرغم من ضخ البنك المركزي الإسرائيلي قرابة 30 مليار دولار للحفاظ على قيمة الشيكل، وقد أثر ذلك على رصيد إسرائيل من احتياطيات النقد الأجنبي.

أما خسائر البورصة في إسرائيل بسبب عملية طوفان الأقصى فقد قُدرت بنسب تتراوح بين 9% و20% على مدى فترات مختلفة، وكان قطاع البنوك الأكثر تضرراً في البورصة بسبب خروج المستثمرين الأجانب، وقدرت دراسة للمعهد العربي للدراسات خسائر البورصة الإسرائيلية بسبب الحرب على غزة بنحو 20 مليار دولار.

نظراً للمخاطر الجيوسياسية والأمنية حول إسرائيل في آخر النتائج الخاصة بالتأثيرات السلبية للحرب على الاقتصاد الإسرائيلي تخفيض التصنيف الائتماني لإسرائيل من قبل الوكالات المختصة، والتي كان آخرها «ستاندر آند بورز»، والتي خفضت تصنيف إسرائيل من «إيه +» إلى «إيه» وذلك للمرة الثانية خلال العام، وأبقت على نظرتها المستقبلية السلبية.

وأشار تقرير الوكالة إلى توقعات بشأن تراجع معدلات أداء النمو الاقتصادي بإسرائيل، ووجود عجز مالي في الأجلين القصير والمتوسط وزيادة الإنفاق الحربي لإسرائيل.

إن عملية طوفان الأقصى هزّت الاقتصاد الإسرائيلي بقدر ما هزّت المؤسّسة الأمنية والعسكرية والسياسية، ووضعت السياسات الاقتصادية لحكومة إسرائيل أمام تحدّيات صعبة.

أفادت وزارة العمل الصهيونية أن أكثر من مليون مواطن، أي ما يشكّل حوالي خمس القوى العاملة في تل أبيب، عاطلون عن العمل بسبب عمليات الإجلاء أو إغلاق المدارس وما يستتبعه من رعاية للأطفال، أو الاستدعاء لأداء خدمة الاحتياط.

ويتوقع نتيجة ذلك نقص الإنتاج و تتراجع الصادرات السلعية نتيجة الخلل في القوى العاملة في قطاع الزراعة والصناعة .

السياحة وما يرتبط بها من خدمات، تُعدّ رافدًا مهمًّا من روافد الاقتصاد الإسرائيلي وميزانيته العامّة بناتج إجمالي يبلغ نحو 7.7 مليار دولار، قد تعرّضت لشللٍ كامل ذلك أن المعطيات تشير إلى إلغاء كل الحجوزات تقريبًا في الفنادق والمنشآت السياحية، في حين يجري استخدام جزء كبير جداً من طاقتها الاستيعابية حتى الآن في إيواء عائلات جرى إجلاؤها من مناطق ومستعمرات قريبة من الحدود مع غزّة، ومن شمال البلاد.

أما قطاع النقل:

لا يختلف الحال كثيرًا بالنسبة إلى قطاع النقل، والنقل الجوي على وجه الخصوص؛ إذ أعلنت مجموعة من خطوط الطيران العالمية تعليق رحلاتها إلى إسرائيل، وأصبح دور النقل الجوي المدني ينحصر في إجلاء الرعايا الأجانب والإسرائيليين الفارّين من الحرب.

فالاستدعاء الاستثنائي لكل قوات الاحتياط سيفرغ القطاعات المحركة للاقتصاد الإسرائيلي من مشغّليها، وستتسبّب حالة الخوف التي تكتنف العمالة الأجنبية وهروبها خارج إسرائيل، وتوقف استخدام العمالة الفلسطينية، في شللٍ كبيرٍ في الخدمات المساندة.

التأثيرات الأعمق لم تحدُث بعد

من الناحية الاقتصادية، المتوقّع أن تفضي هذه الحالة العميقة السائدة من عدم اليقين إلى تثبيط الاستثمار، والحد من مستويات الاستهلاك، وضرب قطاعَي السياحة والنقل وغيرهما من الخدمات. وستؤثر هذه الحالة كذلك في جاذبية الاقتصاد الإسرائيلي للعمالة الأجنبية؛ ما يعني أنه سيواجه سلسلة من الارتفاعات في الأجور بسبب نقص المعروض من العمالة، خصوصًا إنْ أفضت هذه الحالة إلى هجرةٍ عكسيةٍ إلى خارج إسرائيل .

في الوقت الذي تتركز فيه الأنظار على التداعيات العسكرية والسياسية والأمنية لعملية طوفان الأقصى، التي أطلقتها حركة المقاومة الإسلامية (حماس) ضد مواقع عسكرية ومستوطنات إسرائيلية في محيط قطاع غزّة، يوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، وما تبعها من عدوان إسرائيلي على هذا القطاع، تتعاظم آثار الحرب الاقتصادية، خصوصًا بالنسبة إلى إسرائيل التي فتحت جبهات جديدة في لبنان واليمن والضفة الغربية لها كلفتها المادية والعسكرية ولها تداعياتها المؤلمة على كل مناحي الحياة وخاصة الاقتصادية والمعاشية داخل الكيان.

الطوفان والأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية الواقع.. البطولة.. التحدي

بسام عليان ـ كاتب اجتماعي وباحث سياسي فلسطيني ـ سورية

تقف الحروف حيرى عاجزة عن أن تنتظم بمديح يليق بمقام الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي؛ أو أن تنبئ بوصف حجم عذاباتهم اليومية، هم رجال عز نظيرهم، هم عطر القضية الفلسطينية وعنوانها الأبرز؛ هم نبض البطولة وأنشودة النخوة والمروءة، وتراويد الشجاعة والتحدي، هم العيون المرابطة الرابضة التي باتت حارسة لرفعة الوطن وعزته.

يتفق الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية؛ أن للسجن زمنا خاصا لا يدركه إلا من خاض التجربة عن قُرب ، وتراوح تلك التجربة بحسب فترة الاعتقال والمشهد السياسي والاجتماعي خارج الأسر، والذي بدوره، ينعكس على البنية الاعتقالية والتنظيمية داخل سجون الاحتلال.

أن زمن السجن مع ثبات المكان؛ ونضال الأسرى، يدفعنا إلى التأكيد أكثر من أي وقت مضى على ضرورة إعطاء قضية الأسرى في سجون الاحتلال بعداً قانونياً وسياسيا وإنسانياً وأخلاقيا وأدبيا. وأن تتصدر قضية الأسرى الفلسطينيين جدول العمل الوطني على الصعيدين الرسمي والشعبي، جراء ما يعانونه من إجراءات وتدابير من قبل سلطات السجون والمعتقلات الإسرائيلية، الأمر الذي أدى إلى استشهاد عدد منهم بسبب التعذيب المنهجي والوحشي، وإبعاد تعسفي لبعضهم، ووجود بعضهم في شبه حالة احتضار بسبب الإهمال الطبي، ومعاناة الأغلبية الساحقة منهم.

فمنذ عام 1967 شرعت قوات الاحتلال الإسرائيلي بافتتاح العديد من السجون والمعتقلات لتضييق الخناق على حركة المقاومة الوطنية الفلسطينية؛ فلجأ الاحتلال إلى اعتقال العديد من الشخصيات الوطنية وأبناء المقاومة الفلسطينية وزج بهم في سجونه ومعسكرات اعتقالاته.

وبالنسبة إلى ظروف الأسر والاحتجاز، فإن عملية احتجاز الأسرى من الأراضي الفلسطينية تتم في سجون ومراكز اعتقال عسكرية إسرائيلية تقع داخل الأراضي المحتلة العام 1948، فهناك خمسة مراكز تحقيق وستة مراكز احتجاز وتوقيف، وثلاثة مراكز اعتقال عسكرية، وعشرون سجناً مركزياً تابعاً لمصلحة السجون الإسرائيلية. فلا تزال حكومة الاحتلال الإسرائيلي تحتجز وتعتقل في سجونها أكثر من (12) ألف معتقل فلسطيني، بينهم 550 طفلا، و(135) امرأة، و(7) نواب في المجلس التشريعي. ويبلغ عدد الأسرى المرضى (1200) أسير تقريبا (هؤلاء الذين يبلغ عن حالات مرضهم)، من بينهم (130) حالة مزمنة، كأمراض السرطان والسكري والإعاقة الكلية أو الجزئية. بالإضافة إلى ما تقترفه إدارة السجون الإسرائيلية من انتهاكات جسيمة بحق الأسرى والمعتقلين، تتمثل في ممارسة التعذيب، والعزل، والحرمان من الرعاية الطبية، وإجراء التجارب الطبية عليهم، وخاصة بعد استحداث مراكز للاعتقال والتعذيب بعد حرب طوفان الاقصى؛ الأمر الذي أدى إلى وفاة العشرات منهم أثناء الأسر أو بعده، وإصابة كثيرين منهم بإصابات عجز نصفي او كلي. كما تشمل الانتهاكات احتجاز الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين في سجون سرية، ومحاكمتهم بصورة غير قانونية، والاعتقال الإداري غير المشروع، إضافة إلى اقتحام المعتقلات والسجون، التي تتخللها عمليات القمع والتنكيل والتفتيش، وإجراءات استفزازية، والتجويع والإهانة؛ وتوجيه الشتائم والألفاظ النابية، وعمليات تخريب متعمدة لأقسام الأسرى.

كما تسعى سلطات الاحتلال إلى «قوننة» المزيد من الانتهاكات عبر قيام «الكنيست الإسرائيلي»؛ بسن مجموعة قوانين عنصرية تنطوي على إجراءات عقابية، مثل قانون التغذية القسرية للأسرى المضربين عن الطعام، ومشروع القانون الخاص بمنع الإفراج عن الأسرى المحكومين مدى الحياة، ومشروع قانون إعدام الأسرى. ووصلت الانتهاكات حد تعذيب الأطفال وفرض العقوبات عليهم من خلال محاكم لا تتوفر فيها أدنى مقومات العدالة.

معتقل سيدي تيمان وجه جديد للإرهاب الإسرائيلي:

منذ السابع من أكتوبر 2023 صعدت إسرائيل وبشكل غير مسبوق من وتيرة انتهاكاتها لحقوق الأسرى، والمعتقلين الفلسطينيين في سجونها حيث كشفت بعض المصادر عن وجود ظروف مأساوية للغاية يعاني منها الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية ، حيث وصل الأمر إلى قيام السجانين بنوبات تعذيب ممنهجة للأسرى والأسيرات الفلسطينيين، حيث يتعرضون لإساءات جسدية وجنسية شديدة وقمع مستمر، أدى إلى وقوع حالات من الكسر في الأعضاء وحالات إغماء شديد وفقدان للوعي وأمراض عصبية؛ حيث هناك ثلاث معتقلات للتعذيب الجسدي والجنسي تقع في عاناتوت وعوفر بالإضافة سيدي تيمان الأكثر قسوة والأكثر تعذيبا وإرهابا وإساءة للمعتقلين حيث يجلس المعتقلون وهم مكبلين ومعصوبي الأعين وغير مسموح لهم بالنوم؛ ناهيك عن الاكتظاظ بالزنزانة الواحدة. ويستخدمون الهراوات وأعقاب البنادق بضربهم والصعق بالكهرباء والاعتداء الجنسي على عدد من المعتقلين لإجبارهم على إدلاء بمعلومات خلال عمليات الاستجواب. وقد وصلت قسوة الاعتداء المبرح على المعتقلين إلى كسر عظامهم وكسر أسنانهم. وهناك عدد من المعتقلين تم بتر أيديهم وأرجلهم بسبب قسوة الأصفاد التي يستخدمها السجانين خلال تقييدهم للمعتقلين وتعذيبهم وضربهم وتوجيه الشتائم البذيئة بحقهم. حيث وصلت بعض الحالات إلى الوفاة دون إبلاغ ذويهم عن وفاتهم بعد تعفن الجروح التي يعانون منها جراء عمليات التعذيب الجماعية التي يتعرض لها المعتقلين في سجون الاحتلال وخاصة ما كشف عن بعضها بتسميتها حفلات التعذيب. كذلك يستخدمون الكلاب المسعورة خلال استجوابهم وحرقهم بأعقاب السجائر والصدمات الكهربائية. واعترف الجيش الاسرائيلي بقتل 36 معتقلا في سجن سيدي تيمان الأشد قسوة والأكثر إرهابا الذي يجسد الوحشية الإسرائيلية ضد كل ما هو فلسطيني.

وتفيد التقارير المطلعة والمصادر المعنية بحقوق الأسرى الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية ان عدد الاسرى الفلسطينيين منذ عام 1967 وحتى العام 2024، تعدى المليون أسير.

هناك حقد وجنون وشذوذ من جنود إسرائيليين شبان يتلذذون ويتفننون بابتكار طرق للتعذيب والإساءة والوحشية.

وهناك تمييز للمعتقلين من غزة حيث يطلقون عليهم لقب «مقاتلين غير شرعيين» وهؤلاء لا يتم عرضهم على أية سلطة كانت ويتم الاحتفاظ بهم لمدة تزيد عن ستة أشهر، دون أدنى رقابة إدارية.

أمام هذه الاجراءات غير الأخلاقية؛ والخارجة عن القانون الإنساني؛ والتي توصف بالمجرمة؛ والتي تتنافى مع أقل شيء في ما يتعلق بحقوق الإنسان، يواصل عدد كبير من المعتقلين والأسرى

الفلسطينيين إضرابهم المفتوح عن الطعام، مطالبين بوقف ممارسة الاعتقال الإداري تعسفي وسياسي عزل الأسرى، والتعذيب الليلي والضرب والشبح وممارسة أعمال لا أخلاقية ولا إنسانية معهم، والسماح لذويهم بحق الزيارة، وممارسة حقهم بالتعليم، ووقف الإجراءات العقابية وغيرها من المطالب العادلة. إلا أن الفعاليات التضامنية مع الأسرى لا تتعدى المظاهر التضامنية الشعبية بعيدًا عن الفعل الرسمي الجدي الذي ينتظره الأسرى والمعتقلون وذووهم، سواء بالإسناد الكفاحي والنضالي، أو الفعل الديبلوماسي والسياسي الرسمي، أو التحرك القانوني والحقوقي بتفعيل الآليات الدولية ذات الصلة والاختصاص، ومحاسبة وعزل ومقاطعة الاحتلال، وفرض ضغوط جادة عليه للاستجابة إلى مطالبهم.

وعلى الرغم من الجهود المقدرة التي بذلتها هيئة الأسرى والمحررين، وجهود المنظمات الأهلية الفلسطينية، والفصائل المختلفة، وبعض الجهود العربية والدولية، غير أن القاسم المشترك بينها يتمثل في الإخفاق ببلورة إستراتيجية متكاملة تتوزع فيها الأدوار والمسؤوليات، وتتكامل بما يسمح بإحداث تراكم حقيقي لإسناد قضية الأسرى والأسيرات في سجون الاحتلال، فضلًا عن إغفال هذه الجهود للتطورات التي حصلت ما بعد حصول دولة فلسطين على صفة دولة مراقب في الأمم المتحدة، وانضمامها لجملة من الاتفاقيات الدولية، الأمر الذي يقتضي سرعة العمل على بلورة استراتيجية وطنية لدعم قضايا الأسرى والمعتقلين، بحيث يتم تبنيها من المسؤولين والكل الفلسطيني، وتعزيز الشراكات بموجبها مع الأجسام والمنظمات والشخصيات الداعمة لنضال الأسرى عربيًا ودوليًا، بما يضمن تقاسم الأدوار والمسؤوليات وتكاملها حتى لا يتشتت الجهد ويضيع في انشغالات المسؤولين وأعبائهم.

ويُصنف الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني من منظور القانون الدولي باعتباره نزاعًا مسلحًا دوليًّا بحكم وجود الاحتلال، لذا تعد الأراضي الفلسطينية مناطق محتلة، ولم تغير اتفاقيات أوسلو والاعتراف بدولة فلسطين كعضو مراقب من حقيقة خضوعها للاحتلال، وبات مركزها القانوني دولة مراقب في الأمم المتحدة تحت الاحتلال.

ويعتبر المركز القانوني للمعتقلين والأسرى الفلسطينيين محل اجتهادات متنوعة، يمكن حصرها في ثلاثة اتجاهات وهي:

الاتجاه الأول: يعتبرهم أسرى حرب يخضعون لاتفاقية جنيف الثالثة الخاصة بأسرى الحرب.

الاتجاه الثاني: يتعامل معهم باعتبارهم معتقلين يتمتعون بحماية اتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية المدنيين.

٦الاتجاه الثالث: يرى أنهم مختطفون بطريقة غير شرعية، كون الاحتلال غير شرعي.

وللتأكيد؛ فإن اتفاقيتي جنيف الثالثة والرابعة اعتبرتا أن أفراد المقاومة المسلحة المشاركين في الأعمال القتالية الذين يقعون في قبضة قوات الاحتلال هم أسرى حرب، يستمدون حمايتهم من اتفاقية جنيف الثالثة والبروتوكول الإضافي الأول. أما الذين لا يشاركون في الأعمال المسلحة والقتالية، فيخضعون لحماية اتفاقية جنيف الرابعة.

إلا أن السلطة الفلسطينية بدل أن تستفيد من بنود واتفاقات القانون الدولي؛ تتعامل مع ملف الأسرى ضمن القضايا المرتبطة بالحل النهائي مثل الحدود والأمن واللاجئين والمياه، أي عدم التعاطي مع ملف الأسرى باعتباره ملفًا حقوقيًا وسياسيًا ودوليًا، وخضوع قيادة السلطة المتنفذة لتحكم وسيطرة حكومة الاحتلال.

ونظرا لأن السلطة الفلسطينية المتنفذة، ليس بيدها ما تفعله حيال ملف الأسرى؛ فإن الأسرى الأبطال داخل سجون الاحتلال الإسرائيلي يقاومون ويتحدون الاحتلال ويتحدون عنجهية الاحتلال وحكومته العسكرية الصهيونية، خاصة في غياب إستراتيجية وطنية لدعم نضال الحركة الأسيرة فيقومون بالإضراب عن الطعام رغم قسوته وصعوبته كأحد أهم الأسلحة التي يستخدمها الأسرى وأقوى أشكال النضال المشروعة التي تلجأ إليها الحركة الأسيرة خلف القضبان لانتزاع الحقوق الأساسية الخاصة بالفرد أو الجماعة، حيث استطاع الأسرى من خلاله تحقيق الكثير من الإنجازات، وانتزاع جزء من حقوقهم المسلوبة، وكان آخر هذه الاضرابات التي تركت أثرًا واضحًا، واستطاعت أن تغير واقع السجون هو إضراب الكرامة في نيسان من العام 2012 الذي أنهى العزل الانفرادي في حينه، وأعاد برنامج زيارات قطاع غزة بعد انقطاع لمدة 6 سنوات متواصلة. وما يميز هذه الركيزة أنها تُسهم في تحسين ظروف الاعتقال، ولا يثمر عنها تحررهم من الأسر.

وهنا نقول بأنه لا بدّ بل من اللازم والواجب، إعطاء أهمية قصوى لبناء إستراتيجية وطنية لدعم قضايا الأسرى والحركة الأسيرة، تقوم على استعادة وحدة الشعب الفلسطيني، وإنهاء الانقسام، وتحقيق المصالحة في سياق إعادة بناء الوحدة الوطنية، وبما يضمن إعادة بناء نظام فلسطيني سياسي موحد على أسس ديمقراطية، وبرنامج وطني وإستراتيجية نضالية ورؤية قانونية وسياسية لوضع الآليات الكفيلة بتوفير الحماية للمعتقلين الفلسطينيين، بالاستناد إلى قواعد وأحكام القانون الدولي، بعيدًا عن الاعتبارات السياسية وإملاءات القوة العسكرية للاحتلال.

مَن أَمِن العقاب أساء الأدب!!
الاحتلال الصهيوني مثالاً

إلهام الحكيم
كاتبة فلسطينية ـ تركيا

إن العدوان الوحشي المتواصل على غزة منذ سنة يعيد للأذهان ما ارتكبه الاحتلال الصهيوني خلال عقود ثمانية من موبقات بحق الشعب الفلسطيني الأعزل.. ولعل استمرار المجازر الوحشية - دون توقف - مثال جلي على انعدام الإنسانية وتجاوز الصهاينة كل القوانين والأعراف الدولية التي تقرّ بحق الفلسطيني بالحياة الحرة الكريمة.. لم يتوانَ جيش الاحتلال عن استهداف كل ما يتعلق بالمدنيين.. لم يتردد بقتل الأجنة في الأرحام.. والرضّع في أحضان أمهاتهم.. والأطفال خلال الدراسة أو اللعب بالأراجيح والكرات أو السباق مع الفراشات والعصافير في الحقول..

بَقَر جنودُه بطونَ الأمهات وهم يضحكون ويتراقصون على جراحهن.. تفننوا بتعذيب المسنين وتعريتهم وقطع رؤوسهم ورميهم بالشوارع إلى أن تتحلل جثثهم.. حتى المرضى وأصحاب الحالات الخاصة لم ينجوا من ممارساتهم الوحشية فأطلقوا عليهم الكلاب تنهشهم على أصوات الضحك والاستهزاء.. نكّلوا بالمعتقلين والأسرى ووصلت ساديّتهم حد الاغتصاب وإطلاق الكلاب عليهم.. استهدفت المسيّرات الشباب العزّل وفجرتهم بوحشية منقطعة النظير!! الاحتلال أحرق وجوّع وعطّش وفجّر ودمّر كل مقومات الحياة والبنى التحتية والمؤسسات الدينية والرياضية والثقافية

والصحية والتعليمية والأكاديمية والإعلامية والصناعية والتجارية والإنسانية بما فيها الهيئات الدولية المحمية بموجب القانون الدولي!، اتبع كل أشكال الضغوط لإجبار الأهالي على النزوح والهجرة وترك منازلهم وممتلكاتهم بهدف تفريغها من أصحابها واستبدالهم بالمستوطنين.. نسبة عالية نزحت داخلياً عدة مرات وبعضها تجاوز العشر مرات لكنهم لم يغادروا غزة!، أقاموا على دمار بيوتهم.. بعضهم أعاد ترميم بيته وعاش به مع أهله بلا نوافذ ولا أبواب تقيهم الحر اللاهب والبرد القارس والأمطار.. غيرهم سكن الخيام التي جرفتها الأمواج والرياح لاحقاً.. نزحوا للمدارس ومراكز الإيواء التي استهدفها العدو بطيرانه ومدفعيته مرّات ومرّات.. شعب صابر وصامد على أرضه، رغم كل المآسي المحيطة به مازال الناس يكررون:» الحمد لله.. باقيين.. وين نروح؟ لن نغادر ونكرر نكبة 1948!» .

مقدمة لا بد منها لتحفيز أدمغتنا وتحريض أنفسنا على الدوام للتكامل مع شعبنا الصابر المحتسب والوقوف إلى جانبه دعماً ومناصرةً وعدم اعتياد المشهد الذي نتابعه عبر الشاشات والجوالات على مدى الشهور الماضية، يراهن العدو على الزمن لمعرفته أن الطبيعة البشرية قصيرة النَفَس، فالبصر يعتاد الحدث خاصة مع التراجع الجزئي بنوع العمليات، وإيهام المجتمع الدولي بتحديد الأهداف وتجنّب المدنيين فبدلاً من القصف العشوائي على مدار الساعة وارتفاع عدد الضحايا من شهداء ومصابين بما يتجاوز المئات فإن الطيران بات يستهدف البيوت ومراكز الإيواء بذخائر يمكنها إذابة الجسد وتلاشيه بعد لحظات من القصف بهدف إخفاء العدد الفعلي المستهدَف وادعاء اقتصاره على العشرات، إضافة لتبرير القصف بوجود مسلحين في هذا المكان أو ذاك ليتفادى الإدانة واستنكار الشعوب - خاصة الغربية - لضرب المدنيين! هذه الأكاذيب باتت أسطوانة مشروخة يعزفها العدو ويعوّل عليها دون ضوابط أخلاقية أو إنسانية - مفقودة لديه أساساً - إضافة لذلك فهو يحاول توْسِعة إطار اعتداءاته نحو الضفة الغربية أو لبنان بهدف حرف الأنظار عن مجازره ضد المدنيين في غزة ومن ثم محو جانب من المشهد الإجرامي المتكرر والمتصاعد بأساليب عديدة لامتصاص النقمة من جهة وكسب الشارع الصهيوني من جهة أخرى.. لكننا لن ننسى وستبقى غزة حاضرة في القلب والذاكرة..

رغم كل المجازر والإبادة الجماعية لم تحرك الحكومات العربية والإسلامية ساكناً

كما لحقت بها شعوبها التي شَغَلَت نفسها بشؤونها الداخلية والخاصة دون التفكير بأن الصمت يُعتبر شراكة بالجريمة التي ستتواصل وتتوالى اتجاه دولهم تحقيقاً للأطماع الصهيونية التي تركت حدودها مفتوحة ولن تُغلَق إلا بالسيطرة على المنطقة من الفرات إلى النيل – وربما أكثر - حسب النوايا والمخططات الصهيونية المرسومة منذ المؤتمر الصهيوني الأول في بال بسويسرا عام 1897ويمكن أن تتوسع أكثر مع أطماع الحكومة اليمينية المتطرفة بزعامة الثلاثي « نتنياهو، بن غفير، سموتريتش « وحينها سيقول الجميع: «أُكِلنا يوم أُكِل الثور الأبيض» لكن الندم لن ينفعهم بعد وقوع الفاس بالراس - حسب المثل الشعبي الفلسطيني – لهذا نقول: لا بد للشعوب العربية من كسر حاجز الصمت والتحرك الضاغط على حكوماتها ومساندة الشارع الغربي والأمريكي الداعم للقضية الفلسطينية والرافض للعدوان الصهيوني على المدنيين في غزة، إضافة لرفض التطهير العرقي على يد المستوطنين المسلحين في القدس والضفة الغربية والأراضي المحتلة عام 1948.. من خلال الاعتداءات الوحشية المتكررة على الأهالي والممتلكات الخاصة والعامة» المدارس، البيوت، الأراضي الزراعية والمواشي، الورشات الصناعية، المنشآت الاقتصادية المختلفة.. إلخ»، إضافة لاستباحة المقدسات الإسلامية والمسيحية، والاقتحام المتكرر للمسجد الأقصى المبارك لفرض التقسيم الزماني والمكاني - كما فعلوا بالحرم الإبراهيمي الشريف - بهدف التهويد وأَسْرَلة كافة مناطق فلسطين التاريخية، لكن الشعب الفلسطيني يتشبث بأرضه ويتمسك بحقوقه الوطنية والدينية متسلحاً بالقوانين والأعراف الدولية الداعمة لوجوده خاصة بعد كشف الشارع الغربي زيف الرواية الصهيونية وتسليط الضوء على القضية الفلسطينية وتأييدها وعدم الملل من النزول للشارع والاستمرار بحشد الداعمين لها ضد تسليح دولهم للكيان الصهيوني أو التعامل مع منتجاته وأكاديمياته وأبحاثه.. فهل تزيل الشعوب العربية والإسلامية الغشاوة عن بصرها وبصيرتها وتلحق بركب الإنسانية قبل فوات الأوان؟!

• اعتياد المشهد الإجرامي جريمة

إن استمرار العدوان الصهيوني والإبادة الجماعية دون هوادة شكل من أشكال التمادي وتجاوز كافة الأعراف والقوانين الدولية فالعدو يعتبر نفسه خارجها، بل فوقها أيضاً كونه يضمن الدعم الأمريكي والغربي لكل ممارساته رغم ادعائهم دعوة الحكومة الصهيونية لوقف العدوان والتوجه نحو المفاوضات وإنهاء الحرب، لكنهم ضمن الغرف المغلقة يؤيدونه كما يصرون على استمرار تسليحه ومدّه بكل وسائل الإبادة! فهل ننتظر ممن أباد الشعب الأصلي – الهنود الحمر – للاستيلاء على أرضه أن يقول للكيان الصهيوني: «كفى قتلاً وإبادة وتدميراً وتهجيراً»؟ وهل ننتظر ممن استعمر معظم دول العالم أن يطلب إنهاء الاحتلال الصهيوني وهو الذي يعلن يومياً حق «إسرائيل» بالدفاع عن النفس وكأن الشعب الفلسطيني هو المعتدي؟! علماً بأن الاستعمار الغربي لم يغادر الوطن العربي إلا بالنضال والمقاومة الشعبية بكل أشكالها؟!

إن رجحان الكفة لصالح العدو استعمارياً يحتّم علينا وعلى كافة الشعوب والدول المحبة للسلام أن نضع نصب أعيننا أنه لا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر لهذا يجب استمرار الدعم والتأييد لصاحب الحق الذي تعرض ومازال يتعرض لشتى أنواع الإجرام وسوف أترك الأرقام تتكلم وتنقل لكم مدى الوحشية التي مورست بحق الشعب الفلسطيني خلال العام الأخير فقط – منذ انطلاق طوفان الأقصى – دون التطرق لكل جرائمه ومجازره منذ احتلالها عام 1948 وحتى خلال الانتداب البريطاني المسبب الرئيسي للمأساة الفلسطينية!!

• جرائم صهيونية لن ننساها

تلك الأرقام حتى تاريخ كتابة هذه السطور :

- ارتكاب 4650 مجزرة بحق المدنيين ..
- استشهاد قرابة 50 ألف شهيد وفقدان 10 آلاف شخص معظمهم تحت الأنقاض ..
-جرح وإصابة ما يزيد عن91 ألف مواطن ..
-70% من الشهداء والجرحى من النساء والأطفال..
-تشريد زهاء 2 مليون فلسطيني يمثلون 90 % من سكان القطاع البالغ عددهم 2،2 مليون نسمة..
-استهداف 172 مركز إيواء مأهول بالسكان، من بينها 152 مدرسة تابعة للأونروا.. واستشهاد 1040 من النازحين بها..
-تدمير 90% من مباني المدارس الحكومية البالغ عددها 307 مدارس..
-تدمير 117 مدرسة وجامعة تدميراً كلياً..
-تدمير 332 مدرسة وجامعة تدميراً جزئياً..
-تدمير 85% من المنازل والممتلكات المدنية والبنية التحتية ..
-حرمان 800 ألف طالب وطالبة من التعليم..
-39 ألف طالب لم يلتحقوا بالامتحانات الثانوية..
-وقوع 25 ألف طفل بين شهيد وجريح، منهم 10 آلاف من طلبة المدارس.
-استشهاد 500 معلّم ومدير مدرسة، 100 باحث وأستاذ جامعي،500 من الأطقم الطبية،200 موظف أونروا، 165 صحفياً، 89 من طواقم الدفاع المدني، 140 من المحامين ونشطاء حقوق الإنسان، 9 آلاف طلبة مدارس وجامعات، مئات الشهداء من الفنانين والكتاب والرياضيين..
-انتشار الأمراض المميتة نتيجة الاكتظاظ وانهيار الخدمات الطبية مما ضاعف أعداد الوفيات الطبيعية 6 مرات ..
-الخسائر المباشرة نتيجة الدمار بكل مناحي الحياة 33 مليار دولار، إضافة لعشرات المليارات خسائر غير مباشرة..
-اطلاعنا على هذه الأرقام المهولة ألا يستوجب التخزين بالذاكرة واستذكارها للوقوف الدائم إلى جانب غزة وأهلها؟!!

-المصادر: الجزيرة نت، المكتب الإعلامي الحكومي، السوشال ميديا..

اخترعوا وفرضوا "الكارثة والبطولة" - وننحت ونفرض العِرقبادة والطوفان

د. مكرم خوري-مخّول
أكاديمي وباحث سياسي فلسطيني - بريطانيا

كانت قد عقدت الزبدة الفكرية للحركة الصهيونية في أوروبا في منتصف القرن العشرين اجتماعات عصف ذهني للوصول إلى معادلة تمزج ما بين التضحيات اليهودية خلال الحرب العالمية الثانية والضحايا اليهود في «المحرقة النازية»! المعضلة التي كانت أمامهم، وذلك بعد أن قام أكاديمي يهودي أوروبي بانتشال مصطلح الهولوكوست من اليونانية القديمة ليُحفر كمصطلح ثابت لما حصل لليهود في أوروبا في الحرب العالمية الثانية، أو ما أسماه هيتلر بـ «الحل النهائي» Final Solution

المؤرخ اليهودي بن تصيون دينور عام ١٩٤٢ أطلق مصطلح «الكارثة» في مطلع الخمسينيات تم تبني المصطلح «هولوكوست» الذي استحوذ عليه أكاديميان اثنان كانا: الأول إسحق هرتسوغ الرابي الأشكنازي (اليهود الغربيين) والثاني الرابي السفرادي (الشرقي) يعقوب ماير - راباي - حاخام - عام ١٩٣٨. وهكذا وفي محاولة مدروسة من الحركة الصهيونية ومنذ 1948 وما قبل (تسمية محرقة أوروبا بالهولوكوست وهي كلمة يونانية Holokauston وتعني حرق الأضاحي وتقديمها للآلهة وقيام أكاديمي يهودي آخر وذلك بعد أن درس قضية إبادة الأرمن من قبل العثمانيين حيث تمت إبادة نحو ربع مليون أرمني، وهو الأكاديمي والمحامي اليهودي البولندي رفائيل ليمكين (1900-1959) بنحت مصطلح الجينوسايد (الإبادة) مطلقاً حملة إعلامية واسعة لتبني المصطلح ولكي يتحول المصطلح ومعانيه الإبادية إلى ميثاق واتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والتي لاحقاً أصبح بالفعل ميثاقاً قانونياً، هي التوفيق ما بين الكارثة التي حلت بهم وبين البطولات اليهودية التي حصلت بالمقابل.

وبينما ارتكزوا على أسلوب صقل السردية للاستعمال الذاتي والاستحواذ على العقول والسيطرة على الرأي العام العالمي فقد قرروا إحياء ذكرى الكارثة والاحتفال بالبطولة في نَفَسٍ واحد ودقيقة واحدة.

تذكرت هذه المعادلة التي لطالما شاهدتها عبر العقود وكيف أنهم يحيون ذكرى الكارثة والخسارة من جهة ومن جهة أخرى يحوّلون هذا الفقدان إلى طاقة أمل واحتفال، مُطلقين على ما أصابهم بـ «الكارثة والبطولة: «شوأه وغفوراة»! שואה וגבורה.

نقفز عن ثمانية عقود استطاعت فيها الحركة الصهيونية إدارة العقول والسيطرة على النفوس وممارسة العبودية الفكرية على غالبية الأوروبيين وحشرهم في خانة: الشعور بالذنب؛ وعدم التفوه ضد اليهود: والخوف من انتقاد الاحتلال الإسرائيلي والسكوت على جرائمهم. وكانت آخر حادثة (يوم ٢٤ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٢٤) هي الهجوم الفوري الشرس للإعلام الصهيوني على مرشحة الرئاسة في الانتخابات الأمريكية كامالا هاريس لكي توضح متراجعة أنها لا تعتقد أن «إسرائيل تقترف الإبادة»!

نترك هذا جانباً مؤقتاً لأجل التقدم في الادعاء لنعبر عن مشاهدتنا لظاهرة التخبط اللاعقلانية (عكس التخبط العقلاني) في التصرف الاجتماعي التعبيري اللغوي لبعض الشرائح العربية صاحبة النوايا الحسنة والمناصرة للقضية الفلسطينية على وجه التحديد والمقاومة بشكل عام نتيجة المحنة النفسية التي تعيشها هذه الشرائح المُخلصة في الأمة العربية والتي تتسبب بها جرائم العِرقبادة (الإبادة الجماعية والتطهير العرقي) الصهيونية التي تقترفها الحركة الصهيونية العالمية - المتمثلة في الاحتلال الإسرائيلي - لما تشعر به (هذه الشرائح) من ثِقلٍ وقهرٍ نتيجة عواجل الأخبار التي تضعها غالباً في خانة الإحباط الناجم عن عدم استطاعتها التأثير على مجريات الأمور.

نُشير إلى أن هذه الشريحة تُركز بارتباك: تارة على المعاناة التي تتسبب بها عصابات القتل الصهيوني والخسارة البشرية والفقدان لفلذات الأكباد الفلسطينية واللبنانية من جهة، مُعبرة عن الممارسات الإجرامية لعصابة نتنياهو في حق الضحايا، بأوصاف إنسانية أحياناً بمصطلحات صحيحة واحيانا مغلوطة وأحياناً متناقضة؛ وما بين حاجتها النفسية - الإعلامية لإبراز البطولات ألـ ما بعد الأسطورية لحلف المقاومة عموماً وجبهات المقاومة على وجه التهديد والمقاومتين الفلسطينية واللبنانية على وجه التحديد.

لم تخترع الحركة الصهيونية (وهي منتوج رأسمالي غربي) مصنع نقش المصطلحات. فإن المصطلحات إما أن تكون موجودة ومستعملة أو موجودة ومنسية أو غير موجودة فيقتضي نحتها.

منذ الأيام الأولى وعندما ما زالت الأمور ضبابية كتبت مقالة نُشرت سبعة أيام بعد عملية "طوفان الأقصى" – "طوفان القدس"، تحت عنوان: "المستهدف ليس المقاومة وحماس.. إنه مشروع لإنهاء كل فلسطين».

وأوردنا في تلك المقالة أن ما اقترفه الاحتلال الإسرائيلي من جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية في قطاع غزة الفلسطيني في منتصف تشرين الأول/ أكتوبر 2023 بعد عملية "طوفان الأقصى" ليس رد فعل على عملية عسكرية غير مسبوقة وإنما لأهداف أوسع من القضاء على المقاومة الفلسطينية عموماً، وحماس على وجه التحديد. وأن ما يطمح الاحتلال لتنفيذه ويجند له رؤساء الغرب الجمعي الاستعماري في إطار حملة دعائية شديدة هو تغيير جغرافيا فلسطين، بل العالم العربي بالكامل. وأن ما يقوم الاحتلال بتسويقه في الإعلام هو أنه يريد القضاء على "الإرهاب". ولكي يفعل ذلك، فهو لا يريد قتل أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين الغزيين (رغم أنه يدك بهم بأسلوب الإبادة باستمرار وبالتقشير عبر العقود لأنه مهووس بالمسألة الديمغرافية). لذلك، "يطلب" منهم الرحيل جنوباً بشكل "مؤقت" لغاية إتمام المهمة، فيما الهدف "هو خداعهم" بأنهم سيعودون، فيما المخطط لهم هو ألا يعودوا أبداً (كما حصل في نكبة 1948)، وأن يتموضعوا في شمال سيناء بشكل دائم كجزء من مصر (التي يخطط لها أصلاً مشروع تقسيم آخر).

في الواقع تنفذ إدارة عصابة الاحتلال الصهيوني جريمتين بالتوازي. قبل غزة ومنذ ذروة النكبة (1947-1949) نفذوا التطهير العرقي والمجازر بالتقسيط. منذ مطلع تشرين الأول 2023 أخذ الاحتلال يقترف جريمة التطهير العرقي بكثافة وبسرعة جنونية فائقة (تهجير إثنية معينة- الفلسطينيين الغزيين- من بقعة جغرافية معينة: من غالبية شمال ومنتصف القطاع وإلى الجنوب بهدف التهجير القسري إلى سيناء)!

إضافة إلى ذلك ومنذ منتصف أكتوبر 2023 ينفذ قائد العصابة الصهيونية أيضاً، الإبادة الجماعية المقصودة والممنهجة. ولذلك وبما أن نحت المصطلحات هو جزء من صراع القوة الفكري والقانوني والإعلامي والتاريخي، وبعد مرور ثلاثة أشهر، ننصح بعدم استعمال مفردات "عقاب جماعي"؛ "الصراع المستمر"؛ "الحرب المستعرة"؛ "عدوان" وإلخ وإنما بضرورة أدلجة وتربية شعوب العالم على ما يجري وذلك لتبني روايتنا. لأن القانون الدولي يشمل تعريف لهذه الجرائم. وبما أن ما يرتكبه الاحتلال الصهيوني هي مجموعة جرائم وبمركزها التطهير العرقي والإبادة الجماعية فقد نحتنا مصطلح "العرقبادة».

ولذلك نعرض مصطلحاً جديداً ليشرح باختصار ما يقترفه الاحتلال الإسرائيلي في قطاع غزة : وهو مصطلح العرقبادة والتي تُنفذ ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة والمصطلح هو جمع لجريمة التطهير العرقي والإبادة الجماعية في مصطلح واحد.

إذا كنت مع قطاع غزّة الفلسطيني المُستنزف حتى تجفف الدم، فلا يمكنك استخدام عن قصد أو من دون قصد؛ عن جهل أو شطح، رواية الاحتلال ومصطلحاته وتسمّي بسهولة (وبشحطة قلم) وأحياناً من دون تفكير، الجرائم المُقترفة من جانب نظام المجرم نتنياهو في قطاع غزّة بـ «الحرب»!

بالتأكيد، تتابعون الكارثة التي تجري في قطاع غزّة على كل شاشاتكم، صغيرة كانت أم كبيرة، أم أن قسماً منكم وصل

إلى مرحلة الإشباع المرير وتوقف جهاز أعصابه عن التحمل؟

هل ما زلتم تشاهدون القتل الممنهج للأطفال وطحن جثثهم بالجرافات؟ وهدم المستشفيات على من فيها من طواقم طبية ومرضى؟ وقتل النساء وتجريف عظامهن بعد يومين؟ الدفن في لا مقابر؟ وتسطيح غالبية قطاع غزّة وسرقة الركام بما فيه من جماجم لإقامة مخطط الرصيف المخادع؟ هل ما زلتم تراقبون تجويع السكان وتعطيشهم؟ وقتل وشطب عائلات فلسطينية بأكملها؟ وقصف وتدمير مبان تراثية ثقافية ودينية (كنائس ومساجد وجامعات) ومسح الحضارة وتحويل قطاع غزّة إلى معسكر قتل وموت بالإبادة؟ لن أطيل عليكم فقائمة الجرائم أطول ما حصل في التاريخ المعاصر، وبالتأكيد منذ قرن وأكثر. هل لدى الفلسطينيين سلاح بحرية؟ أم سلاح جو؟ أم سلاح مدفعية ودبابات ومنظومة صاروخية متطورة وأخرى لإسقاط صواريخ الاحتلال لكي تطلقوا عليها اسم «حرب»؟

هل لدى الفلسطينيين جيش نظامي تراه يحارب «جيش» الاحتلال، كما هي الحرب بين روسيا وأوكرانيا؟ هل هذه حرب؟

والحركة الصهيونية تسمّي جرائمها بـ «الحرب»، وذلك لخداع الرأي العام ومحاولة الاستحواذ على العقول لإيجاد قاعدة مناصرة لروايتهم المختلقة، وتصوير نهبهم لأرضنا وسلبهم لتراثنا كصراع «شرعي» بين حقّين. هكذا يتقبل العالم رواية من يسبق في كتابة التاريخ لكي يتحول النهب والقتل، وذلك بعد عملية التضليل الإعلامي وضخ «أسطورة الحياد» وتحويلها إلى وجهة نظر وليس كقضية حق عادلة يجري فيها الصراع بين القاتل والضحية، بين السارق والمنهوب.

إذاً، وكما ذكر المؤرخ والفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو(1926-1984) فإن الحقيقة موجودة بوفرة ويجب معرفتها (في حالتنا، حقيقة أنها ليست حرباً وإنما تطهير عرقي وإبادة جماعية)، ومع ذلك، فإن العقل البشري لدى بعض الناس، ولأسباب عديدة تتراوح من مستوى التثقيف والعلم والتخصص وإلى أسباب ذاتية غير موضوعية وأحياناً أنانية إضافة إلى تأثير عدد من الكبت والعقبات النفسية الأخرى، لم يتمكن من رؤية الحقيقة بعد، رغم أنها حوّلت لون غروب الشمس فوق بحر غزة إلى دموي قاتم.

وبما أننا نرفض تقبل حقيقة ما نشاهد عبر الشاشة بهذا الكم وهذه الكثافة من الجرائم ضد المدنيين الفلسطينيين، والتي زعزعت أركان إدراك كل إنسان أخلاقي، فإننا نرفض أن نكون سلبيين كسولين أو خاملين مهزومين نبتلع أساطير الصهاينة، تلك الأساطير الوهمية والمحبوكة بمكر إجرامي، وأن نسمح لها أن تمر من أمامنا لتهبط في النخاع الشوكيّ العربي كما حصل في الماضي. ولذلك، علينا محاربتها وفضحها وعدم التوقف عن تعميمها ونسبها إلى مقترفيها. أفادتنا وسائل الإعلام أنه ورغم الدعم الألماني الإجرامي للاحتلال الصهيوني، فقد صرخت وزيرة الخارجية الألمانية في مكالمة مع السفاح نتنياهو عندما أنكر إحداث مجاعة في قطاع غزّة.

وعليه، وبما أننا نرى أن السردية والمصطلحات هما عمود أساسي من حرب النفوذ والقوة والوجود، فقد قررنا ألّا نترك الساحة لسرديتهم المقززة، واقترحنا بعد البحث والدراسة استعمال مصطلح «العِرقبادة « (العرق: من التطهير العرقي وهي جريمة محددة؛ وإ / بادة، من «إبادة جماعية» وهي أكبر الجرائم وقد تداولت محكمة الجنايات الدولية فيها بإسهاب عند استماعها للطاقم الجنوب أفريقي في لاهاي «العِرقبادة « بالإنكليزيّة: CleansOcide (Ethnic Cleansing & Genocide).

نشير إلى أنه عندما اقترح الراحل الدكتور قسطنطين زريق مصطلح «النكبة» في كتابه «معاني النكبة»، كتب في المقدمة: «لا أدّعي أني في هذه الدراسة المقتضبة لمحنة العرب في فلسطين، قد اخترعت البارود (أو بلغة هذا العصر القنبلة الذرية) أو أني اكتشفت الدواء الشافي لعلاتنا جميعاً»! لم يعرف الدكتور قسطنطين أن عملية تبني مصطلح «النكبة» ستكون تدريجية وستدخل سجالات مريرة تستمر لعقود، وعبر العقود ستُشن حروب المصطلحات والمفاهيم والتي بدورها ستستمر لعقود إضافية.

إن التداول بالمصطلحات واختيارها ليس ترفاً أو هواية. إنها جزء من مصير الشعب الفلسطيني وحياته ومستقبله. إنها مسؤولية أخلاقية ومهنية في غاية الأهمية. فها نحن ما زلنا نصارع حتى بعد مرور 8 عقود على الكارثة الفلسطينية لنعرّفها بـ «النكبة». وحدث ذلك في صيف 2023 عندما رفض متحف بريطاني وضع مصطلح «النكبة» في موقعه الإلكتروني عندما نظّم معرضاً عن التطريز والأثواب الفلسطينية.

وبما أن الاحتلال يمارس دوماً «صناعة المعرفة الصهيونية» وينظم مجموعة مصطلحاته للضخ الإعلامي، وبما أنه مبني على أيديولوجية كولونيالية استغلالية رأسمالية لقهر الشعوب الأصلية التي يحتلها، نشير إلى أن هذه «الأيديولوجيا» هي بمنزلة منظومة أفكار استعلائية وسياسات فاشية وتصرفات إجرامية تحتاج إلى رواية تشمل السردية واستعمال مصطلح «حرب» في وصف ما يقترفه الاحتلال، وعلينا رفض تزوير الماضي والحاضر والمستقبل وكتابة التاريخ بمصطلحاتنا.

بما أننا نتابع عواجل الأخبار أيضاً ولا نتعامل بها، ولكن نتعامل بما تعنيه في المدى القصير والمتوسط والبعيد - نستطيع مشاهدة اللغط الحاصل وتفكيكه والسؤال: ماذا سيبقى لنا على صعيد حرب المصطلحات ومعركة السردية وكتابة الذاكرة والتي كلها ستُسخر في المستقبل القريب وللأجيال القادمة والتي ستكون بحاجة إلى شن الغارة الإعلامية السياسية القانونية الشعواء ضد الحركة الصهيونية العالمية بعبارات مختصرة صائبة ترفع جملة دفاع دعائي؟ كتلك التي يستعملها اليهود: الكارثة والبطولة - لكي نقترح من طرفنا زوج من العبارات :

العِرقبادة والطوفان. وهكذا سنعترف بالأسى والخراب ونفتخر بالثبات وبالمقاومة.

إسرائيل نحو محطة أخرى ...!

أكرم عطا الله ـ كاتب صحفي فلسطيني ـ بريطانيا

أصيبت إسرائيل بالسعار.. هذا هو الوصف الأكثر ملاءمة لدولة تلقت تلك الضربة في روحها لتصاب بما أصيبت به من جنون وزعت شظاياه على كل الإقليم كأزعر الحي الذي تلقى ضربة ففقد صوابه. والكارثة أن لا أحد مستعد لوقفه بل إن الدولة المؤهلة لوقفه هي من تقف خلفه وتلك مأساة البشرية التي وضعت مركز ثقلها لدى دولة تأسست على قيم طرد الهنود الحمر أصحاب الأرض الأصليين وإقامة دولة لمجمع المهاجرين على أنقاض مجتمعاتهم وحضارتهم.

لن تنتهي هذه الحرب قبل أن تكون إسرائيل قامت بضرب المشروع النووي الإيراني إلى هذا الحد وصل بها الأمر هذا المشروع الذي يشكل القضاء عليه حلماً تاريخياً لبنيامين نتنياهو الذي يعتبر أن إيران طوقته بحزام ناري جسدته هذه الحرب بل اعتبر أن ضربة السابع من أكتوبر هي ضربة إيرانية هكذا قال للرئيس الروسي بوتين في أول مكالمة بعد الحرب وعاد مكرراً لحظة ضربت مسيرة قادمة من لبنان قائلاً «إيران حاولت اغتيالي .»

غزة التي تعرضت ولا تزال لإبادة لم يعد اتهام العالم بالصمت يشكل قيمة إضافية في المقالات لدى عالم أكثر تواطؤاً مما كنا نعتقد وانتقل إلى لبنان ليستخدم أحدث ما لديه ليضرب البنايات والمدنيين والبنية التحتية. والآن إيران التي يعتبرها رأس الأخطبوط حيث يقول لا جدوى من ضرب الأطراف دون الرأس هكذا في ظل دعم أميركي عير مسبوق بات مستعداً للذهاب نحو إحراق المنطقة حتى دون حساب قدرة إسرائيل على الذهاب إلى هذا الحد خاصة بعد تمكن الصواريخ الإيرانية من اختراق الدفاعات الإسرائيلية والوصول نحو القواعد العسكرية والجوية .

أرسلت الولايات المتحدة منظومة ثاد وهي الأكثر تطوراً في المنظومات الدفاعية على مستوى العالم لأنها أدركت أن رئيس وزراء إسرائيل لن يفوت تلك الفرصة التي توفرت له بتحقيق حلمه الذي حاول خلال عقدين من التحريض مدركاً أن القوة الإسرائيلية وحدها لا تفي بالغرض محاولاً جر الولايات المتحدة لضرب إيران وقد جاءته اللحظة فهل يدعها ؟

جنرالات إسرائيل يحذرون ما سيلحق بإسرائيل التي تشعل هذه الحرائق ليس فقط إسحق بريك الذي درج منذ بداية الحرب على دعوة إسرائيل للكف عن الجنون لكن ينضم إليه الجنرال غيورا ايلاند صاحب خطة الجنرالات التي تقضي بتفريغ شمال غزة يطالب نتنياهو في مقال نشره في صحيفة يديعوت بضرورة وقف الحرب .

كلفة الحرب التي توسعت لا تستطيع دولة مثل إسرائيل تحملها ويتوقع المراقبون أن تصل حتى نهاية العام إلى 250 مليار شيكل أي ما يقترب من 70 مليار دولار في دولة بلغت موازنتها لهذا العام 138 مليار دولار أي نصف موازنة الدولة وهو رقم لا تستطيعه أية دولة ناهيك عن هروب الاستثمارات والشركات العاملة ورؤوس الأموال ما دعا الكاتب ناتي توكر أن يكتب في الملحق الاقتصادي لجريدة هآرتس مقالاً بعنوان «نتنياهو يجب أن يقرر: إما السعي لإنهاء الحرب أو تدمير اقتصاد إسرائيل» لأن مواصلة الحرب كما يقول لها ثمن اقتصادي باهظ، ارتفاع آخر في نفقات الدفاع، عجز عميق، ارتفاع نسبة الدين، هرب المستثمرين وانخفاض الأرباح الشخصية لمواطني إسرائيل .

لا يراهن أعداء إسرائيل على الإنهاك الاقتصادي والأزمة التي ستتضح بعد انتهاء الحرب لكن الفكرة بدولة لا تكف عن الصراعات وربما أن إطالة أمد الحرب سيؤدي بالتدريج إلى ما يمكن وصفه ضرب النموذج، أو الفكرة بالاستقرار أي الروح التي قامت عليها الدولة روح العمل والأمن الشخصي والمال والرفاهية فإسرائيل في هذه الحرب واستمرارها تكون قد غادرت كل تلك .

لا يعني هذا أن الإسرائيليين سيحزمون حقائبهم سريعاً ويرحلون كما يصور البعض ربما هذا كان ممكناً قبل عقود ولكن مع نمو آرثوذوكسية دينية تعتبر وجودها شريعة دينية وتدفع ثمناً للتقرب للرب وتسمي من يسقطون شهداء على طريق الدين والأرض المقدسة يصبح الأمر بحاجة لقراءة أخرى ولكن في المقابل فإن تلك الآرثوذوكسية التي تستعد لحروبها الدينية إلى ما لا نهاية هي ما سيكتب نهاية إسرائيل التي لا تستطيع الاستمرار إلى ما لا نهاية فبعد عام من الحرب بدأت تعلو أصوات الفزع الاقتصادي وإنهاك الجيش الذي يقاتل منذ عام وإنهاك المجتمع ولكن السؤال كيف ستحارب تلك الأرثوذوكسية التي تمنع أبنائها من الالتحاق بالجيش وتعتبر أن قراءة التوراة أهم من الخدمة العسكرية ؟

بعد هذه الحرب ستجد إسرائيل نفسها دولة منبوذة مثقلة اقتصادية ومحملة بالشرور والعنف والكراهية داخلياً وخارجياً سيتفتت المجتمع الإسرائيلي أكثر فقد جاءت هذه الحرب لتضفي على الصراع الذي كان قائماً قبل الحرب بعام في الشوارع والاحتجاجات جانباً من العنف والكراهية ولدته أحداث الحرب ومع الكارثة الاقتصادية ستكون إسرائيل على مفترق الطرق الذي سيأخذها نحو المكان الذي رسمته لها حتمية التاريخ .

الكيان وحرب الإبادة و طعنات «أهل البيت»

إسحق أبوالوليد - كاتب سياسي فلسطيني /فنزويلا

إن إعفاء العدو من المسؤولية عن المجازر وحرب الإبادة التي يشنها على شعبنا في غزة ولبنان، عدا عن أنها تواطؤ مع العدوان هي تشجيع للعدو على الاستمرار في المذبحة والأخذ بيده للإفلات من العقاب القانوني الذي تعمل أطراف صديقة ومؤيدة لنضال شعبنا على اجراءه وتنفيذه. نعم، أن المواقف التحريضية على المقاومتين الفلسطينية واللبنانية، من قبل إعلاميين ووصحافيين وكتاب ومؤسسات إعلامية عربية موالية أو تابعة للعدو، هي دون أدنى شك ليس بجديدة، وتأتي في إطار منظومة سياسية أيديولوجية رجعية متكاملة داخل وخارج مؤسسات الحكم في بعض البلدان العربية وخاصة النفطية، تكونت وترعرعت منذ أن وكلها الاستعمار إدارة «مصالحة» بعد رحيله الشكلي ومنحه شبه استقلال لمستعمراته. اذا، هذه الأنظمة ومن يدور في فلكها، لها دور وظيفي تكميلي في المخططات الإمبريالية، بل إن وجودها بحد ذاته خاضع لما تمليه المصلحة الاستراتيجية للدول الاستعمارية، التي غيرت شكل الاستعمار، من مباشر احتلالي عسكري إلى غير مباشر أو ما يعرف بالاستعمار الجديد. هذا التغير فرضته التطورات والتحولات الدولية منذ بدايات القرن العشرين، وتصاعد نضالات الشعوب من أجل الاستقلال، مما فرض على الدول الاستعمارية أن تهيء بديل الحكم الذي يملأ الفراغ قبل «رحيلها»، ينفذ مشيئتها ويخدم، «مصالحها» الاقتصادية والأمنية والعسكرية.

في المقابل، تم قمع واضطهاد وتعذيب وقتل كل من استمر في النضال من أجل إنجاز الاستقلال الحقيقي ومن أجل السيادة الوطنية والقومية. وكون إقامة « اسرائيل « في فلسطين جاء لتلبية حاجات النظام الرأس مالي العالمي وتلبية للمصلحة القومية البريطانية ومن ثم الأمريكية، وقفت الأنظمة الرجعية العربية إلى جانب المخططات التي تسمح بأحكام السيطرة الإمبريالية على المنطقة وتواطأت مع الحركة الصهيونية لإقامة « دوله لليهود « في فلسطين. هذه الأنظمة تآمرت، وما زالت تتآمر، على شعب فلسطين وعملت على محو هويته من خلال محاولات دمجه في شعوب المنطقة ومنعه من النضال لتحرير وطنه، بل وإنكار حقه في المقاومة والنضال لاسترجاع أرضه و وطنه. جاء هجوم السابع من أكتوبر المجيد، الذي نفذته المقاومة الفلسطينية بقيادة كتائب القسام، المخطط ودماغ هذا الهجوم، ليؤكد من جديد على هذه الحقيقة التاريخية التي أنكرها أو تنكر لها العديد من القوى السياسية العربية والفلسطينية. وقد وصلت الوقاحة والخيانة عند وسائل الإعلام النفطية المأجورة وعند بعض الكتاب السياسيين والحكام المأجورين، بمن فيهم أركان سلطة رام الله، لاتهام المقاومة « أنها من أعطت الذريعة « للكيان الصهيوني، وهي سبب ما يحدث من دمار وإبادة لغزة وجرائم في لبنان، وأن المقاومة أعطت الذرائع لإسرائيل لتشن حربها الدموية الإبادية، في محاولة لتضليل بعض القطاعات الشعبية الفلسطينية والعربية والتساوق مع الرواية الصهيونية، بل ومساعدتها على فتح ثغرات في السياج الإعلامي العالمي الذي التف حول الرواية الفلسطينية بعد سقوط الأقنعة عن وجه هذا الكيان الصهيوني الاستعماري وايديولوجيته

الفاشية العنصرية الإبادية الإحلالية.

أن الحركة الصهيونية العالمية وبدعم بريطاني شامل، شنت حرب إبادة على شعبنا من أجل إقامة دولة لها على أرض فلسطين، وطبعا بدون أية حجة أو ذريعة، مارست الإبادة ضد الوطن نفسه وضد الشعب الفلسطيني، لتقيم على أنقاضه، بعد تدمير البنيه الاجتماعية والسكانية والاقتصادية والجغرافية والتاريخية للشعب الفلسطيني، ما سمي «بالوطن اليهودي و دولة اسرائيل «. لقد قامت العصابات الصهيونية، التي شكلت لاحقا ما سمي « بجيش الدفاع الاسرائيلي « الذي لم يتخلى أو يتنكر يوما لماضيه الإجرامي، بمذابح ومجازر في ما سمي « بحرب الاستقلال « حيث تم قتل أكثر من ٣٠ ألف فلسطيني أي ما يقارب ٣% من مجموع سكان فلسطين في ذلك الوقت ، وتم تدمير ومسح أكثر من ٦٥٠ قرية وبلده عن وجه الأرض وتم تهجير أكثر من 88% من السكان الأصليين، و صل عدد شهداء الشعب الفلسطيني أكثر من ١٤٠ ألف حتى السابع من أكتوبر. نعم، من هنا إذا تبدأ الحكاية وليس من الثامن من أكتوبر تاريخ بدأ حرب الإبادة التي ما زال ينفذها الكيان الصهيوني، انسجاما مع الإستراتيجية الاستعمارية الإحلالية التي لا يحتاج لأي مبررات لتنفيذها.

إن الحروب والمجازر والقتل والتهجير لم تتوقف يوما، منذ إقامة هذا الكيان حتى الآن ليس فقط في فلسطين بل في كافة الدول العربية المحيطة بفلسطين. الحجة كانت وما تزال جاهزة: الرد على « الإرهابين والمخربين الفلسطينيين « أي ضد الفدائيين والثوار الفلسطينيين والعرب الذين كانوا ينطلقون من أراضي دول عربية مجاورة لقتال العدو الغاصب وخاصة بعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ وانطلاق الثورة المسلحة، في إطار حرب التحرير الشعبية، التي أحد أهم إنجازاتها أنها فرضت بقوة السلاح والتضحيات وجود الشعب الفلسطيني وهويته على معسكر الأعداء. ومن المهم التذكير أن هنالك استراتيجية ثابتة عند العدو، بغض النظر عن الزمان والمكان، تهدف إلى ضرب الحاضنة الشعبية الفلسطينية والعربية، من خلال ارتكابه للمجازر ضد هذه الحاضنة، في الأردن وفي سوريا وفي لبنان ومصر وأبعد من ذلك في تونس والسودان وكل هذا كان يتم بذريعة الدفاع عن النفس أو ما يسميه العدو استراتيجية « الحرب الوقائية ومكافحة الإرهاب «.... حتى جاء السابع من أكتوبر المجيد.

في السابع من أكتوبر، قلب الهرم وتغيرت المعادلات العسكرية والسياسية. حيث لأول مرة في تاريخ حرب التحرير الشعبية الفلسطينية، تختار المقاومة بتخطيط ومبادرة من قيادة « القسام « اللحظة الحاسمة لتنفيذ هجوم أجهز على ما يعرف بكتيبة غزة في وقت قياسي لم يتوقعه حتى المخططين للهجوم. هذا الهجوم نقل حركة المقاومة والنضال الفلسطيني من مرحلة الدفاع الإيجابي إلى مرحلة جديدة أعلى أي مرحلة الهجوم الاستراتيجي. وضعت القدم على طريق التحرير الفعلي. هذا الهجوم الجريء والتاريخي، الذي كلف العدو خسائر بشرية عسكرية هائلة وشكل له هزة معنوية عميقة وأربك استراتيجيته التي تقوم على مبادئ عسكرية لا يتمتع بها إلا هو والتي يمكن تلخيصها بالحرب المفاجئة الوقائية الخاطفة، التي ينفذها في « أراضي الغير « وتضمن له التوسع الجغرافي، تماشيا مع مبدأ أن حدود « اسرائيل « يرسمها بصطار جيشها وحيث يقف جنودها. هذه الاستراتيجية عطلها هجوم السابع من أكتوبر تماما، و وضع الكيان وجها لوجه مع أزمته الوجودية التي ما زالت تدب الذعر في قلوب المستعمرين الصهاينة.

أن الطبيعة التكوينية للكيان الصهيوني المادية والنفسية، التي تقوم على الإبادة العرقية وإنكار وجود شعب فلسطيني له حقوق تاريخيه في وطنه، فلسطين، لا يمكن تغيرها أو تبديلها بطبيعة أخرى، لأن هذا أن حدث (افتراضيا) سينهي الصهيونية كأيديولوجية تحتاج إلى دولة لتجسيد أهدافها المادية. من هنا وبسبب القلق الجدي بعد السابع من اكتوبر، على وجود دولة « اسرائيل « هب الصهاينة، وليس فقط اليهود، من كل حدب وصوب ومن كل أصقاع المعمورة بمن فيهم الصهاينة العرب والفلسطينيين للدفاع عن الكيان الصهيوني وتباعاً عن ايديولوجيته الفاشية العنصرية الاستعمارية.

أن الاعتراف أنهم يخوضون حرب وجودية، جاء تحت وطأة ضربات المقاومة وصمود الشعب، ويتناقض جذريا مع كل ما كان يبث وينشر من قبل الصهاينة أنفسهم، أنهم « دوله قامت لتلبي ضرورات تاريخية, وتحرر اليهود من عداء الآخرين وتعيدهم لوطنهم التاريخي أرض إسرائيل، وأن دولتهم محصنة فكريا وأخلاقيا بل هي واحة الديموقراطية في وسط عربي ديكتاتوري متخلف وأن مشكلتها ليس مع الفلسطينيين بل مع محيطها العربي، الذي يجب أن تعمل معه لتحقيق دمجها فيه « وهنالك للأسف من صدق هذه الرواية واستسلم لها (السادات أولاً) وفتح الأبواب العربية لدخول الكيان منها منتصرا، الذي عمل مع أسياده الإمبرياليين لتغير ديموغرافية وجغرافية وطننا العربي بما ينسجم وطموحاته ورغبات الإمبريالية، التي تعمل دائما على تحديث وسائل نهبها لخبرات المنطقة العربية. أيضا، هنالك من ذهب أبعد من السادات وقال عن « إسرائيل « أنها وجدت لتبقى (محمود عباس) وإن التنسيق الأمني معها ومن أجلها مقدس. أن من دافع عن « اسرائيل « في أوقات السلم، وحارب، ليس فقط، كل من هيأ واستعد للعمل العسكري ضدها بل رفض فكرة النضال العسكري المسلح وأي نضال ثوري ضدها وضد الاستعمار الامبريالي، لن يكون موقفه في أوقات حرب التحرير الحقيقية، مغايرا لمواقفه السابقة في أيام « السلم «.

هذا بالطبع ليس حرصاً على سلامة الشعب وسعادته ولا حزناً على ضحايا حرب الإبادة، ولا عفة وطهارة، بل حرصاً على مكتسبات وملذات وامتيازات السلطة التي يمنحها لهم العدو المستعمر المحتل.. أما من يتماشى مع هذه الروايات من الكتاب والمحللين إما مضللين من ويعملون على تضليل غيرهم وأما منتفعين من حاشية «السلطان «.

عام على الطوفان:
أبجديات اليوم التالي العربي

د. وسام الفقعاوي ـ رئيس تحرير مجلة وبوابة الهدف السابق ـ غزة

شكل طوفان الأقصى الفلسطيني؛ أكبر وأوسع وأشمل هجوم تعده وتقوم به، إحدى حركات التحرر الوطني الفلسطيني، ممثلة بحركة حماس، بحيث فرض الطوفان معادلات جديدة على صعيد الوضع الفلسطيني، ومنه إلى العربي، الذي كشف عن مستوى ما وصلته أنظمته من تخاذل وتآمر وتحالف مع العدو، من جهة، ومستوى قدرة قوى المقاومة الشعبية، أن تترجم وحدة ساحاتها في الإسناد والمواجهة المفتوحة معه، من جهة أخرى؛ بالتزامن مع عودة السجالات الفكرية وخطابات التقاذف الطائفية والمذهبية، وكأنها ما تزال بكرًا في تربة خصبة لم يَكفِها أربعة عشر قرنًا من التطاحن الفتنوي، إلى ما رسخه؛ أي الطوفان، من عودة الصراع إلى جذره الأساسي مع المشروع والوجود الصهيوني الذي يسبق وجوده الفعلي وحدد طبيعة الراهن العربي، الذي شرط القدرة على مواجهته وتحقيق الانتصار التاريخي عليه؛ مرهون برسم أبجديات يوم عربي، يقطع مع الرسم الاستعماري - الصهيوني - الإمبريالي الغربي... ويصيغ معالم طريق لغدٍ عربيٍ حرٍ ومزدهرٍ.

الأيديولوجيا والسياسة الصهيونية: مَن مرجعية مَن؟

تضفي طبيعة الصراع وخصوصيته بعدًا جديدًا للمفاهيم - السياسات المتداولة حوله، وهنا تبدو حاجة للتذكير بأن خصوصية الصراع تعود إلى طبيعته، بوصفه صراع وجود ويقوم منذ البداية على قاعدة النفي والنفي المضاد. وعلى هذا الصعيد، فإننا لا نتحدث عن أهداف أو شعارات سياسية، بل عن جوهر الصراع وأساسه الموضوعي والأيديولوجي، أكثر من ذلك مبرر الوجود أصلًا. وبهذا المعنى؛ فلعلنا بفعل الأيديولوجيا والممارسة الصهيونية أمام نموذج فريد في التاريخ،

حيث يتوقف وجود ذات معيّنة على نفي الآخر، وأن الوجود يكتمل باكتمال نفي الآخر، ما يستدعي إلقاء الضوء الكافي على حقيقة أخرى من حقائق الصراع وهي أنه من طبيعة تاريخية شاملة، وبناء عليه؛ فإن من اِعتقد أن «الخيار الأسوأ قد وقع» وأننا «وصلنا قعر الهزيمة - الاستسلام» أو وصلنا إلى نهايته بالضربة القاضية، خاصة بعد الولوج الرسمي الفلسطيني والعربي في نهج التسوية، من بوابة اتفاقات مدريد - أوسلو وصولًا إلى أبراهام وما قبلهما وما بينهما، وما ترتب عليها، من محاولة «لإنتاج عربي/فلسطيني جديد»؛ فقد جاءه هجوم/نصر السابع من أكتوبر؛ ليعيد تشكيل بديهة واضحة، أن باب الصراع لم يُقفل، وما يزال مفتوحًا على مصراعيّه، وأن الفلسطيني والعربي كذلك، لا يتجدد إلا في إطاره وبالمعنى الإيجابي للكلمة، ووصول الصراع إلى مرحلة الاحتدام التاريخي؛ بضرب أسس المشروع والوجود الصهيوني وإصابة الذاتية الصهيونية في مقتل، وكشفه في المقابل عن مستوى فاشية السياسة والأيديولوجيا الصهيونية، بحرب الإبادة الجماعية والتطهير العرقي المستمرة في قطاع غزة؛ بحيث تضعنا هذه الحرب أمام مهمة؛ تتجاوز بذل الجهد لإدراك قوة إسرائيل العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية، إلى محاولة التعرف أكثر على ماهية إسرائيل؛ المشروع والتجربة، ليس لناحية ميزان القوى فحسب، بل وهنا الأهم، لناحية المرجعية الفكرية للمشروع والتجربة والممارسة الصهيونية.

لقد جرى تاريخياً؛ إيجاز «إسرائيل» بوصفها باطل ولكن قوي، وأننا حق ولكن ضعيف، هذه قراءة الأغلبية الكبيرة لهذه المسألة، وبناء عليه، كان التشديد على ضرورة استحقاق الحق وإنجاز توازن مفقود بين القدرات والرغبات، وبين الواقع والأيديولوجيا؛ توازن لا يخفي قناعة، بأنه لن يتحقق إلا عبر تنشيط الواقع من ناحية، وكبح الأيديولوجيا من ناحية أخرى وصولًا لقرار سياسي مناسب، لكن قراءة العدو/إسرائيل لنفسها، وكما تدل الممارسة، هي أن الصراع هو بين حق وباطل، ولكن مع تعديل باتجاهين: أن الحق لها وأنه من طبيعة إلَهية.

لا يَطرح ما تقدم، مكانة الأيديولوجيا في حياة «إسرائيل»، بل طبيعة الأيديولوجيا ودورها في تحديد وجود وماهية إسرائيل؛ فإذا كانت العلاقة بين الأيديولوجيا وبين الواقع عندنا، قامت على قاعدة الكبح المتبادل - التناقض، إن بفعل الجهل أو بحكم طبيعة الأمور واتساع الفجوة على نحو هائل بين الرغبة والقدرة، فكان الكبح والتناقض؛ فالأمر يختلف بالنسبة «لإسرائيل» التي وعى قادتها وعلى نحو مبكر، حقيقة المسافة الشاسعة بين الواقع والأيديولوجيا؛ الرغبات والقدرات، ووعوا كذلك أهمية إقامة علاقة إيجابية بين البعدين المشار لهما ومن ضمن سياسة بعيدة المدى وتراكمية هدفها جسر المسافة محل التناول، والحصيلة؛ علاقة تحفيز متبادل بين المادي والأيديولوجي، كانت نتيجتها إعادة إنتاجهما وعلى نحو أكثر قوة ومغالاة ووحشية وفاشية لم يشهد مثلها العصر الحديث والمعاصر. طبعًا، ليست «إسرائيل» هي الدولة الوحيدة في العالم التي تؤمن بأيديولوجية ما، ولكن الحقيقة هي أنها نموذج الدولة الأيديولوجية، وحيث تقوم الأخيرة على أُسس إلهية؛ أيديولوجيا لا تقدم تبريرًا أو تؤسس لشرعية الدولة وضرورة قيامها فحسب، بل تعود لتتوسل إمكانات الأداة التي أنتجتها، لإعادة إنتاج نفسها؛ أي الأيديولوجية، في حيز الواقع. بكلمة أخرى، لقد أطلقت الأيديولوجية مشروعًا سياسيًا ما إن وجد طريقه في حيز الواقع وحقق نجاحًا، إلا عاد ليحرر الأيديولوجيا من قيود الواقع وعلى نحو متسارع بلغ حد الانفلات والجنون من وجهة نظرنا، ولكنه تطبيق لوعد - إرادة إلهية من وجهة نظر أصحابها..!

يسود بيننا مفهوم مُعزز بالممارسة، يقوم على أن الأيديولوجيا والكلام والوعود السياسية شيء، والسياسة قيد الممارسة شيء آخر، هذا الشائع لا ينطبق على «إسرائيل»؛ الدولة الأيديولوجية التي لا تستطيع أن تكون إلا مع نفسها؛ مع ماهيتها؛ مع أساس وجودها المستند لأيديولوجية تقوم على حق إلهي من ناحية وميزان قوى من ناحية أخرى، يُلبي نزوعها للتجسّد والاكتمال في حيز الواقع. ولعل هذا، بين عوامل أخرى، هو ما يؤكد الطبيعة المفتوحة للصراع، وبالتالي استمراريته وتجدده انطلاقًا من عاملين هما: العدو الساعي لتحقيق نفسه وممانعة ومقاومة الضحية، إن في بحثها عن حقوقها المسلوبة أو وجودها الراهن؛ المهدد تحت وقع المقتلة والإبادة الجماعية. وبهذا المعنى، فإن أي نجاح في منع العدو من استكمال أهدافه المعلنة والكامنة، أي القدرة على الدفاع، إنما هو برهان على وجود الهدف محل سعي العدو للإلغاء أو النفي، ليس ربطًا بنزعات توسعية في المشروع الصهيوني، بل بحكم طبيعته وماهيته القائمة على أن تحقيق المشروع الصهيوني لذاته هو بمقدار إلغائه للآخر، الذي هو وفق الأيديولوجية التوراتية، ليس إلا غريبٍ ومعتدٍ على حق إلهي لإسرائيل في الأرض ومن عليها. لا يفسر لنا هذا شراسة العدوان واستمراره فحسب، بل اعتبار أي وجود غير يهودي فوق «أرض إسرائيل»، بمثابة خطر وجودي على المشروع الصهيوني نفسه، ومن هنا أَعلنَ قادة العدو، بعد السابع من أكتوبر، بأنهم يخوضون إلى جانب حرب الوجود؛ حرب تأسيس دولة إسرائيل الثانية، وتغيير وجه الشرق الأوسط.

نخلص في ضوء ما تقدم، إلى التأكيد على طبيعة مشكلة «إسرائيل» وخصوصًا لناحية أنها ليست معنا فقط، بل هي مع ذاتها وتعود أصلًا لمحاولة إعادة إنتاج الواقع لِيُناسب الأيديولوجيا وليس العكس. وبناء عليه، ضرورة تجديد مفهومنا للصراع وأسبابه المباشرة تبعًا لكل مرحلة،

وهو الأمر الذي يستدعي التدقيق في مسألة هامة ألا وهي: هل إسرائيل ونحن بدورنا أمام مشكلة تاريخية تعود لـ 1948 أو 1967 أو 1978 أو 1993 أو 2023؟ أم أننا أمام مشكلة موضوعية متجددة، ليس ربطًا باستمرار ذيول المشكلة التاريخية فحسب، بل استنادًا إلى أسباب جديدة هي نِتاج استمرار المشروع الصهيوني في محاولة استكمال نفسه أيضًا؟

يعيدنا ما تقدم، إلى فكرة مركزية؛ مفادها إحالة كافة الممارسات والنتائج السياسية، وبغض النظر عما إذا كانت سلبية أو إيجابية، إلى جذورها - مرجعيتها الفكرية، وفي الحالة قيد البحث، فإن ما يجب أن لا يغيب عن الذهن ولو للحظة أن مرجعية الصراع مع العدو/إسرائيل هي الأيديولوجية الصهيونية، التي عدَّها القرار الأممي 3379 المُلغى بقرار أوسلوي فلسطيني: «بأن حركتها عنصرية، ويجب مقاومتها بالقوة المسلحة» وأن ما عدا ذلك، من ترجمات عملية إسرائيلية أو ردود فعل فلسطينية أو عربية على هذا الصعيد، ليست إلا تداعيات منطقية - موضوعية، لمرجعية الحدث الفكرية، أي الأيديولوجيا الصهيونية والديناميات التي أطلقتها وتطلقها باستمرار. وبناء عليه؛ فإننا عند التقييم والتقدير والتقرير، لا بد وأن ننطلق، ليس من هذا الحدث السياسي أو ذاك مهما كان كبيرًا وما قد يؤشر عليه باتجاه أو آخر، بل من المرجعية الفكرية للعملية برمتها؛ عدا ذلك يوقعنا في خطيئة النظرة المقلوبة للأمور، وإحالة السياسة العليا للسياسة الجارية وليس العكس؛ والأخطر أن نُحملَ الذات/المقاومة مسؤولية الحدث، هنا تأتي مكانة الأيديولوجيا الصهيونية بوصفها مرجعية السياسة العليا، ومكانة الأخيرة في تقرير السياسات الفرعية والجارية، ولعل السؤال: ما مبرر العودة لهذه البديهة الفكرية؟

إن حسم هذه الإجابة/النقطة، هو الذي يعيد المسائل إلى استقامتها ويوضح ما الذي يريده العدو، وما الذي علينا عمله؛ فمع إعادة المسائل إلى جذرها الفكري، لا نعود أمام أي شك حول عناوين بارزة، من نوع: مفهوم المشروع الصهيوني، بالمعنى الحصري للكلمة، أي نزوعه، بحكم طبيعته، للتوسع واستكمال نفسه، وهو ما يعني أن باب العدوان/الصراع مفتوحًا على مصراعيه، ومتجددًا وكأنه بدأ للتو، أما محل العدوان/الصراع وهدفه فهو وجودنا بكامله، وعلى قاعدة مسعى العدو لنفينا؛ المادي والمعنوي، كخيار وحيد لتأكيد ماهيته وتحقيق حضوره - وجوده. وهنا ثمة حاجة ضرورية للتوقف عن كذبة أطلقها العدو وجرى الترويج لها؛ فصدقها من صدقها، وروج لها بيننا من روج؛ كذبة نجد تلخيصًا لها في سؤال حول: من بدأ العدوان؟ والطرف الرئيسي فيه؟ وحقيقة اللاعبين على مسرح التاريخ السياسي للمنطقة؟ واختلاط الأدوار وتداخلها، بل انقلابها، حيث تقمص الذئب ثوب الحمل وأعطانا نحن مَظهَر الذئب ودوره (حيوانات بشرية ودواعش، حسب قول قادة العدو بعد هجوم 7 أكتوبر)؟ سؤال قد يبدو للبعض غير ذي أهمية وهو: مَن ضد مَن؟ هل نحن ضد إسرائيل والصهيونية؟ أم أن إسرائيل والصهيونية ضدنا، ومن هنا بدأت الرواية إلى لحظة/مرحلة الاحتدام التاريخي للصراع القائم على أرض فلسطين ومجمل مساحتها؟

ينفع هذا التأكيد - التساؤل الأخير في تشكيل أساس مواجهة سياسية - فكرية - أخلاقية - إعلامية ناجحة، ضد العدو وحلفه المعادي، والمثقفين والكتبة الذين ينطلقون من ذات القاعدة، الذي طالما استثمر، وعن غير وجه حق؛ صورة الضحية التي قدم نفسه من خلالها؛ ناهيكم عن صورة دولة المساواة والديمقراطية والتقدم، في حين أن إسرائيل/العدو، إن بحكم الأيديولوجيا التي تستند إليها أو بحكم ممارساتها/وحشيتها/فاشيتها، هي ربما؛ آخر النماذج في العالم للدولة الأيديولوجية، على نحو رسمي ومعلن ومشهود، وحيث مفهوم الدولة مُستغرق في مفهوم الأيديولوجية القائمة على أسس دينية وعرقية - عنصرية في آن؛ باتت صورتها تلك واضحة، حتى في أكثر الدول الغربية ديمقراطية، التي عَجَت ساحاتها وميادينها كما جامعاتها بالموقف المعادي للصهيونية وذراعها إسرائيل.

عندما نقدم الأيديولوجيا على الواقع: يغيب العقل

لا أسعى هنا إلى عقد مقارنات بين تيارات فكرية - سياسية، لإبراز مترتبات الاختلاف بين مناهج التعاطي، على فهم طبيعة الصراع واستطرادًا على كيفية إدارته وتوفير مستلزماته، وهذا ما يعيدنا إلى مسألة بسيطة وإن كانت على قدرٍ عالٍ من الأهمية وهي: هل الصراع الذي دار ويدور هو بين حق وباطل؟ أم أنه بين قوي وضعيف؟

تنبع أهمية السؤال المطروح من مترتبات الجواب على الخطوات واجبة الإجراء، وخصوصًا لناحية سد الفجوة المطلوب جسرها، والتي هي فجوة مُركبة، بل ملتبسة، وإن كنا لم نُعر ذلك يوماً الأهمية التي تستحقها. ينبع الالتباس من أن الفجوة هي لصالحنا، كما نعتقد على الأقل، حين يُنظر للمسألة من زاوية قضايا الحق والباطل، ولكن الأمر ينقلب كليًا حين تتم الأمور انطلاقًا من قانون القوي والضعيف. في هذا السياق، تأتي مكانة القول بـ «استحقاق الحق» الذي يحتاج بدوره، على ما يبدو، لتحديد دقيق: هل يكون استحقاق الحق بمزيد من التمسك به وبرهنته، ربطًا بمقولة أن الصراع يجري بين حق وباطل فقط؟ أم أن استحقاق الحق يكون بجسر الفجوة في ميزان القوى وتمليك الحق قوة يحتاجها ليصبح واقعًا أيضًا، وذلك انطلاقًا من حقيقة أن الصراع يجري بين قوي وضعيف فعلًا، وهذا دور القوى والأحزاب السياسية التي تخوض/تنطلق من كونها حركات تحرر وطني، ألا وهو تسعير التناقضات/الصراع مع العدو، وليس تحفيز وتسعير التناقضات الفكرية والسياسية في داخلها/ذاتها/حركتها/شعبها؟

ولو أوجزنا لقلنا: أن طبيعة الصراع وإدارته لا بد وأن تتم انطلاقًا من مفهوم صحيح وشامل للصراع وبوصفه بين حق ضعيف وباطل قوي، وأن هدف أي إدارة للصراع لا بد وأن ينصب على كيفية جعله يدور بالمعنى النسبي، بين حق قوي وباطل ضعيف في أحسن الحالات، وبين حق أقل ضعفًا وباطل أقل قوة في أسوأ الاحتمالات.

إن مصدر الانتهازية ليس في التمسك بقانون الحق والباطل، بل في سوء استخدامه وابتذاله، في التذبذب بين القواعد تبعًا لاعتبارات ذاتية، ليس أقلها إعفاء الذات من عمل الشيء المطلوب؛ ما دام الصراع بين «حق مطلق» و»باطل مطلق».. وهنا نجح التيار الأيديولوجي الديني في الساحة الفلسطينية، ممثلًا بوضوح في حركة حماس؛ أي (الرجعيين والظلاميين والمرتبطين بأجندة التنظيم الإخواني)، كما نقول نحن التقدميين والمتنورين والملتصقين بقضيتنا الوطنية والممثلين لها..! وهنا لا تعود المسألة مسألة انتهازية أخلاقية وفكرية فحسب، بل مسألة سياسية من الدرجة الأولى وما يترتب على ذلك من حالة تشويه تاريخي لطريقة إدارة الصراع؛ تستجيب لمقتضيات الصراع والقواعد التي يجري بناء عليها في حيز الواقع، وهنا استطاع التيار الأيديولوجي/حركة حماس، التي أطلقنا عليها كل الأوصاف السابقة، في فهم دوره كحركة تحرر وطني، وأن يستجيب لمتقضيات الصراع ويجسر الفجوة المتسعة بينا وبين العدو، في حين تسمّر البعض من التقدميين والمتنورين، ليس من هول صدمة ما جرى يوم السابع من أكتوبر وبعده، بل كونه يفضح؛ الفهم الحقيقي لإدارتهم للصراع واستحقاقاته؛ دون أي انفصال مُفتعل عن كل التضحيات الكبيرة والجسيمة التي قدمها هؤلاء، وهنا أَفصِلُ تمامًا بين مواقف القوى والفصائل التي اتخذت موقفًا داعمًا ومشاركًا في هجوم/نصر 7 أكتوبر، وبين بعض القوى التي اتخذت موقفًا مضادًا، سواء لأسباب سياسية أو أيديولوجية، وكذلك بعض المواقف التي صدرت على ألسنة المثقفين والكتبة، ممن يحبون أن ينعتوا أنفسهم بالواقعيين أو الموضوعيين، وأكثريتهم بالطبع من تيار التسوية الواقعي والموضوعي أيضًا..!

من نافل القول، إنني أتبنى المفهوم العلمي لتعبير «واقعي - موضوعي»، الذي يتسع للتاريخي والأيديولوجي والمعنوي كما للمستقبلي والمادي، وفي معرض الصراع وطبيعته الوجودية مع العدو، لا يكون للواقعية أو الموضوعية، أي دلالة حقيقية إن لم تكن ثورية، أما غير ذلك؛ فهي وقوعية وموضوعية استسلامية - انتهازية، ليست للواقع وميزان القوى والتنظير للتسوية فحسب، بل قد تُوصل لشرك الوقوع في رؤية/مواقف العدو، من حيث يحتسب المرء أو لا يحتسب، وهذا بدوره يضعنا أمام مسألة غاية في الخطورة والأهمية، وضرورة وعيها، وهي أن التناقض البارز على هذا الصعيد وعلى نحو ما ذُكر أعلاه، هو التناقض داخل الذات الواحدة، حيث يقوم بعض ما، بتشويه ما عداه بدلًا من التكامل - التفاعل الإيجابي معه، والحصيلة؛ انقسام الضمير الجمعي والفردي - الشخصية الجمعية والفردية بين اليقينيات - الأبعاد المختلفة، التي وإن طغى أحدها، لكنه ولأسباب موضوعية لا يستطيع إلغاء ما عداه، بل قمعه أو كبته، مع ما لكل ذلك من مفاعيل تدميرية، وهذا أمر مارسه الجميع بلا استثناء، وبتفاوت بالطبع له علاقة؛ بمحددات القوة والسطوة الجماهيرية وامتلاك السلطة ومقدراتها المادية والمعنوية.

يكمن فيما تقدم؛ أخطر أشكال التشويه والقمع وأكثرها شمولية ومأساوية، حيث تتكفل الذات الواحدة بتدمير نفسها - شل فعاليتها؛ بعد ذلك، لا توجد أية غرابة في ظهور نتائج تتراوح بين انعدام تراكم الطاقات وتكامل الجهود والانفصال وعدم التواصل، وبين مشاريع حروب أهلية مُعلنة أو مضمرة، كبيرة أو صغيرة لا فرق، داخل الذات الجمعية أو داخل الذات الفردية. والحال هذه، لا نعود أمام خطأ فكري أو نفسي أو سياسي أو أيديولوجي، بل أمام كُلفة اجتماعية - وطنية غير قابلة للتعويض؛ خاصة وأن القوى الأبرز حاليًا في المجابهة مع العدو الصهيوني، هي التيارات الدينية السياسية، وهنا يقع جوهر التقاطع بين التيار الديني والتيارات القومية والوطنية ذات الطبيعة العَلمانية التي ترى بفلسطين قلب العروبة ونبضها، وكموازٍ مقدس لمكانة فلسطين، عند الإسلام والمسلمين؛ يلتف حول هؤلاء، بل ويعبرون عن قاعدة جماهيرية واسعة لها كل الأسباب التاريخية والراهنة؛ الفكرية والمادية والمعنوية، لإسناد نفسها حين تساند الطروحات الفكرية القائمة، على مبدأ صراع الحق والباطل؛ الخير والشر وترجمتها السياسية من فعل مباشر؛ نجد تعبيرًا لها في كل ذلك الترحيب الذي لقيه ويلقاه أي عمل يُلحق الضرر بالعدو ويعبر عن ممانعة ومقاومة جدية له.

لعل اللازمة التي تتكرر بشكل ثابت وعن حق، هي ضرورة إحالة مشاكل وأزمات الشعب الفلسطيني لجذرها السياسي والعدوان الذي واجهه ويواجهه... هذا صحيح، ولكنه قدر الشعب الفلسطيني ومحل صراعه، وهنا تقع مسؤولية العامل الذاتي في مفاقمة أو مواجهة الحال الذي يتعرض له عبر أشكال شتى؛ منفردة أو مجتمعة من إبادة وتطهير واستئصال واقتلاع واستلاب وتبديد وجود وإلغاء هوية وتفتيت... إلخ، من أوصاف لم تطلق عبثًا. وعليه؛ فإن الفرضية محل الاختبار هي دور العامل الذاتي في تخفيف أو تسعير وضع الأزمة التي يعيشها الشعب الفلسطيني، والذي أبدى ويبدي قدرًا عاليًا من الممانعة الطبيعية، فإنه ينتظر من تعبيراته السياسية وما زال، أن ترتقي نحو إدارة صراع يصل بهذا الشعب إلى أهدافه، لكن ما جرى هو إبراز عوامل

تعدد أبعاد شخصية المجتمع كمتناقضات وتحول بفعل ذلك، إلى ازدواجية سلبية داخل الذات الواحدة التي صار عليها أن تنقسم بدل أن تتوحد وذلك بفعل تحفيز الأدوات السياسية التي توسلت التناقضات لتبرير وجودها، مع أن مبرر وجودها هو حل التناقضات لا تسعيرها، وحفظ التوازن بدلًا من التسبب في مزيد من الاختلال والمواجهات، غير المبررة داخل الذات الواحدة، وهذه وقع بها الجميع أيضًا، بلا استثناء، وهذه هي حصيلة إسقاط الذاتي على الموضوعي والأيديولوجيا على الواقع الذي تعرض منطقه الداخلي الموحد والمتماسك لتفتيت وتجزئة وتوزع يقينيات وشرعيات جزئية ومعادلات نصفية؛ تولف من الواقع والأيديولوجيا ما يناسبها؛ مدعيّة أنه كامل الحقيقة وصافي العقيدة.

وفي النقطة المحددة، أي وضع التيار الأيديولوجي، فإننا لا نقف أمام مجرد تجربة أخرى، بل أمام واحدة من ثلاث خيارات خاض الشعب الفلسطيني نضاله في العصر القريب تحت لوائها؛ قد تعني التجربة المحددة، ظاهريًا اسمًا أو آخر، ولكنها في الجوهر تجربة وطنية، حتى وإن سجلت على التيار الأيديولوجي، ولا يخطئ من يلخص بها تجربة الإسلام السياسي كما يصر بعض كثير؛ بينه من يحتاج إصراره لحذر كبير واستجلاء متأن جدًا عند التعاطي معه والنظر إليه؛ حذر يصل درجة الريبة، مع غير دليل على أن هنالك من لا يريد قراءة تجربة، بل تصفية الحساب معها. هنا، يمكن أن يتشعب النقاش، ولكن يهمنا أن نؤكد على التالي منه:

(أ) مكانة الأيديولوجيا كمبدأ والإسلام على وجه الخصوص كبعد تكويني في الشخصية الجمعية الفلسطينية وبالتالي فهو شأن وطني، مسؤولية الجميع والتقدميين العَلمانيين خصوصًا؛ حفظ مكانة هذا البعد بالغ التأثير والأهمية في صراع جارٍ يحتاج أكثر ما يحتاج الكف عن النفاق الحضاري والتوجه للصراع الحضاري، عبر تجسيداته الواقعة عيانًا.

(ب) ضرورة تقديم نموذج علمي وأخلاقي لقراءة تجربة المنافس/الخصم السياسي، ليس احترامًا لمبدأ النزاهة الفكرية والأخلاقية فحسب، بل أيضًا تجسيدًا للبعد الوطني لتجربة الآخر، الذي إن سمحت له ذهنيته الانتقائية والشعبوية بتعميم الجزء على الكل وادعائه احتكار تمثيل الأيديولوجيا ومعها الدين، فإنه لا يجوز لمنافسه، مع توفر القدر المطلوب من الوعي والمسؤولية أن يستكمل انتقائية الآخر؛ فيقوم بإسقاط كامل الأيديولوجيا.

(ج) بناء عليه، يمكن القول أن تجربة «التيار الأيديولوجي» قد بدأت ملتبسة وقد تنتهي «مأزومة»، إن لم تكن هي فعلًا كذلك، ليس لأنها أيديولوجية أو إسلامية كما وصفت نفسها، بل من كون كل هذا لم يكن أكثر من إطار - عنوان عام؛ توسل ومنذ البدء ما يكفي من «الأيديولوجيا» السياسية والعملية السائدة، ومنها «أيديولوجيا» السلطة - القيادة التاريخية، لإعادة إنتاج الذهنية والممارسة الشعبوية التي تستهدف كسب التأييد السريع؛ أكثر مما تعبر عن رؤية تاريخية من طبيعة ملموسة، وهنا تأتي التباسات التأسيس وافتعال الفتنة الداخلية، قبل الانتفاضة الشعبية عام 1987، وطرح نفسه كبديل خلالها للكل الوطني، وصولا للصراع الدموي في السلطة وعليها، وتجربتها المريرة في السلطة، وموقع وثيقة 2017 التي تجاوزت من خلالها وقفية فلسطين إلى تجزئتها، وموقفها من بعض صراعات المنطقة... وبهذا المعنى، فإن قراءة منصفة ونزيهة لتجربة «التيار الأيديولوجي» هي في الجوهر خدمة للأيديولوجيا وحماية لها من «الأيديولوجيا» أيضًا.

ماذا يمكن أن نستنتج من كل ما سبق، وفي ضوء التجربة والحصيلة التاريخية المحققة؟

كانت الحصيلة أن تجربة مُركبة على أكثر من مستوى تاريخي وراهن؛ داخلي وخارجي؛ وطني وقومي، ممتد لفترة طويلة وخصبة، شهدت أكثر من تحول عاصف؛ أُخضعت لمحاكمة فكرية غير كفوءة، بحيث خلت من أي منهجية فكرية وأداة تحليل قادرة على استيعاب التجربة، في تحولاتها بالذات إبان الانتفاضة الشعبية الكبرى عام 1987 وما تلاها وصولًا لانتفاضة الأقصى التي تكرس خلالها فعلها المقاوم، وكان أحد الأسباب الأساسية في فوزها الشعبي الكاسح سنة 2007، والذي كان يُوجب تتبع صيرورة الحركة وأين غدت مواقعها ومطالبها الوطنية؟

للأسف كانت النتيجة؛ أن عاث البعض فسادًا، ليس في التاريخ فحسب، بل في الوطنية ذاتها، لذلك كنا دائمًا «نحن» ولا شيء غير ذلك؛ وإن كان من نقد هنا، فهو أننا كنا في مرحلة «قوميين» دون أيديولوجيا قومية وأصبحنا في أخرى «ماركسيين» دون أيديولوجيا ماركسية؛ كنا شيئاً من كل شيء: شيء من فروسية تراثية أخلاقية، وشيء من الجنون الطيب لكومونة باريس وعناق السماء، وشيء من حلم جميل كقوس قزح مصنوع من شمس ومطر؛ تراتبت ألوانه في الذاكرة الجماعية، عبر التاريخ؛ قديسين وشهداء؛ سلسلة طويلة لعل آخرها عز الدين القسام الخارج بإيمانه وحيدًا، إلا من بضعة رجال إلى أحراج يعبد؛ المبعوث حيًا، بعد نصف قرن باسم جيفارا وغابات بوليفيا وقبضة ناس؛ كان الهدف واحدًا: الحرية.

كنا «نحن» ولا شيء آخر؛ لنُعانق السماء يجب أن لا تكون أقدامنا راسخة في الأرض؛ ماركس ولينين يجب أن يكونا ضد عبد الناصر، وعبد الناصر يجب أن يكون ضدهما؛ الماضي ضد الحاضر، والتراث ضد العلم، وعز الدين القسام بمهابته وصرخته في أحراج يعبد التي تردد صداها في غابات بوليفيا على لسان جيفارا: قاتلوا حتى الموت؛ موتوا شهداء؛ عز الدين يجب أن يكون ضد جيفارا، وأشجار يعبد – فلسطين، يجب وبالضرورة

أن تتناقض مع أشجار بوليفيا..! كل شيء يجب أن يكون ضد كل شيء؛ أليس هذا قانون الانقسام مجانًا والقطع مع الواقع والتاريخ، وعدم معرفة كيفية إدارة التناقضات الأيديولوجية وأبعادها الاجتماعية – السياسية، خاصة في مرحلة التحرر الوطني؟

إن مصدر الثنائيات المتناقضة هو تناقض رؤيتنا الناقصة أو أوهامنا عن حقيقة الواقع وذاتنا، كما هي فعلًا، وهنا نبدأ سلسلة لا تنتهي من الفجوات بين القول والممارسة، بين ما ندعيه ونستطيع فعله، وبين الشكل والجوهر، بين التاريخ والواقع التي وظيفته أن يزعج نفسه قليلًا؛ فينبهنا حين يشاء وعلى حسابنا، إلى من نحن.

بدم بارد؛ انقسمت «العشيرة» بين عز الدين القسام وبين تشي جيفارا، وأُدخل هؤلاء، كما المسيح ومحمد إلى مزبلة الطائفية والمذهبية، والمرعيّة من الصهيونية والإمبريالية التي ضدهما الماركسية والقومية والوطنية، وتحولا إلى زعران مأجورين/أدوات عند قادة الميليشيا؛ المُقسمين بين ولاء إيراني شيعي وآخر كنسي ماروني؛ فأية ماركسية تلك التي وضعت عز الدين القسام في طرف وتشي جيفارا في طرف آخر ،وفي الوقت ذاته؛ وضعت المسيح في طرف ومحمد في طرف آخر؟! وأية قومية تلك التي يمكن أن تجمع بينهما، بعد أن فرقتهما، في عدم وعيها لشروط الوطنية الأولى؟! ألم يسمع أحد صوت التاريخ وهو يقول في ضوء التجربة السوفييتية: «إن عدم قدرة الأممية والقومية على التواؤم؛ جنون وجريمة»؟! وألم يسمع أحد أيضًا صوت التاريخ ذاته، وهو يقول: «من لم يكن وطنيًا جيدًا، لن يغدو قوميًا جيدًا»؟!

ولسوء الحظ؛ مارسنا الجنون والجريمة في آن، وفي الوقت ذاته، الذي أشعل العدو حرب الإبادة، أشعل البعض حرب: الحاضر – التاريخ؛ التراث – المعاصرة؛ الوطنية – القومية؛ القومية – الأممية، وتماسك عز الدين القسام وتشي جيفارا من لِحَاهِما وسبب الفتنة بينهما؛ قد يكون التجاوز على الوطنية وغباء بالقومية وجهل بالماركسية كأخلاقية ومنهجية فكرية، بحيث مارسنا الجنون والجريمة حين اندفعنا إلى أقصى حد مع ذهنية القطع والتفتيت وافتعال التناقضات وتحويل كل شيء إلى مجرد ثنائيات متناقضة؛ إن دلت على شيء؛ فإنها تدل عن غياب العقل أو تغييبه، لدرجة النفخ المدجج بسلاح الفتنة، فأي مستقبل سيكون لنا مع سلاح كهذا؟!

سياستي الدفاع والهجوم بين السجال الفكري والإسناد الفعلي:

في الوقت الذي انشغل البعض في إشهار سلاح «الفتنة» بين محاولات تطييف ومذهبة المقاومة من جهة، والتهمة الأيديولوجية من جهة أخرى، بحيث لم نكن أمام حوادث - أطروحات جزئية، بل أمام نسق كامل لا يترك مجالًا إلا ينعكس فيه ويتشظى عنه. ومع الأسف الشديد، فإننا لسنا في سجال فكري على الورق، بل اشتباك ودم وإبادة في حيز الواقع، حيث لكل كلمة ترجماتها العملية ومترتباتها التاريخية، كما كل رصاصة وقذيفة؛ انشغلت جبهات اسناد في سجال مختلف ونقيض تمامًا ومطلوب تمامًا وفي وقته تمامًا، لم يكن لديها من ترف وقتٍ، لتحاور الخصوم والأصدقاء والأعداء الداخليين بسلاح الفتنة حتى لو كانت الأيديولوجيا نفسها، كان هناك الأولوية التي لا تتقدمها أولوية؛ مواجهة العدوان والإبادة وحفظ الوجود، عندما تأخر المترفون طائفيًا ومذهبيًا وأيديولوجيًا؛ تقدم المدججون بسلاح وعي ضرورة أن يقفوا على جبهتي الدفاع والهجوم، ضد الأعداء الفعليين؛ استجابة لمقتضيات النقطة التي وصلها الصراع واحتدامه التاريخي في لحظة/حقيقة ما وضعه يوم 7 أكتوبر أمام العدو وأمامنا، وأن الصراع دار ويدور حول الوجود نفسه، الذي أُطلق العنان للعدو كي يتصرف قولًا وفعلًا على هذا الأساس، إن تجاه نفسه أو تجاهنا.

ولعل هذا بين أسباب أخرى هو ما يدفعنا لتأكيد الفكرة القائلة: بأننا لا نملك ترف الخطأ كما ترف الوقت، لأن نكون أمام سجال فكري واحد مدفوع من العدو وآخر مدفوع بالجهل وتغييب العقل، لأننا لسنا في وضع القادر على تحمل كُلفته لأنه يمس الوجود نفسه. وبناء عليه؛ كنا في كتابات عديدة سابقة؛ أكدنا وشددنا على مكانة الرؤية وضرورة الروية والدقة في تقدير الأمور وتقرير المواقف والتصرف بشكل يبقينا على أبعد مسافة ممكنة من الخطأ والمجازفة.

إن الخطأ بشأن ما تقدم، لا بد أن يكون مرافقًا أو حصيلةً أو تعبيرًا عن غياب سؤال فكري- سياسي أكبر، بل هو ألف باء أي فكر وعمل سياسي، عنينا سؤال: ماذا نريد؟ وبكلمة أدق، ما الذي تَسمح به المرحلة التاريخية المحددة؟

سؤال لا يُلقى جزافًا، ولا يحتمل أجوبة جزافية، ولا مجال بشأنه لأجوبة صحيحة خارج محددات قسرية نجد بينها: طبيعة المرحلة التي وصلها الصراع، وجوهره، وقانونه الناظم، وطبيعة ميزان القوى، والهدف/الأهداف الراهنة لطرفيه، والنقطة التي يقف عندها كل طرف... إلخ. من ناحية المبدأ وقول واحد، فإن الصراع يدور حول الوجود، ومن ضمن قانون القوة، وأنه بين قوي وإن كان على باطل، وضعيف وإن كان على حق، وأن ميزان القوى مختل تاريخيًا ويزداد تماديًا وأننا في وضع دفاعي، حتى ونحن نهاجم، فهذا هو دور حركات التحرر الوطني، عبر التاريخ ومنها، بل وفي صلبها حركة التحرر الوطني الفلسطينية، والتي لم نختلف على وسائلها الدفاعية والهجومية، إلا عندما اختلفت أجندة البعض السياسية، وأصبح مطلوبًا، أن يخضع الجميع لذات الأجندة.

ما يُؤسف له، أن تشويه المفاهيم قد طال كل شيء تقريبًا، أو هكذا المطلوب أن تغدو وتصبح أسيرة له الحالة الشعبية الفلسطينية، وأبعد منها العربية، حتى تلك

المفاهيم الإستراتيجية والأساسية، من تحرير فلسطين إلى دور الشعوب إلى دور حركات التحرر. وإن كان من داعٍ للمعايير القيمية والخجل، فليس كل ما حصل من سجال من طرف واحد؛ اتخذ أصحابه موقعًا وحددوه لأنفسهم، لا يعبر وبأي حال من الأحوال، عن أية سياسة دفاعية ادعوها؛ تارة باسم الوطنية وأخرى باسم الأيديولوجيا التي ليس فقط لا تستجيب لواقع الحال، بل هي بالضد من واقع الحال المطلوب تمامًا. وبناء عليه؛ فإن أبشع أشكال خداع الذات، هو الانصراف عن تغيير الجوهر - واقع الحال غير المناسب وعلى نحو صحيح، إلى الشكل - المسميات - الادعاءات لتغطية، ليس سوء واقع الحال الخاص بهم، بل سوء التعاطي مع واقع الحال الذي كان يستدعي من الجميع أن يتقدم بالكلمة والرصاصة معًا، ولم يختاروا – للأسف – موقع التقاعس عن بذل أي جهد مطلوب في المواجهة/الدفاع، بل تمادوا – إذا ما أحسنا النية - على من قام بالمهمة والجهد المطلوبين؛ فوقعوا «كما كل مرة»، بين تركيم العجز الذاتي ومحاولة تعميمه والفشل في القراءة الصحيحة للحظة التاريخية ومتطلباتها؛ لهذا وقعوا في وحل الهزيمة الفكرية والفعلية، والبعض الآخر يقاتل على الجبهات دون هوادة، وهنا كان موقع غسان كنفاني التاريخي، عندما حدد موقع من يقاتل ومن يخون..!

يمكن القول دون أي حذر: بأن الذهنية التي أقامت علاقة سلبية بين اليقينيات - الأبعاد الإيجابية المتعددة والتي لا حد لولعها في إثارة التناقضات هي الذهنية نفسها التي تفتعل تناقضًا بين سياسة دفاعية وأخرى هجومية وتُسقط الرغبات على الواقع أكثر مما تفعل العكس؛ فضلًا عن هذا وذاك فوضى المفاهيم والمعايير وانفصال الكلمات عن الواقع والشكل عن المضمون، والحصيلة فقدان الأساس الذي يمكن بناء عليه أخذ مواقف - سياسات مناسبة، وصولًا إلى فقدان الاتزان الذي جعل فرائص عقول مثيري التناقضات، ترتعد قبل أقدامهم، فمنهم من شكك في 7 أكتوبر كفعل كفاحي وجزء من دور حركات التحرر الوطني، ومنهم من قذف المقاومة وقواها بأقسى الكلمات الحارقة، غير آبهين بلون الدم المسفوك بقذائف الموت الصهيوأمريكية، ومنهم من رأى أن الأيديولوجيا لا تتفق مع الواقع الذي جعل «إسلاميًا» يتقدم اختراق حصون العدو، بين دفاع وهجوم، لم ولن تتقنه «أيديولوجيا»؛ تجمدت أو تحنطت، عندما لم تعد تتغذى من الواقع وتجدد ذاتها منه، وعندما غدت «الوطنية» في أحد جوانب تعريفها؛ التلاقي مع أهداف العدو والاعتراف به. هنا كانت ضرورة إزالة التخوم بين السياسة الدفاعية وبين السياسة الهجومية؛ ربطاً بمعايير وظيفية - علمية - موضوعية، وليست معايير أيديولوجية – قيمية، من قبل من وعوا شروط اللحظة التاريخية واحتدام الصراع المطلوب أن نُحمي سعير التناقض معه لا العكس، وهنا كان موقع لبنان واليمن والعراق وسورية وإيران وكل من وقف في هذه الجبهات/الجبهة وقواعدها، وفي مقدمتها الشعوب، مؤكدين بأن من لا يستطيع الدفاع عما لديه لا يستطيع الهجوم لأخذ ما له عند الآخرين، وأن أية سياسة دفاعية هي، وبحكم طبيعة المسائل ذات بعد - مضمون هجومي، وإن بالمعنى السلبي، لناحية مكانتها في إحباط مخططات العدو الهجومية، وعلى قاعدة أن كل فشل للعدو، سواء في دفاعه أو هجومه هو انتصار لنا بهذا المعنى أو ذاك... وهنا بالضبط، قدرة إدامة المعركة واستنزاف العدو وقدراته البشرية والمادية التي سيترتب عليها معاناة وآلام وتضحيات جسيمة، لم يبخل بها شعبنا أو تبخل بها أمتنا يومًا، على طريق الانتصار العظيم.

أبجديات اليوم التالي العربي: ماذا نريد؟

لقد درج سؤال دائم وبالذات على لسان وأقلام «الماركسيين»، كلما كانت الضرورة تفرض ذلك، وهو سؤال صحيح بالمناسبة: ما العمل؟ وفي كل مرة يعاد إنتاج ذات السؤال؛ دون أن يصل الجواب إلى مستقره، بحيث نجد أنفسنا أمام ضرورة طرح سؤال أولي، وهو: ماذا نريد؟ يقف خلف سؤال: ماذا نريد؟ تحديد لسؤالين من نحن؟ وماذا نُمثل؟ وهذين السؤالين لا يمكن موضعتهما بشكل صحيح والوقوف على إجابات سليمة لهما، إلا من بوابة فهم خصوصية «فلسطين» التي على ما يبدو وكما تقول مجمل الأحداث الجارية؛ تحتاج لإعادة موضعة فكرية – سياسية في مكانها الصحيح الذي عبثت به؛ عبثية الأفكار والممارسة، كما دور الأعداء في ذلك، حيث تؤكد الحصيلة التاريخية - الإجمالية للصراع على سلامة الأطروحة التي تذهب نحو تلازم السيرورة الفلسطينية مع سيرورة الوضع/«المشروع» العربي، وبمقدار ما يعكس هذا القول الواقع المحقق المنسجم ومكانة فلسطين في حياة العرب ومكانة العرب في حياة الفلسطينيين، فإنه يُظهر الأساس الموضوعي الذي استمد منه الحق الفلسطيني أطروحته القوية التي أعادته إلى مركز الصدارة/المركز، ليس عربيًا فحسب، بل أمميًا أيضًا، في مواجهة أطروحة مضادة كانت ترى العكس ونمت على تدرج لتندفع نحو الأمام بقوة الهزائم التي لم تنتج هزائم عسكرية – سياسية فحسب، بل التباسات فكرية، ربما كانت في نتائجها البعيدة أخطر من الهزائم العسكرية – السياسية أيضًا.

إن الحديث عن أطروحتين سياسيتين، هو في جوهر الأمر، حديث من ناحية عن أطروحة تاريخية؛ عكست وتعكس واقع فلسطين والقضية الفلسطينية موضوعيًا ومن ناحية أخرى؛ حديث عن أطروحة لا تاريخية ومن طبيعة تكتيكية؛ اعتمدت

على أخطاء عملية للأطروحة الأولى، أكثر مما شكلت نظرية جديدة أصيلة للصراع وبديلًا متماسكًا للأطروحة الأولى.

وبكلمة أخرى؛ قامت الأطروحة التاريخية على حفظ التناقض الرئيسي واحترام منطقه، في حين استثمرت الأطروحة التكتيكية على نحو فظ في التناقضات الثانوية، إن بين أطراف «المشروع» القومي أو البُعد المَرضي في العلاقات بين الوضع العربي ككل والفلسطينيين والذي أخذ لاحقًا شعار «القرار الوطني المستقل»؛ المبني على شعار «عدم التدخل في الشؤون العربية»، والذي استثمر تاريخيًا في شعار «يا وحدنا». لذا، لم يكن غريبًا أن تتوزع ممارسات الأطروحة التكتيكية وفقًا لاعتبارات فئوية - ضيقة، إن لم تكن صفيقة؛ حد الخديعة، حيث نجد الشيء ونقيضه في خطاب فضفاض يُلبي طلبات الجميع ورغباتهم ويتكئ على توليفة فكرية قادرة على تلبية اعتبارات الإعلام والمزاج الشعبوي؛ أكثر مما تعكس حقيقة التناقض الذي كان على أي أطروحة أن تقدم رؤية بشأنه. لقد جرى استبدال «النظرية» بـ «الانتهازية» والتكيف الذي وصل حد إعادة إنتاج الذات وأسس مشروعية سياسية وخطاباً يقوم أساسًا على القطع مع العرب والحرب الرسمية والسعي للتسوية... وصولًا لإهدار/اغتيال منظمة التحرير الفلسطينية، وتحويلها إلى مجرد «ختم» في قطار التسوية الأمريكية - الصهيونية.

كل ما سبق، لم يكن له أن يحصل، لولا أنه وعلى طول المسافة الممتدة منذ سنة 1948 – على الأقل - عمل الحلف المعادي بكامل أسمائه: الاستعمار والإمبريالية والصهيونية وربيبتها «إسرائيل» والرجعية العربية/أنظمة سايكس بيكو/الصهاينة العرب، من تصفية الحساب مع أخطر نتائج حرب 1948، أي احتلال فلسطين لحياة العرب ووجدانهم، بحيث صار الهدف: تحرير العرب من فلسطين، بعد أن كان الهدف سابقًا منع العرب من تحرير فلسطين.

ما تقدم تقاطع موضوعيًا مع أطروحة كانت موجودة قبل هزيمة 1967، ولكنها استفادت من الهزيمة لتُحولَ نزعة الشك إلى نوع من العلاقة المرضية - الثأرية بين العرب والفلسطينيين، وعلى قاعدة الخلط بين المبدأ وبين الفشل في تجسيده، بين فشل العرب في تصحيح خطأ التاريخ مع فلسطين وبها، وبين نجاح العدو في توسيع خطأ التاريخ ومد مساحة فلسطين - المأساة نحو مدى عربي أكبر بكثير من فلسطين الجغرافيا.

لقد أثبتت معركة طوفان الأقصى، وحرب الإبادة الجماعية والتطهير العرقي ضد قطاع غزة؛ صمود الأطروحة التاريخية؛ المرتبطة بالحصيلة التاريخية لخبرة الصراع في المنطقة وعليها، والتي صارت قانونًا عامًا لم يخرج عنه تطور الأحداث يومًا من الأيام وحتى اللحظة، ورغم كل الضباب الكثيف، فهناك ما يؤكد حقيقة واضحة وهي تلازم الخط الهابط لوضع القضية الفلسطينية، مع الانحطاط المتفشي في الحالة العربية، وعلى الجانب الآخر، فإن صمودًا أو إنجازًا أو اشتباكًا أو هجومًا أو دفاعًا هنا أو هناك يكاد يكون مرتبطًا بدرجة عودة الحياة للروح العربية، وهنا موقع فلسطين المطلوب تصفيتها، كي يتم القبض النهائي على روحها المتلازمة مع عروبتها.

من المهم هنا التأكيد بأن الأطروحة، ليست مسألة ديباجات لغوية، بل وعي لعناصر قسرية/موضوعية، يجب أن تُلحظ على نحو نظري وعملي. وبكلمة أخرى؛ فإننا لا نملك حق تلفيق عناصر الأطروحة كما نشاء، لأنها ملك الوقائع التي تصنع الفكرة - الرؤية - الأطروحة - المواقف... إلخ؛ بصناعتها من حروف الواقع وعلى نحو صائب، قبل أن تصاغ بحروف اللغة وعليه؛ فإننا حين نقرر سلامة الأطروحة الفلسطينية ربطًا بالعلاقة الصحيحة أو الصحيّة بين العرب وفلسطين، فإننا في الجوهر نقول بعلاقة صحيحة/ صحيّة/ طبيعية مع الذات ومع الواقع وحقائق الصراع.

لا يقوم القول السابق على افتراضات نظرية، ولا تتوقف مترتباته على سقوط أطروحة أو فكرة وصدقية أخرى، بل على واقع محقق له كلفة عالية جدًا؛ بكون الأطروحة توضع لتُنفذ في حيز الواقع الذي يعطي نتائج سلبية أو إيجابية؛ ربطًا بكيفية التعامل معه، وحين تسود علاقة غير صحيّة وغير صحيحة وغير طبيعية، فليس من الغرابة بشيء أن نكون أمام نتائج شاذة/مخالفة للرغبات الأصلية والتي نجد ترجمة حيّة لها في نقطة وصلها العمل السياسي الفلسطيني، تكاد تكون مخالفة كليًا للنقطة/الهدف الذي أراده عند البدء وهذا هو الشذوذ بعينه.

إن السؤال والحال هذه، يصبح حول لماذا عجزنا عن الارتقاء بالأطروحة والتجربة عبر تعميقها وتجذيرها، رغم أنها كانت قد وصلت إلى نقطة متقدمة؟

لا مجال هنا، لجواب صائب إلا عبر إعادة وضع المسائل على نحو أكثر دقة؛ فلقد اقتصرت النقطة المتقدمة محل الحديث على أطروحة نظرية وسياسية وتنظيمية؛ أكثر احترامًا لطبيعة الصراع وحقائق الواقع والوعي الذي صاغته التجربة الحسية، ولكنها لم تنضج على نحو كافٍ؛ فكريًا ومنهجيًا، بحيث تستطيع حماية أطروحتها في وجه الرياح العاتية التي هبت بفعل تكرار الهزائم، لذا وبدلًا من التجذر ووعي الوعي عبر المراجعة وإعادة التفكير، كان ما كان من ضياع فكري؛ يكمن خلف تلك الأزمات والتناقضات والانقسامات التي عاشتها الحركة الوطنية الفلسطينية وتجربتها المديدة، والتي كانت ستصل في 7 أكتوبر إلى انكشاف مأزقها التاريخي والذي وعيه، سيوصل حتمًا إلى أبجديات اليوم التالي العربي، وفي قلبه الفلسطيني والذي إما أن يكون يومًا ثوريًا أو لا يكون.

تقرير

ما الهدف الحقيقي من التصعيد الصهيوني في شمال غزة؟

سحر محرز ـ كاتبة صحفية سورية

في 1 أكتوبر/ تشرين الأول أصدرت سلطات الاحتلال الصهيوني أمراً بمغادرة نحو 400 ألف شخص منازلهم في شمال قطاع غزة، ومنعت المساعدات الإنسانية من الوصول إليهم، كما قامت بقطع شبكة الاتصالات والإنترنت بشكل كامل عنهم، جاء ذلك بالتزامن مع توسيع جيش الاحتلال لعملياته العسكرية البرية والجوية في مخيم جباليا شمال القطاع تحت ذريعة «منع حركة حماس من استعادة قوتها في المنطقة»، بينما يقول الفلسطينيون إن الكيان الصهيوني يرغب في احتلال المنطقة وتهجير سكانها.

حيث قدر مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية التابع للأمم المتحدة أن حوالي 50 ألف شخص تم تهجيرهم من جباليا خلال النصف الأول من شهر أكتوبر/ تشرين الأول بينما بقي آخرون محاصرين في منازلهم بسبب القتال العنيف الجاري حولهم. وحسب المكتب، توجد حوالي 84% من الأراضي اليوم تحت «أوامر إخلاء» من قبل جيش الاحتلال.

في حين نقلت وسائل إعلام صهيونية عن رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو أن إسرائيل تدرس خطة لاستخدام أساليب تفرض بموجبها حصاراً على حركة حماس في شمال غزة، وجاءت هذه التقارير نقلاً عن مصادر لم تكشف عنها من اجتماع مغلق لإحدى لجان الكنيست الصهيوني.

فما هي هذه الخطة؟ وما الهدف منها؟

هي خطة عسكرية اقترحتها مجموعة من الضباط المتقاعدين بقيادة اللواء المتقاعد «غيورا آيلاند» مستشار الأمن الوطني السابق على بنيامين نتنياهو في سبتمبر/ أيلول 2024، وتبناها عدد كبير من جنرالات الجيش لذلك سميت ب «خطة الجنرالات».

ووضعت الخطة بهدف تهجير سكان شمال قطاع غزة قسراً، وذلك بفرض حصار كامل على المنطقة، بما في ذلك منع دخول المساعدات الإنسانية، لتجويع من تبقى من المدنيين، وكذلك المقاومين ووضعهم أمام خيارين إما الموت أو الاستسلام.

وتضم هذه الخطة مرحلتين:

المرحلة الأولى: إخلاء شمال القطاع من السكان، الأمر الذي كان جزءاً من إستراتيجيات جيش الاحتلال منذ بداية الحرب في أكتوبر/ تشرين الأول 2023 وقبل وضع هذه الخطة.

حيث في نوفمبر/ تشرين الثاني 2023 أعلن جيش الاحتلال أن 95% من سكان الشمال نزحوا إلى جنوب القطاع، رغم أن الإحصائيات تقدر أن أكثر من 300 ألف فلسطيني لم يغادروا شمال القطاع حتى بعد عام من الحرب.

وبعد نزوح الفلسطينيين إلى جنوب غزة عبر طريق الرشيد مروراً بممر نتساريم «منطقة تمتد من الشرق إلى الغرب وتقسم القطاع نصفين»، وإخلاء المنطقة من السكان ستبدأ مرحلة تحويل شمال القطاع إلى منطقة عسكرية مغلقة.

المرحلة الثانية: تفرض الخطة حصاراً شاملاً على من تبقى في شمال القطاع إضافة لعزل المنطقة عن باقي القطاع، وذلك بمنع أي حركة دخول أو خروج منها أو إليها، ووقف المساعدات والإمدادات بما في ذلك الغذاء والوقود والمياه، واعتبار كل من تبقى أهدافاً عسكرية.

وتفترض «خطة الجنرالات» أن الحصار أكثر الحلول فاعلية لإنهاء الحرب وتقليل عدد القتلى من جنود الاحتلال الصهيوني، كما تقدر أن السيطرة على شمال غزة يمكن أن يدفع سكان المناطق الأخرى للانتفاض ضد حركة حماس، لكن هذه الخطة لم تؤدِ غرضها إلى الآن.

وفي السياق أكد نتنياهو أن الجيش يواصل عملياته في جباليا بشمال قطاع غزة بهدف تفكيك «معاقل حماس»، دون أن ينفي أو يؤكد تبني «خطة الجنرالات».

فيما يتساءل الناشطون عن ما إذا كان التصعيد الحالي هو تجربة لتطبيق خطة الفقاعات الإنسانية في شمال قطاع غزة، حيث كشفت صحيفة «وول ستريت جورنال» الأميركية في يونيو/ حزيران الماضي عن خطط تتعلق بمستقبل غزة بعد انتهاء الحرب يجري تداولها بين مجموعات غير رسمية تضم ضباطاً متقاعدين من الجيش الإسرائيلي والاستخبارات، ومراكز أبحاث، وأكاديميين وسياسيين، فضلاً عن مناقشات داخل المؤسسة العسكرية الصهيونية.

وحسب الصحيفة فإن من بين الخطط هناك واحدة تحظى بقبول واسع في الحكومة والجيش، تتضمن إنشاء «جزر» أو «فقاعات» جغرافية، حيث يمكن للفلسطينيين غير المرتبطين بحماس العيش في ملاجئ مؤقتة، بينما يواصل جيش الاحتلال مهمته المعلنة وهي «القضاء على حماس».

ونقلت الصحيفة عن مسؤولين إسرائيليين أن الخطة تهدف إلى «العمل مع الفلسطينيين المحليين الذين لا ينتمون إلى حماس، لإقامة مناطق معزولة في شمال غزة، حيث سيقوم الفلسطينيون في المناطق التي تعتقد إسرائيل أن حماس لم تعد تسيطر عليها، بتوزيع المساعدات والقيام بواجبات مدنية».

وذكروا أنه في نهاية المطاف سيتولى تحالف من الولايات المتحدة ودول عربية إدارة العملية، فيما سيواصل جيش الاحتلال محاربة حماس خارج الفقاعات، وسيعمل على إنشاء المزيد منها بمرور الوقت، مع تطهير المناطق من مقاتلي حماس.

في حين قالت صحيفة «يديعوت أحرونوت» الصهيونية 20 أكتوبر/ تشرين الأول إنه من المتوقع أن يناقش الكابنيت ويوافق على خطة تسمح بتوزيع المساعدات الإنسانية في شمال غزة، من قبل شركة أمنية أميركية، بملكية رجال أعمال إسرائيليين أميركيين.

وبحسب الصحيفة فإن الشركة التي من المفترض أن تتولى توزيع المساعدات هي شركة «GDC» المتخصصة في مجال المساعدات الإنسانية في مناطق الحروب والكوارث بناءً على الخبرة المكتسبة في أفغانستان والعراق وأوكرانيا، ويرأس الشركة «موتي كاهانا» المعروف بأنه من أنقذ آخر يهودي من أفغانستان وقام بعمليات إنسانية في العراق وسورية وفق تعبير الصحيفة.

وتتمثل خطة «GDC» في إنشاء مناطق إنسانية في غزة وسيتم تكليف جيش الدفاع الإسرائيلي بمهمة تطهير أي منطقة من هذا القبيل من الإرهابيين وإقامة جدار عازل في غضون 48 ساعة، وسيتم حظر الدخول إلى هذه المجمعات باستثناء السكان الذين يعيشون في الحي. والذين سيحصلون على إذن من خلال تحديد الهوية البيومترية.

وتوظف الشركة التي تعمل بموجب القانون الدولي مقاتلين سابقين في وحدات النخبة في الجيشين الأمريكي والبريطاني، بالإضافة إلى مقاتلين من جنسيات أخرى، ومن المفترض أن يقوموا بتأمين القوافل الإنسانية التي ستدخل كل منطقة، ومنع سرقة المعدات من قبل حماس أو الحصول على الحماية من قبل المجرمين، وستكون الشركة قادرة على البدء في العمل خلال 30 يوماً من لحظة الحصول على الموافقة وسيتم تكليف ذراعها الإسرائيلي بتنسيق النشاط مع جيش الاحتلال ومن بين الإسرائيليين المشاركين في المشروع اللواء «احتياط» دورون أفيتال، والعميد «احتياط» يوسي كوبر فيرس، والقائد السابق للبحرية الإسرائيلية ديفيد تسور.

وقدمت «GDC» الخطة إلى وزارة الخارجية والبيت الأبيض، وكانت على اتصال مع الأمم المتحدة والمنظمات الإنسانية، ومن المتوقع أن يأتي تمويل المشروع من أموال منظمة «GDC» وحكومة الولايات المتحدة والتبرعات من الخارج، وفي المرحلة الأولى سيبدأ النشاط في شمال غزة وترى الشركة أنها بحاجة إلى حوالي 100 شخص لتأمين حي واحد وهناك نية لتوسيع نشاطها لاحقاً إلى محور نيتساريم وفيلادلفيا.

أما عن الأسباب التي دفعت جيش الاحتلال إلى التصعيد الحالي في مناطق شمال غزة تحديداً، يقول خبراء في المجال العسكري والأمني إن مناطق شمال قطاع غزة تمثل أهمية كبيرة من الناحية السياسية والعسكرية، وسبق أن قدم جيش الاحتلال «خطة الجنرالات» للمستوى السياسي، وأضاف بأن التصعيد الحالي لتهجير الفلسطينيين من شمال قطاع غزة ليس المحاولة الأولى، فقد سبقتها محاولات عدة، مثل ما قامت به الفرقة 98 المظلية، والفرقة 252 المدرعة خلال الشهور السابقة، فالمستوى العسكري الصهيوني يرى خطورة إذا استمر المشهد بهذا الوضع من غير القضاء على الأصول البشرية والإدارية للمقاومة، وطرد السكان وإجبارهم بالقوة على النزوح وإخلاء المناطق نحو جنوب محور نتساريم.

فيما أعلنت حركة «نحالا» الاستيطانية الصهيونية في 23 أكتوبر تشرين الأول الجاري عن تسجيل 700 عائلة للانتقال للسكن في 6 مستوطنات محتملة في قطاع غزة، معربة عن أملها في البدء ببناء هذه المستوطنات خلال عام، وأكدت الحركة أنها ستملأ «المناطق المحررة في غزة بالمجتمعات اليهودية».

كما زعم وزير المالية الصهيوني «بتسلئيل سموتريتش» في تصريحاته أن غزة جزء من أرض إسرائيل، ولن يكون هناك أمن دون استيطان في القطاع، والعبرة الأساسية في السنة الأخيرة، وأضاف: من لديه عينان يدرك أنه من دون وجود مدني استيطاني لا يمكن إبقاء الجيش لفترة طويلة، لذلك يجب أن يكون في غزة وجود يهودي وإحياء الاستيطان الطلائعي القوي من جديد.

وأكد سموتريتش أنه سيتم هذا العام «تصحيح الخطأ الكبير الذي تمثل في طردنا من مستوطنات غوش قطيف في غزة»، وفق تعبيره.

ومن جهتها نددت حركة حماس بالصمت الدولي المريب عن تنفيذ الاحتلال الصهيوني لـ «خطة الجنرالات» في شمال قطاع غزة معتبرة ذلك مشاركة فعلية في الجريمة، في حين يحتشد مستوطنون متطرفون على حدود غزة للمطالبة بإعادة استيطانها.

ترجمة

لماذا سينال «موت السنوار المحارب» مكانة الشهيد في غزة وخارجها؟

ترجمة: نور نوارة
جوليان بورغر ـ صحيفة الغارديان، 20 أوكتوبر 2024

يحيط الغموض باللحظات الأخيرة لزعيم حماس المليئة بالتحدي، لكن يبدو أن الحياة الآخرة الممجدة كبطل فلسطين تبدو مؤكدة الآن.

ظهر تناقض في الرواية الإسرائيلية الرسمية للحظات الأخيرة ليحيى السنوار منذ وفاته، وهو ما يبدو أنه سيزيد من حالة الاحتفاء بالشهيد التي تتطور بسرعة حول زعيم حماس.

فقد خلص التشريح الإسرائيلي لجثة السنوار إلى أنه توفي نتيجة إصابته بطلق ناري في رأسه، وهو ما يتناقض مع الرواية الأولية للجيش الإسرائيلي التي أشارت إلى أنه قُتل بقذيفة دبابة أطلقت على المبنى المدمر الذي كان يقف فيه في آخر لحظاته.

ونشر الجيش الإسرائيلي لقطات مصورة لدبابة تطلق النار على المبنى في مخيم تل السلطان للاجئين في رفح، وقال المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي الأدميرال دانيال هاغاري: "لقد تعرفنا عليه كإرهابي داخل المبنى، وأطلقنا النار على المبنى ثم دخلنا للتفتيش».

ومع ذلك، ووفقاً لمدير معهد الطب الشرعي الوطني الإسرائيلي، تشين كوجل، الذي قام بتشريح الجثة، فإن سبب الوفاة كان إصابة بعيار ناري في الرأس. وفي مقابلة مع صحيفة نيويورك تايمز، لم يتكهن كوجل بمن أطلق الرصاصة القاتلة، سواء كان ذلك خلال مناوشات مع الجنود الإسرائيليين قبل إطلاق رصاصة الدبابة، أو بعد العثور عليه تحت أنقاض المبنى، أو من قبل السنوار نفسه حتى لا يتم القبض عليه حياً.

كان بحوزة السنوار مسدس. قالت بعض التقارير الإسرائيلية إنه كان بحوزة ضابط في الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية يدعى محمود خير الدين، وهو درزي من منطقة الجليل، قُتل خلال مهمة سرية في غزة عام 2018.

لقد غذت المؤامرة التي أحاطت بمقتل السنوار فكرة تقديس الشهيد التي انتشرت بشكل كبير عبر وسائل التواصل الاجتماعي منذ اللحظة التي تأكد فيها مقتل قائد حماس.

وحقيقة أنه قُتل وهو يرتدي ملابس قتالية وسترة قتالية بعد أن أطلق النار وألقى قنابل يدوية على الجنود الإسرائيليين، بل إنه هاجم طائرة بدون طيار تابعة للجيش الإسرائيلي بعصا خشبية ألقاها بذراعه الوحيدة المتبقية العاملة في بادرة تحدٍ أخيرة، تميز السنوار عن أسلافه الذين اغتيلوا وهم في حالة فرار.

عندما اغتيل زعيم حماس الذي خدم لفترة طويلة الشيخ أحمد ياسين بصواريخ أطلقتها طائرة هليكوبتر حربية تابعة للجيش الإسرائيلي في عام 2004، كان الشيخ أحمد ياسين يُدفع على كرسي متحرك بعد الصلاة في أحد مساجد غزة.

لم يتبق من جسده إلا القليل لتصويره، لكن الصور المتخيلة للضربة الصاروخية القاتلة أصبحت جزءًا من الأيقونات التي ظهرت على الفور تقريبًا على الجدران في جميع أنحاء الأراضي المحتلة، إلى جانب صور الزعيم ذي اللحية البيضاء وهو يصعد إلى السماء. ولا تزال صور ياسين شائعة في غزة والضفة الغربية، وغالبًا ما تظهره بصحبة شهداء آخرين.

وقد ترك السنوار وراءه جثة مقاتل دمرتها الحرب، وقد يقارنها بعض الفلسطينيين بالصورة الأخيرة لتشي جيفارا، الطبيب الأرجنتيني الذي قاتل في ثورة كوبا لكنه مات في نهاية المطاف على يد الجيش البوليفي عام 1967، وأصبح أيقونة لقضيته. بعد إطلاق النار على جيفارا، وُضع جثمانه على طاولة لتصويره، وعيناه المفتوحتان تحدقان في الكاميرا في فراغ.

وقد احتفل خلفاء السنوار في قيادة حماس بمقتله في القتال، على حد تعبير نائبه خليل الحية، الذي قال "المواجهة وعدم التراجع، والانخراط في الجبهات والتنقل بين مواقع القتال».

وينتشر على شبكة الإنترنت مقتطف من قصيدة بارزة للشاعر الفلسطيني الأشهر محمود درويش، مع الادعاء بأنها تنبأت بنهاية السنوار. تقول الأبيات من مديح الظل العالي:

حاصِرْ حصَارَكَ... لا مفرُّ
سقطتْ ذراعك فالتقطها
واضرب عَدُوَّك... لا مفرُّ
وسقطتُ قربك، فالتقطني
واضرب عدوكَ بي .. فأنت الآن حُرٌّ.. حُرٌّ.. وحُرٌّ...

كتب درويش هذه القصيدة في مرحلة أخرى من مراحل تدهور القضية الفلسطينية، في قارب كان يقله مع ناشطين ومناضلين آخرين من بيروت إلى تونس بعد الحرب الإسرائيلية المدمرة على لبنان عام 1982 بهدف تدمير منظمة التحرير الفلسطينية.

يستذكر شعر درويش رعب قصف بيروت ومجازر الفلسطينيين واللبنانيين في مخيمي صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين في لبنان في ذلك الوقت. إن مواضيع الموت الجماعي في مواجهة اللامبالاة والتقاعس الدولي، إلى جانب التوق إلى من يردّ على القصف، يتردد صداها لدى الفلسطينيين اليوم بعد تدمير غزة.

يبدو من المؤكد أن موت السنوار المحارب سيضمن له المكانة الأولى في قائمة الشهداء الفلسطينيين، مما يحجب حقيقة - أنه قبل السابع من أكتوبر من العام الماضي، وبصفته منفذاً وحشياً لولاء حماس، قتل السنوار من الفلسطينيين أكثر بكثير من الإسرائيليين، وقتل من يشتبه في أنهم متخابرون بطريقة بشعة. لقد ترك هجوم العام الماضي على المدنيين الإسرائيليين في جنوب إسرائيل العام الماضي قطاع غزة عرضة لعمليات انتقامية إسرائيلية شرسة والمدنيين الفلسطينيين مكشوفين وجائعين وضعفاء بينما كان مقاتلو السنوار يتحصنون في الأنفاق التي تم تخزينها جيدًا قبل فترة طويلة بالطعام والماء والدواء.

وللمساعدة في تشكيل روايته المرجوة، ترك زعيم حماس وراءه نصًا على شكل رواية سيرة ذاتية في عام 2004، بعنوان "الشوكة والقرنفل"، كتبها في السجن الإسرائيلي وهرّبها في أجزاء.

الشخصية الثانية للسنوار في الكتاب "إبراهيم"، وهو شخصية السنوار في الكتاب، وهو شخص متعصب ملتزم بالقضية ويتوقع من الفلسطينيين أن يكونوا "مستعدين للتضحية بكل شيء من أجل عزتهم وكرامتهم ومعتقداتهم". يتساءل إبراهيم: لماذا التفاوض مع إسرائيل، بينما يمكن لحماس "فرض قواعد أخرى للعبة"؟

هذا ما كان يعتقد السنوار أنه يفعله بهجوم 7 أكتوبر، وما كان يأمل بوضوح أن يكون إرثه. ويبدو من المؤكد أن الأسطورة التي أحاطت به، والتي زرعها باجتهاد وهو لا يزال على قيد الحياة، ستعيش من خلال آلاف الملصقات وجداريات الشوارع.

حوار الهدف الثقافي

مع الكاتبة بيان دخان حامد

أجرى الحوار: محمد حسين ـ كاتب فلسطيني ـ سورية

بيان حامد ابنة الجليل الأسفل (الناصرة) صوتاً شبابياً يحاول أن يحجز له مكاناً في عالم الأدب الفلسطيني عبر كتابات متنوعة من الشعر إلى قصص الأطفال إلى الرواية، قلم قلق يحفر عميقاً في أغوار النفس ليخرج كلمات تربت على كتف الوطن الجريح.

مواليد عام ١٩٩١ الجليل الأسفل.

- صدر لها:

«كأنني كنت استعار» شعر عن دار راية -حيفا ٢٠٢٤

قصة الرسام الصغير -دار الهدى.

الخنافس المضيئة-قصة الكترونية -دار عصافير الإمارات. سحر البهارات-دار سهيل عيساوي.

- أقامت بعض المعاهد ورشات لقصصها.

- لها رواية تحت الطبع.

الهدف نرحب بالكاتبة الفلسطينية بيان على صفحات مجلة الهدف لنلقي الضوء على قلم شبابي من فلسطين..

■ **حدثينا عن طفولتك وشبابك الشعري كيف دخلت الى عالم الكتابة؟**

كتبت كثيراً في طفولتي، قصصت قصصي على الآخرين. وأحببت الضياع في الكتب. لم أفكر في أن أكون كاتبة حقيقية، حتى ثلاثة أعوام مضت.

باكورة إصداراتي كانت في أدب الأطفال، نشرت أول قصة أطفال في بدايات الكورونا، مطلع عام 2021. ثم تلا ذلك قصة مصورة في الإمارات، والقصة الأخيرة «سحر البهارات» أصدرت هذا العام .

ثم وجدت لوناً جديداً أبرع فيه كتابة الشعر -

اقتنص اللحظة المناسبة وأقوم بحصد كل ما شعرت به - كلمة كلمة.

«كأنني كنت استعارة» هي عنوان مجموعتي الشعرية الاولى.

أن تكتب يعني أن تشعر بسيطرتك على شيء ما.

■ **قصيدة النثر لها وقع خاص في نفوس الشعراء والمتلقين ما هو موقفك من هذا النوع من الشعر وهل ترين ان بوصلة الشعر ستتجه الى هذا النوع؟**

إن الشعر والشعور ينبعان من الجذر ذاته فالشعر مربوط دائماً بالشعور . لا جدوى للشعر إن لم يكن جميلاً .

قصيدة النثر هي خلق حر خارج عن كل تحديد، كما أن لقصيدة النثر رواداً كثراً منهم: أدونيس، محمد الماغوط، وديع سعادة.. وغيرهم.

أرى أن بوصلة الشعر تتجه نحو قصائد غير موزونة فهي أكثر إدراكاً لسرعة العصر. لقد تغيرت ذائقة المتلقي الشعرية لغياب قصيدة التفعيلة، لكن ليس بإمكان قصيدة النثر أن تحل محلها، فكل نوع أدبي له قراؤه ومهمته التي يؤديها.

■ ما هي اهم القضايا التي يركز عليها شعرك ؟

يعيش الشاعر الهمّ الكلي بوصفه همّه الذاتي .

الحرية، الحب بمفهومه الواسع، الوحدة، الأمومة، البلاد.

مآسينا الصغيرة التي تحمل أكثر من وجه، ربما لن يلتفت أحد إليها، لكنها ككل القصص تبحث عن تضامن الآخرين لأنها في النهاية مأساة .

■ هل ترين ان قصائد الشعر المعاصرة على الشبكة العنكبوتية تساهم في نهضة الشعر العربي؟

يرى الشعراء الشبان أن استثمار الشبكة العنكبوتية والمساحات الممكنة فيها يتجاوز كل العقبات، بوصوله سريعاً، دون أي وسيط للقرّاء.

لقد تحولت منصات وسائل التواصل الاجتماعي مثل :الفيسبوك والانستغرام إلى أداة للنشر، ترسيخ الحضور وجس النبض قبل أو بعد إصدار أي نتاج أدبي.

المسألة في جوهر الشعر الذي يفرض نفسه بصيغة أو بأخرى تباعاً للحقبة التي ينتمي إليها .

■ الحركة الشعرية المعاصرة هل قدمت إسهاماً في تطور القصيدة ؟

إن بهاء الشعر الحديث يتمثل بالإيحاء والخيال، فهو أكثر قابلية للتأويل من مراد الشاعر، كما أنه أكثر رحابة من قائله.

في الحداثة ردة فعل لما قبلها، وفي الشعر الحديث تحدٍ لصياغة التجربة الإنسانية المواكبة .

هل يمكن للشعر أن يحمي نفسه من ذاتية الشاعر؟ ربما.

كل ذلك يدفعنا إلى فهم الشأن الثقافي أكثر والإسهام في تطور القصيدة وقراءتها بشكل صحيح وعميق .

■ هل تتوقعين أن ينقرض الشعر مستقبلاً وتحل مكانه الرواية والقصة؟

لا أعتقد أن الشعر سينقرض في المستقبل، بل سيظل له مكانته الخاصة في عالم الأدب. الشعر يعبر عن مشاعر وأفكار بطريقة مكثفة ومختزلة، وله قدرة فريدة على الوصول إلى عمق العواطف الإنسانية. صحيح أن الرواية والقصة قد تزداد شعبيتهما مع الوقت بسبب أسلوبهما السردي وتناسبهما مع وتيرة الحياة السريعة، لكن الشعر سيبقى لأنه يمتلك جماليات لا يمكن للرواية أو القصة أن تحل محلها. الأدب بكل أشكاله يتطور، والشعر قد يتكيف مع الأساليب الحديثة، لكنه لن يختفي.

■ لديك ثلاث قصص للأطفال ماذا تكتبين للطفل الفلسطيني ؟

إن الكتابة للأطفال مهمة صعبة وحساسة، يتحمل فيها الكاتب مسؤولية ما يقدمه. أدب الأطفال هو أدب خيالي حساس، وعلة كلمات القصة أن تحمل صوراً مرئية وواضحة.

قصتي الأولى «الرّسام الصّغير» تتحدث عن اكتشاف المواهب وإظهارها للآخرين، وعن كيفية رعاية هذه الموهبة بالحب والاهتمام من المحيط وخصوصاً الأهل. أما القصة الثانية فهي قصة مصورة تعليمية «الخنافس المضيئة» تشرح بطريقة ممتعة عن أسباب إضاءة الخنافس لأجسادها .

والقصة الاخيرة «سحر البهارات» هي قصة طفل يحاول اكتشاف البهارات وسحرها في دكان جده الذي يغط بنوم عميق!

■ أين تجدين موقع المرأة الفلسطينية في ظل ما تعانيه من اضطهاد مركب اجتماعي ووطني؟

ثمة صورة مثالية للمرأة الفلسطينية تصورها كرمز للقوة والصمود خصوصاً في الأدب والشعر وهذا يمثل عبئاً إضافياً يثقلها، إن قضية المرأة هنا متصلة بقضية شعبها، وفي ظل الواقع المعقد والمركب الذي تعيشه نتيجة للسياق التاريخي الممتد، فإن التحديات ليست سهلة، لكن هذا لا يثنيها عن صناعة مجتمع قوي يداً بيد مع نصفها الآخر .

تحاول النساء تعزيز دورهن في المجتمع لتحقيق العدالة، إنها مسيرة حياة ليس فقط للمرأة الفلسطينية إنما لنساء العالم أجمع .

والتاريخ خير دليل على ذلك، مما حمل ويحمل من اسماء نساء بارزات لامعات ومؤثرات في شتى المجالات .

■ لديك رواية قيد الإنجاز لو تحدثينا قليلاً عن مضمونها ؟

نعم، هناك رواية قيد الكتابة، وهي التجربة الأولى لي في أدب الرواية،

تتحدث عن رجل في الستينات من عمره، مريض الزهايمر، يواجه مرضه وحيداً بعد انقطاع صلته بابنته الوحيدة ووفاة زوجته في حادث طرق أليم.

تطرح الرواية معاناة المريض والمحيطين به، العلاقات الاجتماعية وتعقيداتها الاغتراب والموت.. وكيف أننا في النهاية.. لا عزاء لنا في مصائب الدهر إلا في أحبائنا.

■ بما أنك تنتمين إلى الجيل الشاب هل تعتقدين أن هذا الجيل لديه الإمكانيات ليقدم ما هو جديد وحداثوي بمختلف صنوف الأدب؟

بالطبع، أعتقد أن جيل الشباب يمتلك إمكانيات هائلة لتقديم إبداعات جديدة ومواكبة في مختلف مجالات الأدب. هذا الجيل نشأ في عصر يمتاز بتعدد المصادر والانفتاح على الثقافات المختلفة، مما يغذي خياله ويوسع آفاقه. ومع توفر الأدوات التكنولوجية الحديثة، أصبح بإمكان الشباب التعبير عن أفكارهم بطرق مبتكرة وجريئة، مع الحفاظ على أصالة الفكر الأدبي. الجيل الحالي لا يقتصر على التقليد، بل يسعى لإحداث تغيير وتقديم رؤى جديدة تعكس واقعهم وتطلعاتهم للمستقبل.

المثقفون والطوفان والتضليل الإعلامي

رضي الموسوي ـ كاتب صحفي من البحرين

عجّت وسائل الإعلام العربية والعالمية بكثير من المواد المتعلقة بالصراع العربي الصهيوني، وخصوصاً المجازر والمحارق التي يرتكبها العدو الصهيوني، وذهب بعضها إلى نشر إسقاطات تاريخية تحاكي الموقف المتخاذل والمتواطئ الذي تتخذه بعض الدول العربية وبعض المثقفين العرب إزاء ما يجري في فلسطين ولبنان من حرب إبادة جماعية تقودها الولايات المتحدة الأمريكية وحلف الناتو وينفذها جيش الاحتلال الصهيوني، لكن بعض هؤلاء المثقفين يتبنون الرواية المضادة ويبثون ثقافة الهزيمة. من هذه المواد رسالة على وسائل التواصل الاجتماعي تتحدث عن الأندلس في زمن دولة الطوائف وقبيل السقوط الأخير. تقول الرسالة: «عندما قام الإسبان بحصار طليطلة سبع سنوات وأدى ذلك لاستسلامها، سأل الإسبان أهل طليطلة: ما دمتم ستستسلمون لماذا صبرتم على هذا الحصار طوال هذه السنوات؟
أجاب الأهالي: كنا ننتظر المدد من أشقائنا.
رد الإسبان باستغراب: أشقائكم؟!!
..لقد كانوا معنا في حصاركم».

رسالة قصيرة لها دلالات كبرى ودروس عظمى. فعندما يتخلى الشقيق عن شقيقه وينقلب عليه، وحين ينزلق حال الأمة، الغارقة في عدم الاكتراث والخذلان والتواطؤ مع العدو والتورط معه في القتل والحصار، إلى منحدرات سحيقة، لا يبدو أن لهذا السقوط مستقراً. لقد بلغ الانحدار أوجه في منع الناس من التعبير عن غضبهم من المجازر والمذابح وعمليات حرق الأطفال والنساء في قطاع غزة بدم صهيوني بارد، بينما يمارس الإعلام العربي والغربي تضليلاً بروايات مفبركة حول حقيقة ما يجري في ساحات الوغى ليخفف من هول المجازر التي يندى لها الجبين. إن هذا يعبر عن حالة الانقسام والتشظي والسكينة التي بلغته المجتمعات العربية، التي تحتفل بعض مدنها الكبرى بالفنانين وتحيي لهم الحفلات الصاخبة، وتمنع مظاهرة تناصر الحق، فيما يزداد جريان نهر الدم في فلسطين ولبنان. وحتى تخنق الحقيقة وتداس بين أحدية الجند، يتم استهداف وسائل الإعلام المهنية الصادقة التي تنقل الحقيقة، وهو أمر حصل مع مراسلي العديد من الفضائيات والصحفيين الذين تم قتلهم دون اكتراث من عواقب أو مساءلة، حيث بلغ عدد الصحافيين والمراسلين الذين اغتالتهم قوات الاحتلال حتى نهاية سبتمبر/ أيلول 2024 أكثر من 174 صحفياً، وفق

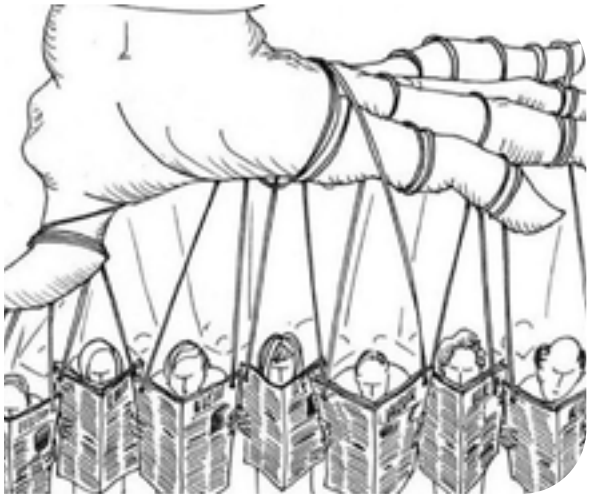

وزارة إعلام حكومة غزة، وأغلق الاحتلال مكاتب فضائية الجزيرة والميادين في الضفة الغربية وغزة، وتوج جرائمه بقصف مقر فضائية الميادين في العاصمة اللبنانية بيروت، فضلاً عن تدميره للفضائيات والإذاعات الفلسطينية في القطاع المنكوب. ومع أن هذا فعل شنيع مجرم دولياً بجانب ما ترتكبه قوات الاحتلال من مجازر وقصف، فإن ردود الفعل كانت باهتة وشامتة بعض الأحيان من كبريات وسائل الإعلام العربية والغربية، ذلك أن الضوء الأخضر الأمريكي للكيان الصهيوني قد أرعب بعض هذا الإعلام ومنح بعضه الآخر فرصة للتشفي، بينما تمسكت البقية الباقية تحارب بالصوت والصورة والقلم مع المقاومين. يحدث ذلك في وقت تشهد فيه الساحة الثقافية العربية انحرافاً والتباساً شديدين وتأثيراً كبيراً من قبل المؤسسات الدولية ذات الصلة بواقع الثقافة والإعلام.

لقد دخلت المقاومة عامها الثاني من طوفان الأقصى، شهدت فيها الساحة العربية فرزاً طبيعياً في مواقف الدول والمثقفين والمجتمعات، نتيجة لتراكمات عقود تمكنت فيها الآلة الإعلامية والثقافية الصهيوأمريكية من اختراق الجسم الثقافي في مختلف البلدان العربية، التي تبنت الكثير من مؤسساتها الإعلامية والثقافية سردية الاحتلال وداعميه وتحولها إلى جزء من جوقة عالمية تُنظّر وترّوج لثقافة الهزيمة، ولا ترى في المقاومة بمختلف أشكالها إلا عبثاً،

حتى جاء الطوفان وفعل فعلته وغير المفاهيم، على المستوى العالمي على الأقل. كما تأكد الموقف العام للشعوب العربية بانحيازه للطوفان والدعم المعنوي والسياسي للمقاومة الفلسطينية وجبهات إسنادها، إلا أن قوة الآلة الإعلامية غطت، جزئياً، على هذا التضامن الشعبي، وطغت على السطح سردية معطوبة في عملية الصراع العربي الصهيوني.

يحاول بعض المثقفين استخدام مصطلح «العقلانية» في التعاطي مع الكيان الصهيوني، ويطرحون مسألة موازين القوى المختلة لصالح العدو ومعالجات مختلفة غير تلك التي تقوم بها المقاومة في مواجهتها للاحتلال، ويدّعون أن الظروف الراهنة لا تسمح بمثل هذا النوع من الفعل المقاوم الذي يقود إلى المزيد من الخراب. ولأن الإعلام مُسيطر عليه من قبل أصحاب الرأي «العقلاني»، فقد انحرفت بوصلتهم إلى تحميل الضحية مسؤولية ما يجري لفلسطين وكأنها ليست وطناً محتلاً وأن كل الشرائع والمعاهدات الدولية تمنح الحق للشعب الفلسطيني بتحرير أرضه وإقامة دولته على كامل ترابه الوطني. ويترادف مع هذا الموقف ترويج غير منطقي للاحتلال بطرق شتى، ومنها تلميع الاتفاقيات التطبيعية التي وقعها الكيان مع بعض الدول العربية. يشكل هذا موقفاً لا أخلاقياً من بعض المثقفين والإعلاميين العرب الذين انزلقوا إلى الجانب الخاطئ من التاريخ ضد الحقيقة وبتناقض مع موقف الشعوب التي ينتمون إليها، لكنهم آثروا «الستر» وتجنبوا غضب الحكومات ولهثوا وراء فتات الموائد و«الامتيازات» التي يمكن أن يحصلوا عليها لمواقفهم المتناغمة مع السائد من المواقف الرسمية. هؤلاء لا يستطيعون الجواب على سؤال من طراز: هل قرأتم في التاريخ عن مقاومة موازين قوتها لم تكن مختلة مع عدوها؟!

لا ينطلق هؤلاء من تحليل علمي تاريخي لمجريات القضية الفلسطينية وتطورها، بقدر ما ينطلقون من سردية الاحتلال التي سادت طوال العقود الماضية بفضل الدعم المطلق الذي توفره الإمبريالية العالمية التي أوجدت هذا الكيان قبل 76 عاماً بترويجها حق الوطن القومي في فلسطين وباعتبارها أرضاً بلا شعب ويمكن أن تكون لشعب بلا أرض، وفق وعد بلفور المشؤوم. لكن أركان هذه السردية تزعزعت مع انطلاقة الطوفان الذي كشف الكثير من المستور الملتحف بإرهاب الدولة متعدد الأشكال بما فيها القتل خارج القانون وإحراق الأطفال وتشريد أهل فلسطين من ديارهم وفرض معادلات تلبي مصالح داعمي الاحتلال وأعوانه.

صحيح أن الأثمان باهظة جداً، لكن الطوفان تمكن من ضرب هذه السردية وكشف حقيقة الجيش الذي لا يقهر، وادعاءات الدولة الديمقراطية في صحراء قاحلة، وبقدرة هذه الدولة على تشكيل شرق أوسط جديد تكون هي مركزه وقبلته وباقي الدول العربية أطرافاً مستهلكة فيه لا حول لها ولا قوة بعد أن تنزع عناصر قوتها الاقتصادية والسياسية والثقافية. ندرك تماماً أنه لكي تكمل مخططها الشيطاني أصدرت دولة الاحتلال «قانون الدولة القومية» الذي بموجبه تحول فلسطين إلى أرض خالصة للصهاينة المستوطنين، وتضع مصير الفلسطينيين في قوافل التهجير «الترانسفير» أو القتل الذي بشرت به العصابات الصهيونية قبل اغتصاب فلسطين، وبمقتضى هذا القانون وغيره يتم تهجير الشعب الفلسطيني من قطاع غزة والضفة الغربية وأراضي الـ48، إلى كل من الأردن التي يرى فيها الكيان وطناً بديلاً عن الضفة الغربية، بينما يُرحّل أهل غزة إلى سيناء المصرية.

إن الموقف الأخلاقي الحقيقي من الصراع العربي الصهيوني ينبغي أن يتجرد من التعصب الأيدلوجي وأن ينبذ الطائفية والمذهبية والهويات الفرعية القاتلة المُعطِلة لمسيرة التحرر وتحقيق الأهداف المشروعة للشعب الفلسطيني. كما أن محاولة تلبيس القضية الفلسطينية وتغليفها بأيدلوجيات مغلقة ورفض الأيدلوجيات والأفكار الأخرى، هو أمر لا يتسق مع مفهوم مركزية هذه القضية بالنسبة للأمة، ذلك أنها قضية لكل العرب والمسلمين وكل أحرار العالم الذين ينظرون لها انطلاقاً من الجانب الإنساني، وبالتالي فعدالة القضية الفلسطينية تأخذ مشروعيتها من البعد الإنساني والأخلاقي والوطني والقومي والديني.

وعلى هذا الأساس، فإن العقلانية التي يتشدق بها بعض المثقفين لا مكان لها في معترك الحياة النضالية والسياسية، كونها تنطلق من «عقل زائف» تبريري يبحث عن الغنائم وليس عن طرق مبتكرة للمقاومة والتحرير. فأصل الأزمة في الاحتلال الذي حاصر قطاع غزة لسبعة عشر عاماً حصاراً محكماً مما حوّله الى سجن كبير يعاني من كل الأزمات الاجتماعية ومن البطالة والفقر المرض، وإن تفجر الطوفان كان نتيجة للاحتلال ومشروعية مقاومته ومواجهة حرب إبادته. وحيث إن التفكير محصور في القُطرية والهويات الفرعية، فإن المثقفين الذين يمارسون انتقاداتهم اللاذعة ضد المقاومة، يعتقدون مخطئين أن المشروع الصهيوني يقتصر على فلسطين، ولا يرون العدوان المستمر على البلدان العربية منذ نشأة الكيان، ولا ضربه عرض الحائط حتى للاتفاقيات التطبيعية التي وقعها وفق شروطه هو، كاتفاقية كامب ديفيد واتفاقي أوسلو ووادي عربة. وحتى الاتفاقات التي تسمى بـ«الإبراهيمية»، وضعت وفق شروط ومتطلبات الكيان. إن أزمة المثقف العربي «المستقر» تكمن في ازدواجية تفكيره وانفصاله عن الواقع وتبنيه مواقف متماشية مع الفكر السائد خوفاً أو طمعاً، ما يعميه عن رؤية الحقيقة والهروب إلى ما يشتهيه.

يدرك الكثيرون أن الولايات المتحدة والكيان الصهيوني يسعيان لإحياء «الشرق الأوسط الجديد» بقيادة صهيونية تكون فيه الدول العربية تابعة للدولة العبرية، وهذا يحتاج إلى تدجين الثقافة والإعلام وإيجاد فكر وثقافة يترجمها ويعكسها إعلام مُسيطر عليه وموجه نحو القبول بما تمليه الدوائر الصهيونية على المنطقة، باعتبارها المعبر الحقيقي عن مصالح الدوائر الإمبريالية بقيادة الولايات المتحدة وحلفائها من الدول الغربية والعربية والإسلامية. وهذا صراع لن ينتهي باغتيال قادة المقاومة ومحاولة تأليب بيئتها عليها، بل يمتد حتى ترجمة الفكرة التي ترسخت والسردية التي تبنى من جديد لصالح القضية الفلسطينية في عواصم العالم، وهو جهد تحتاجه الساحة العربية على كافة المستويات الثقافية والفكرية والإعلامية.

رموز الهوية تخفق في سماء غزة

د. نجلاء الخضراء ـ كاتبة فلسطينية وباحثة في التراث ـ سورية

لم تعد فلسطين وطناً أو وجهة جغرافية إنما هي رمز وجوهرة تحمل تاريخاً عميقاً ودمعة في عين أصحاب الضمير وروحاً تخفق بصمود أبنائها ومأساة كتبت بحروف الأمل والتضحية بدماء سالت على أرضها مع كل شهيد سكن سماءها ومع كل صرخة لأم فقدت وليدها. الفلسطينية قضية أرض تحت الاحتلال إنما هي قضية هوية تاريخية وثقافية تجمع بين عناصر اللغة والموروث الحضاري التاريخي بكل جوانبه، يعمل العدو على زعزعتها وإضعاف أسسها لفرض الهيمنة الغربية وإجبار العرب على القبول بالوجود الصهيوني كأمر واقع.

الهوية تعني الذات أو ماهية الشيء وحقيقته وهي تعبير عن محصلة انتماءات الإنسان التي تحدد حضارته وثقافته وبالتالي أمته وشعبه.

الهوية الوطنية هي مجموعة السمات والخصائص المشتركة التي تميز أمة أو مجتمعًا أو وطنًا معينًا عن غيره، وتشكل جوهر وجوده وشخصيته المتميزة.

فعندما تتعرض الهوية لمحاولات التفكيك وإعادة الصياغة على أيدي قوى خارجية كما هو الحال مع السياسات الغربية تجاه العالم العربي تصبح معركة الهوية معركة وجود، وتصبح رموز تلك الهوية جزءاً من هذه المعركة وتخرج مهامها عن حدود الذاكرة وجمالها أو الإرث الثقافي وحسب إنما يتعدى ذلك إلى الواقع المقاوم والاشتباك مع العدو والتمسك بالجذور المرتبطة بالوطن المسلوب والأرض والرموز الثقافية المتنوعة في دلالاتها وتاريخ تشكلها إلا أنها مجبولة من طينة الأرض وتربتها. ولعل من أهم الرموز التي دلت على قضية فلسطين خريطة فلسطين من النهر إلى البحر والزيتون والليمون وبرتقال يافا والزعتر والحنون وخبز الطابون والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة والسيف والرمح والبندقية والأطباق الشعبية الفلسطينية والزي الفلسطيني والكوفية وقد عبر الأدب عن هذه الرموز بكل أنواعه من قصص وأساطير وشعر وأغانٍ وأمثال شعبية وعبر عنها الفنانون في لوحاتهم التي أضحت أيقونة ورمزا للتصدي والصمود، وقد أفرزت حالة الصراع الكثير من الرموز التي عملت على تطور الهوية الفلسطينية وأعادت للذهن العربي والعالمي القضية الفلسطينية كالمثلث الأحمر وعصا السنوار.

إذ إن تلك الرموز الثقافية لم تعد تراثاً أو تعبيراً عن الهوية الفلسطينية فحسب إنما أصبحت مجسات تدرك من خلالها مستوى حضور القضية الفلسطينية محلياً وعربياً وعالمياً، ولعل هذا ما يحسب لمعركة طوفان الأقصى التي نجحت بصورة غير مسبوقة بإعادة موضعة الرموز بموقع متقدم عالمياً وصار حضورها تعبيراً جلياً عن رفض الاستعمار والمناداة بالحرية، ما أدى إلى تجديد معنى الهوية واستعادة رموزها التي ظهرت لأجلها.

ومن أهم الرموز الفلسطينية التي طرحتها معركة طوفان الأقصى :

المسجد الأقصى في مدينة القدس وهو أحد أكبر مساجد العالم وثالث المساجد التي يشد إليها رحال المسلمين وأول القبلتين في الإسلام، وفيه قبة الصخرة التي تعد من أهم المعالم الإسلامية في العالم وتمثل إضافة إلى قدسيتها أقدم نموذج في العمارة الإسلامية بما تحمله من روعة فنية جمالية.

سميت بهذا السم نسبة إلى الصخرة التي عرج منها النبي في رحلة الاسراء والمعراج.

النكبة: وهو مصطلح يعني لغوياً المصيبة أو الكارثة أما في الوضع الفلسطيني فقد عبر عن هول الصدمة من الهزيمة العربية أمام العصابات الصهيونية عام 1948 وما تبعها من وقائع وأدت إلى انهيار واضح وتفكك في تركيبته الاجتماعية وتهديد هويته الخاصة من خلال تهجير ما يقارب المليون لاجئ إلى دول وبلدات الجوار وتدمير 418 قرية فلسطينية وما رافقه من ارتكاب للمجازر الوحشية وعمليات القتل والترهيب من قبل العصابات الصهيونية.

الشهادة والشهداء: الشهيد هو الشاهد الأمين في شهادته والقتيل في سبيل الله، فالشهيد في الأصل من الشهود. والشهادة في التراث هي الموت في سبيل قضية من القضايا السامية سواء كانت قضية عقائدية أو وطنية أو غير ذلك وهي سامية في نظر القائلين بها أو المقبلين عليها أو المستعدين لها والاستشهاد هنا ينطوي على منتهى التفاني والإخلاص.

وقد تغنى تراثنا العربي بالشهادة قديماً وحديثاً وربطها بمعاني التفاني والإقدام والتضحية في سبيل قضية عامة أو خاصة كذلك تفنن الأدباء العرب في تصوير مواقف الشهادة وجعلها أعراساً للبطولة والفرح وهذا شائع جداً في الأدب الحديث أيضاً خاصة في تناول الشعراء للقضية الفلسطينية التي هي قضية العرب الأولى مهما تكن تداعياتها وآثارها وتشعباتها داخل البلدان العربية أو فيما بينها.

يقول محمود درويش هذا هو العرس الفلسطيني لا يصل الحبيب إلى الحبيب إلا شهيداً أو شريد.

المقاومة: مفهوم إنساني وحق مشروع في كل الأنظمة والقوانين الدولية والأعراف الإنسانية ولها ضوابط وروابط وأهداف وآداب، وهي نهج وفكر الأحرار وهوية كل مظلوم ضد المعتدي، هي ردة فعل مجتمعية واعية ضد واقع مرفوض وغير مشروع لمواجهة استبداد أو ظلم واحتلال ويذخر تراثنا الشعبي والأدبي بظواهر عديدة ومتنوعة من المقاومة والدفاع عن النفس والأرض وهو ما أطلق عليه أدب المعارك كحكايات عنترة والسيرة الهلالية وصلاح الدين الأيوبي والفتوحات الإسلامية والغزوات النبوية... إلخ

ولكل مقاومة رموز وأبطال وقادة وأساطير وقصص وقصائد وأهازيج تستقيهم من أفكار ومعتقدات المقاومين، وهي بحث عن الحرية.

ارتبط مفهوم المقاومة على نحو نمطي في الذهنية العربية بمواجهة الاحتلال الأجنبي من خلال البندقية كما حضر مفهومها في الكتب المقدسة والأساطير والشعر والأهازيج من خلال تمجيد بطولاتها وإشاعة ثقافتها. يقول غسان كنفاني: البندقية تنبع من إرادة التحرير وإرادة التحرير هي المقاومة.

وتعد معركة طوفان الأقصى مفصلاً جديداً يعزز الهوية الفلسطينية أمام الطروحات الصهيونية بدءاً بتسميتها التي حملت أكثر من دلالة أهمها مكانة القدس والأقصى وارتباطها بالبعد العقائدي والهوية الفلسطينية، وهي رسالة واضحة للاحتلال الذي يمارس الانتهاكات المتكررة بحق القدس والأقصى بأن ما يجري جاء رداً على اعتداءاته.

كانت المقاومة حريصة من خلال تسميتها وخطاباتها المتعاقبة على استدعاء الهوية الفلسطينية والتذكير برموزها القائمة على مقاومة الاحتلال واتخاذ نموذجاً جديداً لإحياء الهوية بكل مكوناتها الاجتماعية والعقائدية والثقافية ورفض العيش المتخاذل والذل والظلم والاضطهاد ورفع مبادئ أجدادها من عزة وكرامة وإيثار عن النفس.

عدّت معركة طوفان الأقصى ثقافة الشهادة والمرابطة وتكريم الشهداء والاقتداء بهم السبيل لعزة الأمم والشعوب وكرامتها وتقدمها ورخائها، وعلمت أن الحياة الإنسانية الكريمة عقيدة صالحة ونضال صادق فرفعت من رسالة الشهادة وأحسنت التعاطي معها وحفظت تراثها وصانت مبادئها وحملت على عاتقها مواصلة الطريق الذي سار به الشهداء، فأطلقت صرخة لتحرير الهوية الفلسطينية العربية من أشكال الهيمنة والتشويه وصلت مسامعها لفئات الشباب، وأعادت لأذهانهم المثل العليا من الأبطال والقادة العرب والفلسطينيين وحملت الحسابات الفيسبوكية اليوم أسماء فلسطينية عربية كأبي عبيدة والسنوار والمعتصم وصلاح الدين وأسماء الشهداء والأبطال وصورهم بدلاً من الصور الشخصية والكثير من الصور البعيدة عن الهوية والثقافة العربية وتوحدت الهتافات في العديد من العواصم والبلدات الغربية. وأصبحت الكوفية الفلسطينية حاضرة في حاجات الشباب بدلاً من السراويل الممزقة ورسومات الجماجم على القمصان الشبابية.

إضافة إلى ما انتشر في وسائل التواصل الاجتماعي من مشاهد تشيد بصمود الفلسطينيين وكانت مدخلاً هاماً للبحث في تاريخ فلسطين وأصحابها والتعرف على عقيدتهم وثقافتهم ونضالهم وصمودهم بالرغم من القرصنة والتقييد الذي فرض على وسائل التواصل والمحتوى المتضامن مع غزة وفلسطين.

عمل الطوفان على جرف الصور الحضارية المزيفة للكيان الصهيوني وأظهر مكانها صور الإجرام الإسرائيلي كما جرف الدراسات والأبحاث الغربية ونسف مراكز الأبحاث السياسية والعسكرية وبقي بدلاً عنها الكنائس والمساجد والمواقع والمباني الأثرية والتراثية التي استهدفها الإجرام وسلط عليها نيرانه.

انتقلت القضية الفلسطينية بعد معركة الطوفان من ثقافة النخبة إلى القطاعات المجتمعية وخرجت من اللوحات في البيوت القديمة لتكون حدثاً واقعاً حاضراً في الآونة الأخيرة بالرغم من حالة الضعف التي تعاني منها المجتمعات العربية وانسياق بعضها وراء خطابات التطبيع والمهادنة مع العدو الصهيوني والنداءات التي تصدح بنفي وجود نظرية المؤامرة والعمل نحو مستقبل اقتصادي باذخ يحمل كل أنواع الترف.

أثبت طوفان الأقصى أن التمسك بالهوية والشعور بالانتماء هو القادر على اسقاط العدو وهو القادر على فضح سرديته وأن الحفاظ على الهوية هو طريق النصر.

الكتابة في زمن طوفان الأقصى التحوّل في العلاقات الإبداعية

د. ثائر يوسف عودة ـ ناقد وباحث أكاديمي

يُصاب المبدع عادة بالإرباك المركّب النفسي والفني قبالة الأحداث الكبرى، والهزّات العنيفة المهولة، ولا يدري ماذا يقول؟ أو كما قال درويش يوماً بعد اجتياح بيروت وحصارها: هل نغني مثلما كنّا نغني؟ وتقفز قبالة وعي المبدع تساؤلات ثلاثة مركزية تتعلق بالعملية الإبداعية برمتها: ماذا أكتب؟ لماذا أكتب؟ كيف أكتب؟

وإذا كان السؤال الأول: (ماذا أكتب؟) يتعلق بالموضوع، فإن المبدع يلقي بنفسه في قلب الحدث، ويرى أن الفاعلين الحقيقيين في ذلك الحدث يوجّهون إليه بدورهم سؤالهم المنطقي: أتعرفنا لتكتب عنّا؟!

وفي السؤال الثاني: (لماذا أكتب؟) نسمع المبدع يردد بصوت عال أو مهموس: ما جدوى الكتابة، والناس هناك تكتب بالدم والعدو يكتب بالنار؟! فيصاحب المبدعَ إرباكٌ نفسي حين يشاهد حجم الدمار والمأساة وحجم الكوارث ومشاهد المقتلة والإبادة، وربما يدفعه هذا الإرباك إلى رمي القلم وتمزيق الورق، ويصرخ صرخة داخلية مدوية: ما فائدة الكتابة؟؟ أشعر بأنّ ما سأكتبه لا قيمة له ولا جدوى!!

أما السؤال الثالث: (كيف أكتب؟) فيتعلق بنوع محدد من الإرباك، خاص باللغة وصورها وطريقة البناء الفني للمنتج الأدبي (قصيدة- قصة- رواية...إلخ)، هل ستحترق اللغة القديمة المعهودة فلا تكون متواطئة أم أنها ستعيد تشكيل خصائصها وتتجاوز لحظة الاستجابة الانفعالية العابرة؟ فتنتج نصوصاً حارقةً من مسافة صفر تصلح لأن تكون وثائق وربما معلقات على صدر الطوفان؟

ولأنّ غزة تنتج زمناً جديداً، ولا تعرف شيئاً سوى إحكام قبضتها على عنق المحتل، وتريده أن يخرج من ثيابها، من هوائها وحسب، إنها تحيط خاصرتها بالألغام وتنفجر، فلا هو موت ولا هو انتحار، إنه أسلوب غزة في إعلان جدارتها بالحياة. وزمن غزة هذا يدفع المبدع المتأمل إلى التخلي -ربما- عن برودة التأمل، وتدفعه إلى الانفجار والارتطام بالحقيقة والاشتباك معها وفيها؛ ولأن الزمن هناك في الطوفان لا يأخذ الأطفال بشكل طبيعي من الطفولة إلى الشيخوخة ولكنه يجعلهم رجالاً في أول لقاء مع العدو، فليس الزمن في غزة في حالة استرخاء، إنه اقتحام للظهيرة المشتعلة، وقد أدمنت غزة هذه القيمة النبيلة القاسية، وأعلنت أنها لا تحبّ الكتابة التي جفّت على الشفاه، وحرّرت نفسها من صفاتنا ولغتنا ومن غزاتها في آن؛ لأنها من مواليد النار ونحن من مواليد التأمل والانتظار والبكاء على الديار.

هكذا يرى المبدع الجديد روح غزة وطوفانها؛ وبالتالي يسخّر قلمه من أجل الاشتباك مع جوعها وعطشها وحالة الحصار فيها ورفضها للاستسلام وإصرارها على كنس المحتلّ حتى لو اقتحم أزقتها وزرع الدبابات في أحشائها؛ يسخّر المبدع قلمه لكل هذا وأكثر ليكون في جحيم المركز لا الهامش، مثلما فعل يوماً الأديب الشهيد غسان كنفاني في ورقاته الغزاوية وغيرها، ومثلما فعل المبدع الشرس معين بسيسو الذي كان يعد غزة ملكية حصرية وشخصية له. هل سنشهد عودة الأدب المقاوم الجديد المشتبك إلى قلب المركز؟

عودة الأدب المقاوم الجديد:

على الرغم ممّا طال الأدب المقاوم من تهميش وإقصاء إثر عمليات «التطبيع» التي وقعتها بعض الدول العربية مع المجرم المحتل، وما ترتب على ذلك من تقويض للقضية الفلسطينية، إلا أنّ معركة «طوفان الأقصى» وتداعياتها استطاعت أن تستحوذ على أولويات الثقافة واهتماماتها، وأخَّرت الموضوعات الأخرى كثيراً إلى الوراء، وقد كان الأدب مواكباً لهذه الملحمة، وحملها كما حملته، وتعدَّى مرحلة الومضة التي قد تختفي فيها الأحداث الكبيرة المفاجئة بعد برودة الحدث، بسبب طول المعركة وكثرة أحداثها وتنوّع تداعياتها

وضخامة تفاصيلها التي يحتوي كل تفصيل منها على حدث كبير بحد ذاته، وهي في طريقها إلى التحوُّل صوب تشكيل ظاهرة أدبية عميقة في التراث الأدبي والثقافي المعاصر.

أسباب تشكّل الظاهرة الأدبية:

لعل من أهم الأسباب التي ساعدت على تشكيل هذه الظاهرة هو:

-توفر الصورة الإعلامية وكثافتها وغزارتها والتجديد اليومي فيها.

-سيطرة موضوع غزة في وسائل الإعلام سيطرة مطلقة، وكذلك الضفة بصورة أخف.

-فداحة الخَطْب، وعظم المُصاب، وجلالة الصمود، وعجائبية الثبات.

كلّ تلك الأسباب جعلت الأدب يتأثر بشدة، ويندمج ويلتصق في الحالة، مما دفع بالكتّاب إلى تسجيل حضورهم في ميدان الفن والثقافة والأدب وإبراز قضاياهم واهتماماتهم إلى أعلى نقطة يمكن للآخرين أن يشاهدوها، ويشترك في ذلك الأديب المعروف، والأديب حديث التخلّق، طريّ التجربة، فظهر أدب جديد، أدبٌ اتخذ من غزة والطوفان موضوعاً له في كلّ نصوصه ومنشوراته وإنتاجه، وهو الأدب الذي شغل كلّ مثقف وأديب وفنّان، وفرض نفسه بقوّة على الجميع، مما يعني أنه ليس حدثاً عابراً أو ومضة سريعة.

فاصلة تاريخية مهمة:

منذ اللحظات الأولى لاندلاع معارك «طوفان الأقصى»، بدأ موكب الثقافة يتمدد ويظهر مرافقاً لهذه الأحداث الجليلة المتصلة، وكأنّ شخصية الثقافة استعادت أدبياتها نفسياً وروحيّاً، لقد كان هذا الطوفان غالي الثمن وبالغ الكلفة، لكنه بنى أسطورة ثقافية جديدة اسمها (غزة)، وتحوّلت هذه البقعة إلى تاريخ فاصل محفور في ذاكرة الأمة، كما أكّد إمكانية الصمود والانتصار على العدو في معركة غير متكافئة في جانبها المادي، وبات واضحاً أنّ ما جرى ويجري في غزة سيكون مرحلة فاصلة بين حقبتين سيذكرهما التاريخ جيداً، كما كانت حطّين وفتح بيت المقدس مِن قبل مرحلةً فاصلة في تاريخنا، رافقها الشعر والكتابة بشغفٍ والتزام. ففي كل فاصلة تاريخية كان الأدب مواكباً: (أدب النكبة/ أدب النكسة/ أدب حرب أكتوبر/ أدب اجتياح بيروت/ أدب الانتفاضة) فالأدب في وجه من وجوهه وثيقة تاريخية أصيلة ضرورية ومهمة.

الخصائص العامة لهذه الظاهرة الأدبية:

يمكننا أن نرصد الخصائص العامة لهذه الظاهرة التي بعثها «طوفان الأقصى» في الأدب والثقافة والفن، على النحو الأولي الآتي:

أولاً: الوحدة الموضوعية

كانت غزة وطوفانها موضوع الإنتاج الأدبي الذي عبّر ويعبّر عنها بوضوح وصراحة غير ملتبسَين، وأما الأفكار العنوانية لهذه الوحدة، فأبرزها الآتي:

-تبرير الطوفان وشرح أسبابه.

-شدة الحصار، وعظم الفاجعة وكثرة الدم.

-خذلان كثير من الحكام لغزة وأهلها.

-التعجب من روح التضحية ولغة الصمود والسلوك الصامد بالقول والفعل.

-تمجيد المقاومة وتأكيد حتمية انتصارها في مواجهة البغي والظلم.

-إبداء تضامن الأمة والجبهات المساندة مع غزة.

-الحصار الذي حجب النور، ومنع الحياة، وأعاد عقارب الساعة إلى الوراء.

-الألوان: اللون الطاغي في هذه الوحدة الموضوعية هو اللون الأحمر القاني المصطبغ بالدم، واللون الآخر الحاضر بقوة أيضاً هو اللون الأسود الذي يلفّ دائرة المعتدي الصهيوني، ومواقف الأطراف الدولية والجوار الذي خذل هذا الشعب في محنته رغم القدرة على نصرته، ويبدو اللون المشرق قليل البزوغ، إلا في لحظات تصوير حتمية النصر وحضور الأمل في مواجهة الظلمة الحالكة.

-تصوير غزة على أنها كعبة العزة وقِبلة الأحرار التي يركع لها المجد، وغزة هي فصل الخطاب، وهي ليست مصادفة بل اختيار واصطفاء وكرامة.

-الحياد في شأن غزة خيانة، والتشكيك في انتصار المقاومة إرجاف، والتطبيع جريمة.

ثانياً: الملحمية

كانت الصور الغزيرة المتلاحقة للأحداث تغذّي منابع الإبداع، فلم تعد المنشورات القصيرة سائدة، إذ عادت ظاهرة المطولات في المنشورات الأدبية، وهي مطولات درامية في أكثرها توثق للحدث شعورياً وأسلوبياً، بنفَسٍ سردي روائي ونطاق حكائي، مع إعلاء شأن العاطفة، ورغبة في تدوين الحكاية التاريخية لهذه المحطة الفاصلة في التاريخ، واستئناف الملحمية في هذا الأدب ظاهرة مهمة تستأهل التثبيت والتوثيق، فاتخذ التعبير عن هذه الملحمة شكلاً موضوعيّاً متماسكاً تشيع فيه الأنفاس الطويلة والمتوسطة والقصيرة المشبعة بالمعاني النبيلة.

ثالثاً: العاطفة الجياشة

امتزجت الغنائية الفردية بالجماعية الملحمية في تناغم وائتلاف، بل تلبّست حالة الأديب حالةَ غزة وسكنته، وعاشت معه بتفاصيلها فصار ناطقاً باسمها، محترّاً بحرارتها، متفاعلاً مع غليانها، تتولد منها حالة احتجاج حادّة مع شحنات غاضبة ثورية كانت تتجاوز في بعض أمثلتها حدود النقد إلى التجريح القاسي والسبّ المقذع والسخرية اللاذعة الكاوية الغاضبة من الذين تركوا شعب غزة بلا نصرة، والسخرية من أسلحتهم المخزَّنة التي لا تخرج إلا للاستعراض أو قمع الناس. وهذا الأدب لا يسعى إلى اكتشاف حقيقة غزة، بقدر ما يكشف عن رؤية باتت شديدة التأكيد والتحصين، بما يمكّن من بناء حالة وعي كثيفة لا يمكن كيّها أو تنفيسها بعد التعبئة الهائلة التي استوعبتها، واستطاعت هذه العاطفة الواعية الكثيفة أن تسترد حالة الوعي وتبنيه على أركان متينة.

وكانت هذه العاطفة متأثرة بشدة وعنف بالصورة الحية -بالدم والموت والدمار- كما تأثرت كثيراً بالثقافة الدينية؛ لذلك نجد اللغة الاعتذارية في معظم النصوص

تقريباً مع الاعتراف الأثيم بالتقصير والعجز والهجوم على الذات.

رابعاً: الواقعية الوصفية

بما أنّ أدب الطوفان وليد الصورة البصرية الكثيفة، ووليد المتابعة اللحظية للحدث بتطوراته وامتداداته فقد اتسم بالواقعية الوصفية، لذلك نجد أسماء الناطقين الرسميين بلثامهم المميّز، والاحتفاء بالبطولات المصورة للمقاتلين من مسافة صفر، والبحث عن رموز تشخيصيّة باهرة في أعمالهم التي لا تظهر فيها وجوههم وأشكالهم ولا أصواتهم الحقيقية، ونجد أسماء البقاع التي تدور فيها الأحداث: المدارس والأحياء والمناطق والمعسكرات والمناطق الحدودية والقرى المحاذية لغلاف غزة، كما نجد أسماء مَن وقف مناصراً للمقاومة ومَن خذلها، وباختصار فإنّ هذا الأدب يكتب معجماً جديداً في لغة الأعمال الأدبية. لكثرة النماذج الواقعية المرصودة.

وأعادت أحداث الطوفان رسم تحالفات الفن والأدب والثقافة، وأعادت قيم العاطفة الانفعالية إلى الصدارة، وأشعلت شرارة الأدب لدى المبتدئين والمخضرمين، واستطاعت المعركة أن تكوّن رحماً يتخلّق فيه الأدب من جديد، وبات السؤال النقدي الراصد للأدب عن تأثير طوفان غزة على ألوان الإنتاج الأدبي في الدراما والفن والرواية والشعر والمسرح والفنون التطبيقية والتشكيلية والكاريكاتير والملصق وفنون التصميم والتصوير...

وبدأ النقد يبحث عن المشهد القادم وكأنّه يستشرف المستقبل الأدبي بين الواقعية والغرائبية، ومحاولة البحث عن أيّ فعل كتابي بأي صورة ممكنة مهما صغرت. إنّ المقولة السائرة اليوم عن أنّ العالم قبل طوفان الأقصى سيختلف عن العالم بعده، ليست في السياسة والاجتماع فحسب، بل هي في قلب التحولات الأدبية القادمة التي تستلزم من النقاد مواكبتها ورصدها ومعاينة هذه التحولات في تجربة عالمية لا تتكرر كثيراً، نقلت القضية الفلسطينية إلى أعماق الوعي العالمي، ومزجت عناصر الفنّ مزجاً شديداً توسَّعت فيه اللغة والخيال والرؤية إلى بُعدٍ كونيّ يتأسس على قضيّة شاغلة ذات أبعاد دينية وروحية وإنسانية وثقافية وتاريخية وسياسية.

المآخذ على الكتابة عن هذه الظاهرة الأدبية:

-لم تستطع هذه الكتابة إعادة إنتاج الحدث في صورة تخييلية أرقى وربما يعود سبب ذلك إلى أن هذا الأدب كتب في حقل الأزمة، وكثافة الصورة ومباشريتها، كما ارتفعت الحاجة إلى استخدام تلك الكتابة في المنابر الجماهيرية؛ مما اضطرها إلى التجاوب مع ثقافة الجمهور العامة.

-هبوط المستوى الفني والركاكة في البناء دون امتدادات واسعة للغة والأدوات الفنية الأخرى.

-الكتابة عن الصورة الخارجية للطوفان وعدم الدخول إلى أعماق النفس الغزاوية التي تواجه وتقاوم وتتعرض للويلات والفجائع في آن.

- عدم التنوع في الأفكار الفرعية التي تشكّل الوحدة الموضوعية للنص المكتوب.

-بسبب الثقافة الدينية مال -أحياناً- كثير من الكتابات إلى التقريرة والمباشرية والوعظية، وهو ما أعطاها روحاً منبرية خطابية وحسب.

-كانت العاطفة الجياشة مصابة عند البعض بحالة من العجز والإحباط المفضي إلى الكتابة أحياناً عن فداحة الخطب وشيوع الدم واختلاط أحشاء الأطفال والنساء بالرماد وبقايا الدمار، فأنتج كتابة نقدية لاذعة للمقاومة التي فجّرت السابع من أكتوبر.

خلاصة:

ما يحدث في غزة الآن ليس جديداً على هذا الشعب الذي قاوم الاحتلال منذ أن كان الاستيطان مجرد فكرة، وما يحدث في غزة الآن حدث في فلسطين قبل نكبة 1948 وما تلاها بلا أي تغيير، بلا أي تهاون، فلم يمرّ يوم منذ النكبة حتى الآن لم يُقتل فيه فلسطيني إلا بسبب فلسطينيته (الفلسطيني الجيد أو الطيب هو الفلسطيني الميّت).

كلّ الروايات والقصص والقصائد التي كُتبت وستُكتَب سوف تحرم العدو من أن يمارس محوه للذاكرة الفلسطينية، وسيصبح المبدع الآن مؤرّخاً عظيماً، فقط لأنه وثّق حقيقة بدت عصية على التصديق في عصر التطبيع والسعي إلى «السلام» مع عدو لا يريد السلام لأي أحد، وإذا لم نكتب فما مصير كل الحكايات التي لا نكتبها؟ هل ستصبح مُلكاً لأعدائنا يسجلها بسردية مختلفة كما يريد؟! هل سيمحوها الزمن؟ وهل ستتلاشى الهوية؟ كل هذه الأسئلة الخطيرة برسم الأدب والمبدعين لا برسم الطوفان الذي كتب ويكتب ملحمته على طريقته غير عابئ بالعابرين على اختلاف أنواع العابرين.

وإذا كان المقاوم الفلسطيني قد ألغى كل المسافات في مواجهة المجرم الصهيوني، فإنّ على الأدب المقاوم الجديد أن يحطّم كلّ حدود الكتابة النمطية ويكتب من مسافة صفر؛ لأنه من أكثر المستفيدين من هذا الطوفان إذ وجد قضيّة غير محايدة ينطلق منها مجدداً بعد رحلة طويلة من الانكفاء على الذات والشعور بالعدميّة والخراب الثقافي، وانتهاء مبرّرات سؤال جدوى الكتابة، وستكون هذه الظاهرة «ظاهرة طوفان الأقصى» رافعة لأدب المقاومة من جديد، ولكن بشكل مختلف كثيراً عن تقاليد أدب المقاومة وأنماطها التقليدية التي سادت فترة من الزمن، فعليه أن يكتب بلغة أسلوبية جديدة أكثر حداثة وتراثيّة في الوقت ذاته.

أيها المبدعون، أيها الكتّاب لا تجعلوا الكتابة تصاب بالبياس والنمطية، اكتبوا ليسجّلكم تاريخ الأدب ضمن قائمته الطويلة التي لن يكون آخر فصولها زمن الطوفان، مادام أن هذا الطوفان لم يغرق المحتل ويلقي به في قعر مظلمة كما ألقى بكل الغزاة الذين مرّوا على هذه البقعة الجغرافية المميزة من العالم.

أكَلَة الضوضاء

عبد النور الهنداوي ـ شاعر وكاتب من سورية

أقدامنا التي ضاعت وقت الولادة.

ونحن الآن ضيوف شرف على قاع التاريخ، كي نشاهد الدم وهو يسّاقط من كلّ الاتجاهات، ولا باس أن نسقط جميعاً أمام الأذرع الطويلة، لعلّها تصل إلى أسلافنا، أمام هذا المشهد الرهيب، قهقهات الملابس البالية .

لقد مللّنا الصيغة الببغائية، وإن كنّا لا نملك سوى الدعوة إلى وقفة قصيرة، أو برهة مع الضمير.. إن كنّا نعرف ما معنى كلمة ضمير !

أنفاق أسطورية على الحدود الأوروبية لرصد آلية نشأة

الكون، وأنفاق أسطورية على الحدود العربية المجيدة لرصد آلية العدم .

نحن العرب غارقون في الثرثرة، وغارقون في اللامعنى، ولا مكان لدينا للجدلية الراهنة، العودة إلى واقع أخذ قيلولته، أو غيبوبته لألف عام، كي نتلمّس تسويق النسخة الأولى من كتاب التفكّك، والتفتّت، وإن كان بنيوياً أو أيديولوجياً؛ وهذا هو الرهان الحالك، أن نهبط بالأحذية الملصَقة على وجوهنا باتجاه القرون القادمة.. لنعرف كيف نتعاطى مع الزمن، ونمشي إلى الأمام كما لو أننا نمشي إلى الوراء .

كيف لنا أن نوازن بين المنطق العربي كي لا يسقط المكان، وهل ثمّة مكان لنا غير هذا المكان؟

إلى الآن لا دلائل أننا اقتربنا كثيراً من المجهول؛ لكننا بالتأكيد نقترب وبخطى حثيثة من حدود الكارثة . هذا بسبب عشوائية الأمكنة التي نلملمها بأيدينا.. مع قليل من النشيج .

قد يكون ما يحدث الآن في بلادنا، أنّ تواطؤاً بدائياً يترعرع بين جنبات الحكام العرب، وثقافة العرب،

وسكاكين العرب، ولا نجيد غير ذلك الصراخ الأعزل، وهل يستطيع الصراخ أن يتوقف عن الصراخ؟

حتى الآن لا تزال قدسية الأمكنة العربية داخل أواني «التنك» مجرّد صدى، ودعوات لتعديل هيكلة الخوف من المطرقة اليهودية، وها هي أمكنة العرب، كل أمكنة العرب تقف وراء اللغة، وقد تهلهلت، وأعلنت بوقارها البلاغي أنّ الحقّ لنا، وبلاد العرب أوطاني، وبترول العرب للعرب، لكلّ أمة العرب !

ما تبقى من الأمكنة العربية ليس سوى دكاكين ضيّقة جداً لبيع الدم، وإن كل تلك الجَلَبَة جاءت من حائط البراق، وإن المومياءات العربية حولتنا إلى حطام أبديّ لا يحتاج كثيراً من الوقت كي نختال تحت عباءة حداثة القتل، وهيكلة أصابعنا بتقنيات يهودية كي نتلمّس حجارة حائط المبكى !

يقول حاخام يهودي: إن المكان العربي، ليس أكثر من خزانة صدئة للياقات القذرة، وعلينا وعلى العالم أيضاً إسدال

الستارة على أمكنة الموتى، وثقافة الموتى، وعلينا أن ننتظر ماذا يوجد داخل أمكنة الرماد !

من هو المسؤول عن الخراب، وعن الجثث، وعن موت الأفق؟ أو كما يقول كافكا: «ماذا نشاهد ونحن نقتفي آثار أقدامنا الميتة؟» ولم نلاحظ هذه الإبادة التاريخية، والثقافية، والفلسفية التي هي أشدّ هولاً من الإبادة الجسدية وإن الزمكان العربي هو الآن شديد الشبة أو إنه على قياس - مرثيات إرميا -

هل نسينا الفلسفة العربية التي تؤكّد أن هذا التراب الذي يختزن دويّ القرون، هو ترابنا الذي يتلألأ في دمنا؟

أي أمة، بل أي شعب لا يجب أن يقاتل من أجل الأرض أي من أجل ألّا تبقى الهمجية على تخوم الروح !

هل نصرخ على صراخ الأرض في وجوهنا الصفراء، وعِظامنا الباردة تترقّب الانتظار، وإن تراب العرب، وأمكنة العرب، هو جزء لا يتجزّأ من شرف الأمة؛ وهل نحن بحاجة إلى هذا الكلام كي نكتشف حساسية هذا الشرف بالنسبة لأجيالنا؟ وإن ثرواتنا قد تبدّدت في أشياء عبثية أقرب إلى الفضيحة.

ما أعنيه أننا نعيش في عتمتنا البعيدة، ولا نحتاج لا إلى الحلم ولا إلى اليأس؛ فقط نحتاج إلى التماهي مع الحياة داخل الأشباح، وأن نستيقظ في لحظة ما، بين مقتضيات البقاء، وبين النظر إلى مستقبل محترق .

لقد أُنهكنا واستُنزفنا، وتقطّعت أوصالنا بذلك الصياح الذي بنيناه بأظافرنا، والذي لا يبني لا مجتمعات ولا سلطات إلّا إذا كانت الغاية تحولينا إلى أسرى، أو مزرعة للقبائل «التي» تمارس علينا لغة ما قبل القبيلة .

الأفق العربي صار على قياس الزقاق العربي، بل على قياس المقبرة .

قد يقول أحدنا: لقد حدث الخطأ العربي جيداً، ولا بدّ من إظهار الذات أمام الذين دفعوا أكتافنا إلى الوراء، واليهوديّ يدفع بأسنانه ليقضم الأطلال ونحن أمامه نقضم التاريخ .

علينا أن نعترف بصعوبة الأيام، وباحتمالاتها، وأن للأرض لغتها الخاصة، فيما ملوك وأمراء العرب يرقصون بأقدامهم المرصّعة بالذهب الأسود _ الأسود جداً _ فوق زمننا، وأننا سنظل أمامهم خيالات باردة، وأصابعنا تلامس فزّاعة محطّمة.

اللعبة القبلية لا تزال تنسج خيوطها في أرجاء الأرض والغرب اليهودي - كل الغرب

يهودي - يقف بصراحة ضدّ أي تفاهم عربي فيه الحد الأدنى من مستقبل عربي !

المثقف العربي يستعيد الآن لحظته العربية القاتلة، والعقل العربي داخل الغرفة الضائعة، بين تجربته المريرة والمعقّدة، وبين تضليله البنيوي الذي يمرّ بأسوأ ظروفه الراهنة.. والأدبيات الصهيونية تصرّ جازمة على نقل الثقافة العربية كلّها إلى البحر الميت، لأن العربي كائن هلاميّ إلى حدّ بعيد !

كل ما فعلته الصهيونية أنها مزقتنا بإرادتنا، واستخدمت أدمغتنا أحذية لهم، واخترعوا لنا كل ما نحتاجه كي نطحن هواءنا العربي دون أن يُسمح لنا بأن نفكّر.. مجرّد أن نفكّر بالخلاص .

تحت وسادة كل واحد منّا ينام الاحتمال، عينان جاحظتان للاحتمال، جدار شامخ بين العربي والعربي، واليهودي يضع لكل عربي أمنه الخاص.. وما ظلّ لدينا حجر على حجر، ولا جثة على جثة، ومع ذلك يوزعون لنا الطحين، وثاني أوكسيد الكربون، وثاني أوكسيد الموت .

هل إذا أردنا ترتيب عِظام التاريخ، ونفخنا في جثث قادة المعارك الأولى، واستطلعنا العناصر المشتركة بين ابن خلدون والعلّامة «علي الديك» وأحصينا عدد المقابر، والشهداء، - كل الشهداء من العرب - وقرارات الأمم المتحدة.. وكل ما أنتجته جامعة الدول العربية، والفضائيات، وقصور العرب من أول الأندلس حتى يومنا هذا، وتعرّفنا على الأرصفة، أرصفة الأمم المتحدة طبعاً، والقصائد العربية الفارعة الطول، ومراكز البحوث، والقبلات المفخّخة، ومزارع الدجاج، وكتب تفسير الأحلام، والقهوة العربية الأصيلة المرّة تماماً، والطرقات التي تؤدي إلى المجهول، وطناجر الطبخ، وغرف النوم الوثيرة، والازقّة العربية وأولادها والعلاقات تحت ظل الهيكل، والخناجر العربية القحّة، وإذا سألنا وعرفنا أن عوفيديا يوسف الحاخام الصهيوني وصَفَنَا بالديدان البشرية، وأن رئيس جامعة الدول العربية يتحدّث بطلاقة منقطعة النظير عن عبقرية الغبار، وأن جدلية الثقافة العربية محصورة بين اللحظة المقدّسة، وبين الببغاء التي تتحدث في وعن فلسفة الرغيف؛

فلنكن إذن على ذلك المستوى من الرؤية الذي تحملنا على إعادة تشكيل ظلامنا.. وأن هناك فتاوى في كيفية فتح أفواهنا، وكيف نستطيع أن نعيش من دون البيبسي كولا .

تقول التوراة: - كان الله يحبّنا حين كانت قدماه عاريتين - نحن اليهود الغارقون في التيّه، يُفترض من أجلنا أن تسقط الأرض كل الأرض تحت أقدامنا !

لا أدري من أين جيّء بهذه الآية التوراتية التي تعني إزالة ما تبقّى من هواء العرب، وأننا كلّفنا جدّنا بديع الزمان الهمذانيّ بإعادة ترتيب مقاماته على قياس الأحذية اليهودية، وأننا لسنا من أبناء هذا الشرق الذي لعب يوماً بأصابع العباقرة !

إنهم يستخرجون كل شيء من عيوننا، وأن الصهيل الذي ألفناه تمرّد علينا، ووقف مشدوهاً جانب الظِلال أو كما يقول فوكوياما: نحن البشر القدامى علينا أن نحزّم جثثنا ونتقرض .

فالعربي الذي كان يقود حصانه إلى ما بعد الموت، يقوده الآن إلى الفراغ، بل إلى ما بعد الفراغ؛ إنها الأيديولوجيا العربية التي تعاني من عجز جنسي، ولا تخاف من أي شيء، لأنها فقدت كل شيء .

علينا إذن أن نتّحد في العالم الآخر.. ويذهب الدم العربي لتزيين الثريات، ونصفّق حول من ينصحنا بالرحيل أو الانتحار، ونبتهج لتجريدنا حتى من الأطلال، ونتحاور في كيفية مزج الفلسفة بالرخام الساخن، ونسخر ممّن يتحدثون عن معلقات الدم .

اليهودي الذي يمنحنا نكهة العواء، هو اليهودي الذي يرى

في التوراة كل تجليات الأزمنة، ويرى في أرض العرب، ذلك الوعاء الذي لا يفرغ ابداً .

قلت لأحد الأصدقاء: علينا إشعال النار حول مقابرنا لتظل جثث موتانا ساخنة، وهذه صفقة رثّة بين أن نخرج سهواً من هذه الأزمنة، وبين أن نصير سخرية أمام أجيالنا القادمة من الأدغال !

كل الثعابين العربية، تتقن اللغة العبرية، وهذه حالة تعنينا كثيراً حين تحولت الفلسفة العربية إلى كوميديا هزيلة.. مع أن المستقبل العربي يتضاءل كثيراً دون أن نعرف أن صاحب- صِدام الحضارات - لم يات من العدم ، إنه القتل المنظّم للعربي تحديداً ، وبالتالي يكون بين أيدينا مجتمعاً محطماً ولا نرى في اليهودي إلّا باب المقبرة، وبعضهم يخاف أن يتوقف التاريخ، أو تتوقف الجغرافيا عن العمل إذا توقف حفّار القبور !

هل نقول إن تاريخنا سيموت جائعاً؟ وثمّة اشياء أخرى غير النفط العزيز تنبعث من أرض العرب، هل على العربي أن يرتدي قميصاً حجرياً ليتفادى جنونه الفردي، وينطلق باتجاه البداية الكبرى أي قيامته الكبرى، وهل تعذيب تاريخنا هو تعذيب مستقبلنا، وهل الدخول في تفاصيلها الرمادية يعني أننا نمشي بخيلاء ذليل؟ !

_ أحداث طارئة في الفلسفة العربية فكانت ولادة العربي

_ ضجيج غامض ولا نهائي يملأ وجوهنا.. وبحاجة إلى قطعة طارئة من الفلسفة لغسل المستحيل

_ الغوغاء التي نمتلكها لا أحد يعرف متى» ينهال» التراب على حياتنا ، لأننا متنا داخل عظامنا .

_ داخل العقل العربي لا يوجد أي شيء إطلاقاً، لأن جدليتنا أزلية بين العبقرية المحطمة، والهزيمة المحطمة، ولأننا أيضاً ضائعون بين أكَلَة الضوضاء، وأكلة الدم .

_ لا مكان للأصابع المرهفة وأجسادنا تائهة بين لاوعينا

ولاوعينا

_ العِظام اليهودية لا تصلح إلّا للثياب العسكرية، والآلام صنعت التوراة قطعة قطعة، ونحن بدورنا صنعنا التوراة الجديدة قطعة قطعة .

هل نهرب إلى آلام أقل ونقول: الآن اكتملت عظامنا،

والأسلحة امتلأت بالحنطة، والهواجس المبرحة؟!

السؤال الآن: هل نصنع جدراناً من الأدعية كي لا ننتهي؟ أم نطلب من الله أن ينقلنا إلى أرض غير هذه الأرض.

إن أفضل ما قدمه التاريخ لنا، أننا أمة خائرة، ومنذ أن سقطنا في الأندلس، ونحن نسقط ونسقط ونتسلّق الأشياء الساقطة لأن أرواحنا لم تعد بحاجة إلى سيقان؛ بل إلى نصوص توراتية جديدة تعيد لنا قناعتنا الأولى بأن الأمكنة تختنق وتختنق تحت ثيابنا .

الخوف لا يعرف النهايات
الخوف أن تأكلنا عظامنا،
ونحن
ضائعون بأقدامنا !

نص

إلى روح شعبان الدلو
الذي قتل محترقاً تحت القصف

حميد بوحبيب ـ شاعر من الجزائر

ديرُ البلحْ
ديرٌ ليس فيه لا بلحٌ
ولا تمرٌ ولا رمّانْ
خيامٌ تترامى
على تخوم الوحَلِ
والجوعِ والغثيانْ.
*
لم يكن شعبانُ ساذَجا
ولا غرِّيرا
كان يعرف أن المستشفى
في غزَّةَ
قد يغدو فجأةً قبرا
ولكنَّ قلبه المتوثبَ
إلى مشارفِ النقاء
كان يحدوه لزرع
البسمةِ
على وجه أمه آلاءْ
وكان شعبانُ يعزف على الغيتار كل مساء
ليطردَ أسرابَ اليأس
كيما تعود للأطفال بهجتُهم
كيما تعود لهجتُهم
قبل أن تأتيَ الغيلان.
*
وكان شعبان يعرف «كلام ربنا»
وكان يرتِّلُ ما تيسر من قِصار السوَرْ
لتلطيفِ الجنائزِ
بشيء من رحيقِ الأبدية.
*
وكان شعبان يلهو بالخوارزميات
ويرنو إلى المستحيلْ
من ثقب رُقاقةٍ
أو من شاشةٍ زرقاء
يداري آلام الكبد
ويرضى من الدنيا بالقليلْ...
وكان...
*
كان سِربُ طائراتٍ يحلق
والخيام في الدير تعبث بها الرياح وتلفحها النيران...
وكان شعبان ممدداً على السرير
يراقب قطيرات السيروم
تنفذ إلى ذراعه عبر الأنبوب
وكان...
أن صار اللحم الآدمي رخيصا
وصار شواء
على مرأى العدسات
*
قبل أن تفلت الروح من القفص
احتمى شعبان بصدر أمه
أو هكذا كان يرغب
أغمضَ شعبان عينيه
عض على النواجذ
وصاح في قلب اللهب:
«رباه ...
أليس في قضائك
موت أرحم من لفح النيران
أليس في ملكوت السماء نواميس
تمنع احتراق الأم إلى جنب وليدها!!
رباه...
إني أعود إليك شواء
إني أعود إليك رميما
فلملمني إن استطعت
وقل لي...
كيف تنجو الغيلان
من غضب السماء!

قصة قصيرة

ليلة هواجس

أحمد الخميسي ـ قاص وكاتب من مصر

لا يدري كيف وجد نفسه في مكان يلفه غيم سابح من ضوء برتقالي شاحب، تسيل فيه كل رقعة في رقعة مجاورة بلا حواجز ولا جدران. تمهل ليدرك إن كان هذا غروب ينسحب منه نوره، أم بداية عتمة الليل. تلفت حوله، ثم تطلع إلى الأمام فشاهد منصة مستطيلة ليست بالبعيدة ولا بالقريبة، أدام النظر إليها بمزاج عكر وأعصاب محترقة تجن اشتهاء إلى التدخين. هناك جلس ستة أو ثمانية رجال بأكتاف متلاصقة، يوشوشون بعضهم بعضاً. داخله شعور بأنه رأى تلك الوجوه من قبل في الصحف. مر ببصره على أياديهم يفتش فيها عن ذؤابة سيجارة مشتعلة فلم يرَ. تمتم: «لكن من غير المعقول أن تجتمع عدة شخصيات رفيعة الشأن ليس من بينها مدخن واحد؟».

فجأة مثل السحر انبثق إلى جواره رجل قصير. طلع واقفاً بالقرب منه من دون أن يحدث ظهوره أدنى صوت أو رفة هواء. لبث القصير واقفاً برأس مرفوع مرسلاً بصره إلى المنصة بعنجهية وغطرسة، وقبل أن يجد تفسيراً لذلك البزوغ المباغت لوى القصير رقبته ناحيته وخاطبه بنبرة متعجرفة: «تفضل»، وبسط ذراعه في اتجاه المنصة ثم اعتدل كما كان من دون أن ينتظر كلمة. لم يفهم ما الذي يعنيه القصير بقوله «تفضل»؟. أحس رأسه يكاد ينفلق وخلاياه توشك أن تجن من حاجته إلى سيجارة وأن قدميه لا تحملانه. تجنب القصير وراح يخوض بخفة في الغيم البرتقالي الناعس. تفرق بصره بين حلقات صغيرة من أناس يتبادلون الأحاديث. عليه أن يعثر في ذلك الحشد على صديق يسعفه بسيجارة.

برق أمامه وجه بدا مألوفاً وإن كان لا يذكر صاحبه. تقدم إليه. توقف أمامه يتوسل سيجارة بنظراته، فدس الرجل يده في جيب سترته وسحب علبة دخان لكنه ما إن رفعها في الهواء حتى وضحت منبعجة الجوانب فارغة. رد العلبة مصدوماً.

وجد نفسه ثانية - لا يدري كيف- أمام المنصة والقصير في مكانه كأنه كان في انتظاره. تحول إليه بهزة رأس متغطرسة ودمدم بصوت كالصلب: «إنهم في انتظارك. ألم أقل لك تفضل؟». من هم الذين ينتظرونه؟ وما مناسبة هذا الاجتماع المهيب؟ ولم يدعونه هو تحديداً من دون الآخرين إلى المنصة؟! خامره مع الأسئلة الحيرى شعور بالأسف الشديد على أنه خرمان في لحظة بالغة الأهمية قد يصعد فيها إلى منصة فيجالس شخصيات رفيعة المقام. أربعين عاماً يدخن ويحاول الإقلاع إلى أن سلم بعجزه وتعايش مع ذلك الشعور، لكن ارتفاع الأسعار على نحو جنوني رده إلى ضرورة التوقف، فلم يدخن في الأيام الثلاثة الأخيرة سوى أربع سجائر، آخرها كان مساء أمس. والآن تفسد عليه حاجته إلى سيجارة قدرته على التركيز في الصعود إلى أعلى والإحاطة بمغزى هذه اللحظة المهمة.

أفاق من خواطره على القصير يسدد إليه نظرة صارمة ويصيح فيه بغضب: «قلت لك تفضل. ألا تسمع؟». لا بد أن الأمر بالغ الخطورة بحيث يرسلون إليه خصيصاً هذا القصير الساخط الممتعض. الأرجح أن يكون هدف هذا الاجتماع الرصين اختيار شخص ما لمنصب كبير وربما حتى رئيس الجمهورية. لكن ما علاقته هو بذلك؟ لقد قضى حياته بين البيت والشغل عاكفاً على احتياجات زوجته وأولاده الثلاثة، ولم يكن له أي اتصال بشؤون سياسة أو أحزاب معارضة. ترى هل أنهم يدعونه إلى الصعود تحديداً لأنه بلا تاريخ؟ نكرة؟ يصعد ويرتبك أمام القاعة ويبرطم بكلام تائه في العموم، ومع ذلك يترك ظهوره وبساطته وسذاجته

انطباعاً بالنزاهة في كل الأمور؟. لكنهم لا يتخيلون ولا في الأحلام أنه على علم بكل صغيرة وكبيرة وأنه عاش يتابع الأحداث في صمت وفي السر، يعلق عليها بينه وبين نفسه. لا يعرفون أنه ليس بالبساطة التي تبدو على وجهه الطيب وفي أنفه الضخم. عاد ببصره إلى المنصة: «لكن ما الذي سأخسره إذا صعدت؟ سأقف صامتاً عدة لحظات في البداية، ثم أتنحنح كما يفعلون، وبعدها أتلفت حولي متسائلاً بنظراتي: أين السجائر؟ فيهرول شخص نحوي ويضع علبة دخان أمامي منحنياً بكل احترام أدخن منها حتى أشبع، ثم أدق على المنصة بقبضتي مرتين، هكذا يفعلون، وألقي خطابي، وحينئذ يصابون بالذهول وقد صدمهم أن ذلك النكرة المجهول على علم بكل شيء. سأتكلم عن قضية مياه النيل وأن التفريط فيه تفريط في الحياة، وعن استعادة جزيرتي تيران وصنافير، وأيضاً أهمية استنهاض الصناعة والكف عن بيع أصول الدولة، ثم أتطرق إلى توفير الخدمات الصحية للناس والارتقاء بالتعليم، وأخيراً أقول بصوت عال وبقوة: إن مطلبي العاجل وقف الغلاء الذي فاق احتمال البشر. الله يلعن الدخان لو وجد سيجارة واحدة الآن لرتب أفكاره بحيث تخرج منظمة واضحة. برقت في مخيلته فجأة بدلته المعلقة مدلاة على مسمار في باب حجرة النوم، هناك علبة دخان كاملة. اندفع يدوس ضباب الضوء البرتقالي نحو البيت، وجد نفسه هناك في غمضة عين. فتش البدلة بأصابع مرتجفة وأنفاس لاهثة لكنه لم يعثر على شيء.

مجدداً رأى نفسه واقفاً أمام المنصة وجهاً لوجه مع القصير الذي صاح فيه بصوت كالرعد: «إنهم في انتظارك. هل تفهم هذا؟». تمتم لنفسه باستسلام: «لا مناص من الصعود، المهم ألا أرتبك، وأن ألقي كلمتي بثقة وأن أقول كل ما لدي من غير خوف». قطع القصير استرساله في خواطره بلكزة في ظهره دفعته خطوة إلى الأمام كادت أن توقعه على وجهه. قال له القصير من بين أسنانه غاضباً: « قلت لك إنهم ينتظرون». تقدم نحو المنصة حتى لم يعد أمامه سوى ثلاث درجات من سلم خشبي ويصبح في الأعلى، فيرتفع من القاع إلى القمة خطفاً حتى لو كان خرمان ورأسه مهروس باضطراب. رفع قدمه اليمنى ووضعها على الدرجة الأولى ورأى عن قرب وجوه الجالسين يحدقون به باهتمام وتوتر وترقب. ارتقى الدرجة الثانية ثم الثالثة وتوقف يلتقط أنفاسه، لكن موجة معتمة لطمت رأسه، فترنح في مكانه، وتلاشت المنصة وغاب المكان.

أفاق عند الفجر قرب زوجته وقد غطت في نومها العميق وهي تشخر. هز رأسه عدة مرات يزيح غيوم النوم. تربع على السرير. نهض بحذر وخرج إلى الصالة وتسبقه أنفاسه وعيناه إلى موضع علبه السجائر. مد يده بلهفة مضطربة إلى المنضدة وسحب سيجارة. أخذ الخدر يسري في أعصابه المشدودة ويهدأ صدره وتنتظم أنفاسه. دار ببصره فيما حوله. كل شيء في موضعه لم يمسه أي تغيير. امتص الدخان بمتعة واسترخاء وهو يتمتم لنفسه: «لكن أليست غريبة أن يفكروا في شخص مثلي لذلك المنصب الكبير؟». زحزح الكرسي إلى الخلف ووقف يقاوم رغبته في إيقاظ أولاده الثلاثة ليحكي لهم ما جرى. لن يصدقوا ما حدث خاصة حين يقص عليهم كيف كان يضرب المنضدة بقبضته وهو يلقي خطابه ثم ما تلا ذلك من تصفيق متصل. لن يصدقوه. عاد إلى الجلوس يسرح مع خواطره، ولمعت عيناه بسرور من الدهشة: «هكذا بغتة. حدث كل شيء فجأة.. غريبة. لكن جميلة. جميلة بالفعل».

كتائب الشهيد أبو علي مصطفى
الإعلام الحربي
Abu Ali Mustafa Brigades

الشهيد الرفيق والقائد الميداني البطل

سليمان عبد الكريم الأحمد

والذي استشهد أثناء تصديه البطولي مع رفاقه وإخوانه الأبطال للعدوان الصهيوني الغاشم على لبنان عند الحدود الفلسطينية - اللبنانية يوم السبت ٢٦ تشرين أول / أكتوبر ٢٠٢٤.

السّابع من أكتوبر.. حين يتفاءل القدر!

مروان عبد العال

روائيٌّ وعضو المكتب السياسيّ للجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين

بعد مرور عام على السابع من أكتوبر، هل الفصل بين التشاؤم والتفاؤل، مغامرة أم ترف؟ في زمن حربٍ تطحن الأخضر واليابس ولم تضع أوزارها بعد، وأيام الحرب الدموية دائما قاسية ومؤلمة وقاتلة، هل تتخيّل كيف يرحل أعز النّاس على قلبك؟ رفاق وأحبة واهل، زرافاتاً ووحدانا، دون أن يكون باستطاعتك حتى أنت تودعهم؟

فظائع رهيبة ترتكب بهمجية الحداثة التي هي حقاً حرب الروبوت المدجج بالطائرات، كما وصفها محمود درويش في خطبة الهندي الأحمر ما قبل الأخيرة التي بصقها في وجه السّيد الأبيض، سيد رُوما الجديدة، التي توحد إمبراطورية الشّر بين إسْبارطةُ التكنولوجيا وَأيديولوجيا الجنون، لذلك ليس التفاؤل فعل غباء، يدّعي أن كل شيء رائع، بل التفاؤل مبني على قناعة بأن هذا الشّر بكل ما فيه من تفاهة إنما هو أمر عابر لا يقدر دوماً على تدمير روحنا و قتل إنسانيتنا والتصاقنا الأبدي بالأرض.

عملية طوفان الأقصى كانت انقلاباً ثورياً على التشاؤم السائد، تمرد على اللاجدوى وتعظيم الظلم إلى درجة الاستحالة، فنحن لسنا فقط في زمن الاشتباك، نحن في زمن الإنقلاب الثوري..

السّابع من أكتوبر إعلان ثوري بأنه توجد دوماً بدائل، لقد قالها كل بطل في غزة أنني ذاهب للحرب لأن الحياة التي أحياها لا تناسبني، هي حياة خانقة من شدة اليأس والحصار والإبادة النّاعمة في عموم فلسطين، قتل أكثر من ٢٠٠ شاب فلسطيني بدم بارد في الضفة في العام الذي سبق السّابع من أكتوبر، واستمرار الاغتصاب والاستلاب وانتهاك الكرامة والحياة والحقوق على مدار سنوات الصراع، فكان يوماً فارقاً لترجيح كفة التفاؤل على التشاؤم، وأياً كان الأمر فإن التفاؤل لا يصدر عن سذاجة ولا عن سطحية فكر، بل عن وعي معرفي وتجربة ثورية عظيمة، كي لا يتحول التفاؤل إلى شكل من أشكال الغباء، كما حذّر الروائي العظيم «ساراماغو» الحائز على جائزة نوبل في الآداب، والذي جاء تحذيره انحيازاً للحقيقة التي تختبئ دائما وراء كلام مثالي دائماً ما يقوله أصحاب هوس الشّعارات الرّنانة من أهل السّياسة وغيرهم.

هل أنت متفائل؟ سؤال يطرح بعد عام على السّابع من أكتوبر؟ هل كان هو ذاته مبني على التفاؤل أم التشاؤم؟ إنه الأحجية التي لن يكشف أسرارها إلا أبطال السّابع من أكتوبر، هل كنا نعرف أن العالم بهذه القذارة؟ وبنينا كل الأمل على قدرتنا في تغيير العالم.

ربما ثمة نوع من التشاؤم يحث على اليأس وعلى الجمود، ولكن ليس كل متشائم مرشحا لكي يطلق النار على نفسه، ثمة تشاؤم آخر مفاده أننا ندرك أنّ الواقع بهذا السوء سنحاول، ضمن إطار قدراتنا على تغييره"، فكان السّابع من أكتوبر عنوان لمرحلة تاريخية ذات قيمة إنسانية عالية تركت بصماتها التاريخية الحادة في الوعي الوطني والقومي والإنساني، وتجسيد حقيقي لتفاؤل الإرادة، وإن كان التشاؤم ينبع من الذكاء، أما التفاؤل فمن الإرادة، على حد قول المفكر "أنطونيو غرامشي" وبالنسبة لنا هو تفاؤل القدر، بين الإرادة التي يقع به فعلك، ولكن تفاؤل لا يعني الخروج عن قدر الإنسان الفلسطيني؛ لسان حاله يقول : أيها اليأس اذا أضاءك يوماً ضوء مقاتل، كن نفقاً لتخرجنا إلى نهار آخر، حينها سنعرف أننا حقاً على أهبة الفجر كما قال درويش، ويا أيها الطوفان قبل أن تحدث وبعد أن تحدث ذكرنا أننا كدنا نغرق في سفينة معتمة...

AL-HADAF الهدف